الصاحبي

في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها

تصنيف :

أحمد بن فارس

من أئمة اللغة في القرن الرابع

« شيخنا أبو الحسين – يعني ابن فارس – ممن رزق
« حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف »
الصاحب بن عباد

عنيت بتصحيحه ونشره

المكتبة السلفية

لمؤسسيها

محب الدين الخطيب وعبد الفتاح القتلان

القاهرة : السكة الجديدة

القاهرة

١٣٢٨ — ١٩١٠

مطبعة المؤيد

مقدمة الناشر

الأمة العربية اليوم في دور نهضة حديثة تلدها الحاجة وتكيفها العوامل. والناظر الى شعوب هذا العصر بعين أفقة نقادة — يرى أن هذه النهضة الحديثة ستؤول بالشعب العربي المجيد إلى انقلاب عظيم، من حيث الشؤن الأجتماعية.

ولما كان الاحتفاظ بالثمين من تراث السلف، والأخذ بالنافع من نظام الخلف خير ما تنتهجه الأمم من مناهج التقدم — عزمت (المكتبة السلفية) على أن تكون عاملاً صغيراً في عالم العمل؛ فتخدم النهضة العربية الشريفة بنشر النافع من الفنون العصرية، وإحياء ما كان صنفه رجال هذه الأمة على عهد حضارتها الماضية — خصوصاً ما كان منها في أصول لغتنا وفروعها، لأنه لا حياة للأمم في تيار السياسة وعمان المجتمع إلا بحياة لغاتها.

ونحن نتقدم اليوم إلى أمتنا العزيزة بالكتاب (الصاحبي) في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، للأمام اللغوي أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، استاذ (بديع الزمان الهمذاني) وشيخ (الصاحب بن عباد) ومصنف الكتب الجليلة.

* *

ولقد اعتمدنا في احياء (الصاحبي) ونشره على نسخة صحيحة بخط الأستاذ اللغوي الجليل المرحوم (الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي)؛ من مكتبته المحفوظة في المكتبة المصرية الخديوية في القاهرة،

وقد نقلها عن نسخة في إحدى مكتبات القسطنطينية، قُرأت على المصنف عام ٣٨٢ هـ وعلى ظهرها بخطه ما نصه :

« قرأ عليّ (أبو محمد نوح بن أحمد الأديب) أعزّه الله هذا الكتاب
« من أوّله إلى آخره، وصحّحه وسمعه بقراءته (أبو العباس أحمد بن محمد
« المعروف بالغضبان) و (أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القاري).
« وكتبه (أحمد بن فارس بن زكرياء) بخطه (بالمحمدية) في شعبان
« من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . »

وفي آخرها يقول ناسخها المجاز له :

« وكتب (نوح بن أحمد اللوباساني) في شعبان سنة اثنتين وثمانين
« وثلاثمائة . »

وقال المرحوم (الشنقيطي) بعد ذلك :

« انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه يوم الثلاثاء لعشر خلت
« من شهر ربيع النبوي، وكان ابتدائي فيه لعشر خلت من المحرم، فيكون
« ظرف اكتتابه شهرين.
« واكتتابته من نسخة جليلة، جميلة الخط، صحيحة جدًّا — إلاّ
« ما كان خطأً للمؤلف، فلا يؤاخذ به الكاتب — وعلى النسخة خط
« المؤلف بيمينه . وإجازته لتلاميذه : نوح بن أحمد ومن حضر معه .
« وكانت مقابلتي إياه صفحة صفحة . لا أبتدي صفحة إلاّ بعد مقابلة
« الصفحة التي كتبتها قبلها ، فتمت كتابته ومقابلته في آن واحد ولله الحمد .
« فجائت بحمد الله نسختي هذه أجلّ من أصلها وأصحّ ، لاحتوائها
« عليه وعلى ما ليس فيه (يعني تعليقاته على بعض مواضع الكتاب ، وقد

« اثبتناها في الطبع) .

« وكتبها لنفسه (محمد محمود بن التلاميد التركزيّ) ثم وقفـه على « عصبته بعده وقفاً مؤبداً ، فمن بدله فاثمه عليه .

« وذلك بقسطنطينيّة المحمية ، لعشر خلت من ربيع النبويّ ، سنة أربع « وثلاثمائة وألف ، ردّني الله تعالى منها سريعاً إلى المدينة مردّاً جميلا ، عليه « توكلت وكفى بالله تعالى وكيلا . »

* * *

وبعد فهذا مبلغ النسخة الأصلية من الصحة ، ونحن قد بذلنا الجهد في أن لاتجيء بعد الطبع دونها قبله — حتى بلغنا هذه الأمنية فيما نحسب . وعلى الله الاتكال .

القاهرة : غرة جمادى الثانية ، ١٣٢٨

أحمد بن فارس

عن معجم الأدباء لياقوت ويتيمة الدهر للثعالبي وطبقات اللغويين والنحاة للسيوطي وعن ابن خلكان

نسبه وبلده :

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب القزويني ـ أحد أئمة اللغة العربية في القرن الرابع للهجرة .

ولد في جهة (كرسف) و (وجياناباذ) ، وهما قريتان من (رستاق الزهراء)، ولم نقف على تاريخ مولده . ومما يؤيد أنه ولد في كرسف ما رواه مجمع عن أبيه محمد ابن أحمد ـ وكان من جملة حاضري مجالس أحمد بن فارس ـ قال : « أتاه آت ، فسأله عن وطنه ، فقال (الرجل) : كرسف . فتمثل الشيخ :

بـلادٌ بها شدَّت عليَّ تمائمي ،
وأوَّل أرض مسَّ جسمي ترابُها . »

ولم يذكر ياقوت قريتي كرسف وجياناباذ في معجم البلدان ، وإنما قال في معجم الأدباء أنه وجد بخط مجمع بن محمد بن أحمد على نسخة قديمة من (كتاب المجمل) تصنيف ابن فارس ما صورته :

« تأليف الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الزهراوي الاستاذ ـ خرذي . اختلفوا في وطنه ، فقيل كان من رستاق الزهراء من القرية المعروفة (كرسف) و (جياناباذ) وقد حضرت القريتين مرارا ، ولا خلاف أنه قروي . »

هذا ما علمنا من خبر موطنه الاول . أما (المحمدية) التي قرئ (الصاحبي) فيها على ابن فارس بالاصل الذي نقل عنه الشنقيطي ، وفيها كتب كتابه (تمام الفصيح) فقد نقل ياقوت في معجم البلدان عن كتاب لمحمد بن أحمد الفقيه أن (المهدي) ـ لما قدم (الري) في خلافة (المنصور) ـ بنى مدينة الري التي بها الناس اليوم ، وجعل لها خندقا وبنى فيها مسجدا ، وجرى ذلك على يد (عمار بن

لخصيب) وكتب اسمه على حائطها ، وتم همامها سنة ١٥٨ ، وجعل لها فصيلا يطيف به فارقين آخر وسماها (المحمدية) . فأهل الري يدعون المدينة الداخلة (المدينة) ويسمون الفصيل (المدينة الخارجة) والحصن المعروف بالزيبدية في داخل المدينة (المحمدية) . وفي تاريخ (أبي سعيد الآبي) أنها سميت كذلك باسم المهدي .

أساتذته وتنقله في طلب العلم :

جاء في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي أن ابن فارس كان نحويا على (طريقة الكوفيين) . وقد تعلم العلم عن أبيه وعن (أبي الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان) ـ وهو كثيرا ماحدث ابن فارس في (الصاحبي) عنه ـ . وفي معجم الأدباء انه أخذ أيضا على (أبي بكر أحمد بن الحسن الخطيب) رواية ثعلب وعلى (أبي عبد الله أحمد بن طاهر المنجم) و (علي بن عبد العزيز المكي) و (أبي عبيد) و (أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني) غير ذلك من العلوم .

وكان ابن فارس يقول عن شيخه ابن طاهر المنجم : «مارأيت مثل أبي عبدالله أحمد بن طاهر ، ولا رأى هو مثل نفسه » .

وقال يحيى بن مندة الأصبهاني : «سمعت عمي عبد الرحمن بن العبدي يقول ، سمعت أبا الحسين أحمد بن زكريا بن فارس النحوي يقول : دخلت بغداد طالبا للحديث ، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معي قارورة ، فرأيت شابا عليه سمة الجمال فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته فقال : « من انبسط الى الاخوان بالاستئذان فقد استحق الحرمان . »

ويؤخذ من رواية (علي بن القاسم المقري) لرسالة (أوجز السير لخير البشر) عن مصنفها أحمد بن فارس أن المترجم به أقام مدة في مدينة الموصل وقرأ ابن القاسم تلك الرسالة فيها عليه .

أما أبو مصنف الصاحبي فكانت له يد في الادب ، كما يستدل من رواية ابن فارس عنه قال : « سمعت أبي يقول : حججت فقيت بمكة ناسا من (هذيل) ، فجاريتهم في ذكر شعرائهم ، فما عرفوا واحدا منهم . ولكني رأيت أمثل الجماعة رجلا فصيحا وأنشدني :

إذا لم تحظ في أرض فدعها ،
وحُثَّ اليعْمَلات على وجاها (١)
ولا يَغررْكَ حظُّ أخيك فيها
إذا صَفِرَت يمينك من جَداها .
ونفسك فُزْ بها - إن خفت ضيماً -
وخلِّ الدار تحزن من بكاها :
فأنَّك واجدٌ أرضاً بأرض ،
ولست بواجد نفساً سواها .

علمه وتلامذته :

على من ذكرنا من الأئمة والاساتذة تلقى المترجم به العلم ، حتى كان - كما قال عنه أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر - من أعيان العلم بهمذان ومن أفراد الدهر ، يجمع اتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء . وهو بالجبل كـ(ابن السكيت) بالعراق و(ابن خالويه) بالشام و(ابن العلاف) بفارس و(أبي بكر الخوارزمي) بخراسان .

وفي همذان قرأ (بديع الزمان الهمذاني) على ابن فارس، وله تلامذة كثيرون غيره .

ثم حمل منها الى الري بأجرة ليقرأ عليه (مجد الدولة أبو طالب بن فخر الدولة أبي الحسين بن بويه الديلمي صاحب الري) فأقام بها قاطنا ، وتحول عن مذهب (ابن ادريس الشافعي) الى مذهب (مالك بن انس) وقال : « أخذتني الحمية لهذا الامام أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه » .

وفي الري تعرف ابن فارس بـ(الصاحب بن عباد) وزير (فخر الدولة بن بويه) فكان الصاحب يكرمه ويتتلمذ له ويقول :

« شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف . »

(١) ناقة عملة وعمالة ويعملة ، ج يعملات : فارهة (أي نشيطة وخفيفة وصبيحة) . وجي الماشي : حفي . وهو أن يرق القدم أو الفرسن أو الحافر ، وينسحج .

وكان من ثمرات هذه الروابط أن وضع ابن فارس كتابه (الصاحبي) نسبة للوزير ودلالة على أنه صنفه ليودع في خزانته .

جمعت جامعـة الأدب بين الصاحب وابن فارس حيناً من الدهر ، ثم تنازعت شؤون السياسـة قلبيهما ـ بدليل مارواه الثعالبي عن ابن عبد الوارث قال : (وكان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين بن فارس لانتسابه الى خـدمة (آل العميد) ـ أو ابن العميد ـ وتعصبه لهم . فأنفذ اليه من همذان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال الصاحب : « رد الحجر من حيث جاءك » . ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه وأمر له بصلة .)

***

أمياله :

أما أخـلاقه وأمياله وعواطفه ـ فلم يتصل بنا منها الا أنه كان كريما جوادا لا يبقي شيئا . وربما سئل فوهب ثياب جسمه ، وفرش بيته . . .

ويمكن لمن يجول بين أقواله وأشعاره جولة أن يخترق من الحجب مالم تخترقه النصوص التاريخيـة ، وان كان هذا في الغالب يترجم عن شعور ساعة محدودة ، أو مذهب يلزم صاحبه زمنا ثم يذهب بذهاب ذلك الزمن .

مثال ذلك أنك تجد ابن فارس في أبواب منشأ اللغة والخط من كتاب الصاحبي محافظاً ، ثم تراه في رسالته إلى (أبي عمرو محمد بن سعيد الـكاتب) حرّاً مغرقا في الحرية ، يناقش أباعمرو في انكاره على (أبي الحسن محمد بن علي العجـلي) تأليفه في الحماسة . ويعـترف للمتأخرين من صواغ الشعر تبريزهم في بعض مقطوعاتهـم على شعراء الجاهلية وغيرهم ـ من حيث تأليف جيد القول ونقيـه ، ومختاره ورضيه . وينتصر للقاعدة المقررة ، وهي أن العـلوم خطرات الأفهام ونتائج العقول ، والدنيـا أزمان ، ولكل زمان منها رجال . ومن الخطأ أن نقصر الآداب على أزمان دون أزمان ، وأن نعزو الاستعداد لرجال دون آخرين .

المفاضلة بين شعراء الجاهلية والمولدين

رسالة ابن فارس — الى ابن سعيد الكاتب :

أما رسالة أحمد بن فارس إلى أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب فهي — كما قال عنها الثعالبي — في نهاية الملاحة ، وقد تضمنت انموذجا من ملح شعراء الجبل وغيرهم من المعاصرين ، وفيها ظرف أخبارهم . وهذا نصها :

« ألهمك الله الرشاد ، وأصحبك السداد . وجنبك الخلاف ، وحبب اليك الانصاف .

وسبب دعائي بهذا لك — انكارك على (أبي الحسن محمد بن علي العجلي) تأليفه كتابا في الحماسة ، واعظامك ذلك . ولعله لو فعل — حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه — لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ، ومختاره ورضيه كثيرا مما فات المؤلف الأول .

فماذا الانكار ، ولمه هذا الاعتراض ، ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم؟ ولمه تأخذ بقول من قال : « ماترك الأول للآخر شيئاً » وتدع قول الآخر : « كم ترك الاول للآخر » ؟ وهل الدنيا الا أزمان ، ولكل زمن منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة الاخطرات الأفهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولمه لاينظر الآخر مثل مانظر الأول — حتى يؤلف مثل تأليفه ، ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟

وماتقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوازل الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أوماعلمت أن لكل قلب خاطرا ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز أن يقال بعد (أبي تمام) مثل شعره ولم يجز أن يؤلف مثل تأليفه ؟ ولمه حجرت واسعاً وحظرت مباحاً . وحرمت حلالا . وسددت طريقا مسلوكاً ؟ وهل (حبيب) الا واحد من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم ؟ ولما جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم وأهل النحو في مصنفاتهم والنظار في موضوعاتهم وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه ؟ أمر لايدرك ولا يدرى قدره ...

ولو اقتصر الناس على كتب القـدماء اضاع علم كثير . ولذهب أدب غزير . واضلت أفهام ثاقبة . واـكلت ألسن اسنة . ولما توشى أحد لخطابة . ولا سلك شعبا من شعاب البلاغـة . ولمجت الأسماع كل مردد مكرر ، وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ . وحتام لا يسأم :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي

والى متى :

صفحنا عن بني ذهل

وله أنـكرت على العجلي معروفا ، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريرا وتصحيفا وابطاء واقواء ونقلا لأبيات عن أبوابها الى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها ، الى ماسوى ذلك من روايات مدخولة وأمور عليلة ؟

وله رضيت لنا بغـير الرضي ؟ وهلا حثثت على اثارة ماغيبته الدهور وتجـديد ما أخلقته الأيام وتدوين مانتجته خواطر هذا الدهر وأفكار هذا العصر ؟

على أن ذلك لو رامه رائم لأتعبه . ولوفعله لقرأت مالم ينحط عن درجة من قبـله من جد يروعك وهزل يروقك واستنباط يعجبك ومزاح يلهيك .

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاما ، والى جنبه رجل أكول فأحس أبوحامد (١) بجودة أكله ، فقال :

وصاحب لي بطنه كالهاويه ،
كأن في أمعـائه معاويه .

فانظر الى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الامعاء الى جنب معاوية . وهل ضر ذلك ان لم يقله حماد عجرد وأبوالسمقمق ؟ وهل في اثبات ذلك عار على مثبته ، أوفي تدوينه وصمة على مدونه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني ، نظر الى حاكم من حكامها — من أهل طبرستان — مقبلا ، عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض

(١) لعله : أبو محمد . أولعل (أبا محمد) الاولى أبو حامد .

وخفه أحمر ، وهو مع ذلك كله قصير ، على برذون أبلق هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظره :

وحاكم جاء على أبلقِ ،
كعقعق جاء على لقلق .

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة التمثيل ولعلمت انه لم يقصر عن قول بشار :

كأن مثار النقع (١) فوق رؤسهم
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه .

فما تقول لهذا ، وهل يحسن ظلمه في انكار احسانه وجحود تجويده ؟
وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني، وهو اليوم حي يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاما مرض منه :

وُقيتَ الرَّدى وصروف العللْ
ولا عرفت قدماكَ الزَّللْ ،
شكى المرضَ المجدُ لما مرضتَ —
فلمَّا نهضتَ سلماً أبلْ .
لكَ الذنبُ ، لا عَتبَ إلاَّ عليكَ —
لماذا أكلتَ طعام السفلْ ؟
طعام يسوَّى ببيع النبيذ —
ويصلح من خدْر ذاكَ العمل .

وأنشدني في شاعر ، هو اليوم هناك ، يعرف بابن عمرو الأسدي ، وقد رأيته فرأيت صفةً وافقت الموصوف :

---

(١) النقع : الغبار .

وأصفر اللون ، أزرق الحدقهْ ،
في كلّ ما يدّعيه غير ثقهْ ،
كأنه مالكُ الحزين إذا
همَّ بزرق وقد لوى عنقهْ .
إن قمتُ في هجوه بقافية
فكلّ شعر أقوله صدقهْ .

وأنشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه ، من أهل قزوين ، ويعرف بابن المنادي :

إذا ما جئت أحمد مستميحاً
فلا يغررك منظرهُ الأنيقُ :
له لطف وليس لديه عرف ،
كبارقة تروق ولا تريقُ .
فما يخشى العدوُّ له وعيداً ،
كما بالوعد لا يثق الصديقُ .

وليوسف محاسن كثيرة ، وهو القائل ، ولعلك سمعت به :

حجّ مثلي زيارة الخمّار ،
واقتنائي العَقار شرب العُقار ،
ووَقاري إذا توقر ذو الشيـ —
بة وسطَ النديّ تركُ الوقار ،
ما أبالي إذا المدامة دامت
عذل ناه ولا شناعة جارِ .

ربّ ليل كأنه فرع ليلى
مابه كوكب يلوح لساري ،
قد طويناه فوق خشف كحيل
أحور الطرف فاتن سحّار ،
وعكفنا على المدامة فيه
فرأينا النهار في الظهر جاري .

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل والايجاز أمثل. وما أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأساً .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ، ثم قال بعد ذلك — وقد رأى توانياً في أمره – قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلا :

جوّدتَ شعرك في الأمير —
فكيف أمرك ؟ قلت فاتر .

فكيف تقول لهذا ومن أي وجه تأتي فتظلمه . وبأي شيء تعانده فتدفعه عن الايجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ، وأنت الذي أنشدتني :

سدَّ الطريق على الزمان —
وقام في وجه القطوب .

كما أنشدتني لبعض رجال الموصل :

فديتك،ماشبت عن كبرة
وهذي سنيَّ وهذا الحسابْ ،
ولكن هجرتَ فحلَّ المشيب —
ولو قد وصلتَ لعاد الشبابْ .

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتهما فحولة الشعراء وشياطين الأنس ومردة

العالم في الشعر ؟

وأنشدني أبو عبد الله المغلسي المراغي لنفسه :

غداة تولت عيسُهم فترحلوا ،
بكيت على ترحالهم فعميتُ :
فلا مقلتي أدَّت حقوق ودادهم ،
ولا أنا عن عيني بذاك رضيتُ .

وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حي يرزق :

زارني في الدُّجى فنمَّ عليه
طيب أردافه لدى الرقباء ،
والثريا كأنها كفُّ خود
أبرزت من غلالةزرقاء .

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : « كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي :

أقولُ لنعمانٍ ، وقد ساق طبُّه
نفوساً نفيساتٍ الى باطن الأرضِ :
أبا منُذرٍ أفنيتَ ،فاستبق بعضنا
حنانَيك : بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ .

مصنفاته :

المجمل : هو مع اختصاره جمع شيئا كثيرا.

العرق

خضارة : هو كتاب نعت الشعر .

الحجر

الصاحبي : صنفه لخزانة الصاحب بن عباد .

الثيات والحلي
الليل والنهار : لعله كتاب الأيام والليالي .
العم والخال
الأتباع والمزاوجة
الفصيح : وجد ياقوت نسخة منه ، وعليها خط للمصنف ، كتبه سنة ٣٩١ .
تمام الفصيح : وقعت لياقوت نسخة منه بخط المصنف ، كتبها في رمضان سنة ٣٩٠ .
متخير الألفاظ
حلية الفقهاء
ذخائر الكلمات
الحماسة المحدثة
مقاييس اللغة : كتاب جليل لم يصنف مثله .
خلق الانسان
الانتصار لثعلب
أصول الفقه
مقدمة الفرائض
مقدمة كتاب دارات العرب
مقدمة في النحو
تفسير أسماء النبي عليه السلام
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : صغير الحجم . اسمه (أوجز السير لخير البشر) طبع في بومباي في ٨ صفحات .
أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم
شرح رسالة الزهري الى عبد الملك بن مروان
غريب إعراب القرآن
جامع التأويل في تفسير القرآن : أربع مجلدات .
ذم الخطأ في الشعر

فتاوي فقيه العرب

كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين

وله رسائل أنيقة ومسائل في اللغة تغالى بها الفقهاء . ومنه اقتبس الحريري (صاحب المقامات) ذلك الأسلوب ، ووضع المسائل الفقهية في المقامة الطيبية وهي مائة مسئلة .

شـعره :

ليس ابن فارس بين شعراء العربية من المكثرين الذين قصدوا القصائد ودونوا الدواوين وأرقصوا أنصار جيد القول ببدائع البيان ـ ولكنه استطاع مع ذلك أن يسمعنا رنيناً محزناً بعد كل دمعة تذرف من عينيه ، وأن يرينا أكماماً زاهية تفتح أهدابها سرورا لابتسامة تتراوح بين فوائده وشفتيه .

وقد أثبتنا في هذه الترجمة ماوصلت اليه يدنا من شعر هذا الامام . ومن ذلك قوله وهو في همذان شاكيا :

سقى (همذانَ) الغيثُ ، لست بقائل
سوى ذا ، وفي الأحشاء نار تضرَّمُ ،
ومالي لاأصفي الدعاء لبلدة
أفدت بها نسيانَ ما كنت أعلمُ :
نسيتُ الذي أحسنته ، غيرَ أنني
مَدينٌ وما في جوف بيتيَ درهمُ ...

وقوله في الشكوى أيضا :

وقالوا : كيف حالك ؟ قلت : خير ،
تقضى حاجة وتفوت حاجُ .
إذا ازدحمت همومُ الصدر قلنا :
عسى يوما يكون لها انفراجُ .
نديمي هرتي . وأنيسُ نفسي

دفاترُ لي . ومعشوقي السّراجُ ...

وقوله في هذا المعنى :

ياليت لي ألف دينار موجهة
وأن حظي منها فلس فلاس .
قالوا : فما لك منها ؟ قلت : تخدمني
لها ومن أجلها الحمقى من الناس .

وقوله في القدر :

تلبَّسْ لباسَ الرضا بالقضا
وخل الأمور لمن يملكُ :
تقدّرِ أنت ، وجاري القضا —
ء مما تقدّرِه يضحكُ .

وقوله في الأصدقاء :

عتبت عليه حين ساء صنيعهُ
وآليت لا أمسيت طوع يديهِ .
فلما خبرت الناس خبر مجربٍ
ولم أر خيراً منه عدت إليهِ . (١)

وقوله في الغنى والفقر :

قد قال فيما مضى حكيمٌ :
ما المرء إلا بأصغريهِ .
فقلت قول امرء لبيب :
ما المرء إلاَّ بدرهميهِ ،

(١) قال الثعالبي في اليتيمة : أخذه من قول القائل :
عتبت على سـلم فلما هجرته   وعاشرت أقواما رجعت الى سلم.

من لم يكن معه درهماهُ
لم يلتفت عرسُه إليه !
وكان من ذلّه حقيراً
تبول سنّوره (١) عليه ...

وقوله في المعنى نفسه :

إذا كنت في حاجة مرسلاً ،
وأنت بها كلف مغرم ،
فأرسل حكيماً ولا توصه ،
وذاك الحكيم هو الدّرهم .

وقوله في الخاصة :

إسمع مقالة ناصح
جمع النصيحة والمقهْ :
إيّاك واحذر أن تبـ —
يت من الثقات على ثقهْ .

وقوله في التذمر من مهنة الأدب :

وصاحب لي أتاني يستشير ، وقد
أراد في جنبات الأرض مضطربا ،
قلت : اطّلب أي شيء شئت واسع ورد
منه الموارد — إلاّ العلم والأدبا ...

وقوله في عكس ذلك :

(١) في الآثار الباقية : سنورهم . والسنور : الهر .

إذا كان يؤذيك حرّ المصيف —
وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع —
فأخذك للعلم قل لي متى ؟

قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحيم السلمي : وجدت بخط ابن فارس على وجه (المجمل) والأبيات له ، ثم قرأتها على سعد الخير الانصاري ، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا ، عن سليمان بن أيوب ، عن ابن فارس :

يادار سُعدى! بذات الضال من إضم ،
سقاك صوب حيا من واكف العين (١)
إني لأذكر أياماً بها ، ولنا
في كل إصباح يوم قرّة العين (٢)
تدني مشعشعة منا معتقة
تشجها عذبة من نابع العين (٣)
إذا تمزّزها شيخ به طرَق
سرت بقوتها في الساق والعين (٤)
والزّق ملآن من ماء السرور ،فلا
تخشى تولّه مافيه من العين (٥)

---

(١) العين : سحاب ينشأ من قبل القبلة .
(٢) عين الانسان وغيره .
.. الماء .

(١) قال الثعالبي في اليتيمه الكبتين . والعين هنا : عين الركبة .
عتبت على سـلم العين هنا : ثقب يكون في المزادة.

وغاب عذالنا عنا ، فلا كدر

في عيشنا من رقيب السؤ والعين (١)

يقسم الودّ فيما بيننا قسماً

ميزانُ صدق ، بلا بخس ولا عين (٢)

وفائض المال يغنينا بحاضره

فنكتفي من ثقيل الدين بالعين (٣)

(والمجمل) (٤) المجتبى تغني فوائدُه

حفاظَه عن كتاب (الجيم) (٥) و(العين) (٦)

***

ومن قول ابن فارس في الغزل :

كلّ يوم لي من سلـ ـمى عتاب وسباب

وبأدنى ما ألاقي منهما يؤذى الشباب

وقوله في ذلك :

مرّت بنا هيفاء مقدودةٌ

تركية تنمى لتركيِّ

ترنو بطرف فاتر فاتن

أضعف من حجة نحويِّ .

(١) الرقيب والجاسوس .

(٢) الميل في الميزان .

(٣) العين : المال الناض . قال أبو عبيد انما يسمونه ناضا اذا تحول عينا بعد أن كان متاعا .

(٤) كتاب المجمل (في اللغة) : لأحمد بن فارس مصنف الصاحبي .

(٥) كتاب الجيم (في اللغة) : لأبي عمرو اسحق بن مراد الشيباني .

(٦) كتاب العين (في اللغة) : للخليل بن أحمد المتوفى

ابن فارس وابن بابك :

مما وقع لابن فارس وهو في الري ما حدث به هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم (عبد الصمد بن بابك) الشاعر الى الري ، في أيام الصاحب ، فتوقع أبو الحسين أحمد ابن فارس أن يزوره ابن بابك ويقضي حق علمه وفضله . وتوقع ابن بابك أن يزوره ابن فارس ويقضي حق مقدمه . فلم يفعل أحدهما ماظن صاحبه. فكتب ابن فارس الى أبي القاسم بن حسولة :

تعدّيت في وصلي ، فعدّي عتابكِ .
وأدني بديلاً من نواكم (١) ايابكِ .
تيقنتُ أن لم أحظ — والشمل جامع
بأيسر مطلوب — فهلا كتابكِ ؟
ذهبت بقلب عيل بعدكِ صبرُهُ ،
غداة أرتنا المرْقلات (٢) ذهابك
وما استمطرت عيني سحابةَ ريبة
لديك . ولا ثنت عيني سحابكِ . —
ولا نقّبَتْ — والصبُّ يصبو لمثلها —
عن الوجَنات الغانياتُ نقابكِ .
ولا قلتُ يوماً ، عن قلى وسآمةٍ ،
لنفسكِ : « سلّي عن ثيابي ثيابك ! » .
وأنتِ التي شيبّتِ — قبل أوانهِ —
شبابي ، سقى الغرُّ الغواني شبابكِ :
تجنبّتِ ما أوفى . وعاقبتِ ما كفى .

(١) قال الثعالبي في اليتيمة يوث
عتبت على سلم[illegible] من السير .

أَلم يأن سعْدى أَنْ تكفيّ عتابكِ ؟
وقد بجتني من كلابك عصبةٌ
فهلاّ — وقد حانوا — زجرت كلابكِ ؟
تجافيت عن مستحسن البرِّ جملة
وجُرت على بختي جفاء ابن بابك ...

فلما وقف أبوالقاسم الحسولي على الأبيات أرسلها الى ابن بابك ، وكان مريضاً، فكتب جوابها :

وصلت الرقعة ، أطال الله بقاء الأستاذ ، وفهمتها . وأنا أشكو اليه الشيخ أبا الحسين ، فانه صيرني فصلا لا وصلا . وزجا (١) لا نصلا . ووضعني موضع الحلال من الموائد . و (تمت) من أواخر القصائد . وسحب اسمي سحب الذيل . وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل . وجعل مكاني مكان القفل من الباب . و (فذلك) من الحساب .

وقد أجبت عن أبياته بأبيات أعلم ان فيها ضعفا لعلتين علتي وعلتها . وهي :

أيا أثلاتِ الشعب (٢) من مرج بابس !
سلامٌ على آثاركنّ الدوارس .
لقد شاقني — والليل في شمْلَةِ (٣) الحيا —
إلبكنّ توليع (٤) النسيم المخالس (٥) .
ولمحةُ برق مستميت كأنه

(١) الزج : الحديدة التي في أسفل الرمح .
(٢) الأثلة (بسكون الثاء) : شجرة عظيمة لاثمر لها . والشعب (بكسر الشين) : المنفرج بين الجبلين أو الطريق في الجبل .
(٣) الشملة : السترة والرداء .
(٤) التوليع : الأغراء ، من ولع بالشيء اذا تعلق به .
(٥) خلست الشيء : اختطفته بسرعة على غفلة .

تَردُّدُ لحظ بين أجفان ناعس ،
فبتُّ كأنّي صعدة (١) عَنيّة
تَزعزع فى نقع (٢) من الليل دامس .

* * *

ألاحبذا صبحٌ اذا ابيض أُفْقه
يصدّع عن قرن من الشمس وارس (٣)
وكنت (٤) من الخَلْصاءِ تَرْكَبُ سيلَها
ورودُ (٥) المَطي الحائمات الكوانس (٦)
فياطارق الزوراء! (٧) قل لغيومها : «اسـ
تهلي على متن من الكرخ (٨) آنس .»
وقل لرياض القُفْص (٩) تهدي نسيمها ،
فلست — على بعد المزار — بآيس .

* * *

(١) الصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف .
(٢) الزعزعة : تحرك الشيء . والنقع : الغبار ، استعارة للظلام .
(٣) وارس : أصفر ، اشتق من الورس وهو نبت أصفر يكون في اليمن .
(٤) لعله : ركبت . مرجليوث .
(٥) ما كان بلون الورد من أسد وفرس وغيرهما . وهو بين الكميت والأشقر .
(٦) كنس الظبي كنوسا : دخل كناسه ، واستعيرت هنا للمطي .
(٧) مدينة الزوراء : في الجانب الغربي من بغداد ، سميت كذلك لازورار (انحراف) في قبلتها أو لأن أبا جعفر المنصور جعل أبوابها الداخلة مزورة عن الأبواب الخارجة عند بنائها .
(٨) الكرخ : أماكن في العراق تضاف كل واحدة الى مدينة وتسمى بها . فيقال : «كرخ البصرة» و «كرخ بغداد» وغير ذلك .
(٩) القفص : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد . وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح . تنسب اليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة . وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

ألا ليت شعري ! هل أبيتن ليلةً
لَدَيَّ بين أقراط المهى والمحابس ؟
وهل أرين الريَّ دهليز بابك ،
وبابك دهليز الى أرض فارس ،
ويصبح ردم السد قفلا عليهما ،
كما صرت قفلاً في قوافي ابن فارس ؟

فمرض أبوالقاسم الحسولي المقطوعين على الصاحب وعرفه الحال ، فقال : « البادي أظلم . والقادم يزار . وحسن العهد من الايمان . »

وفاته :

هـذا ما انتهى الينا من ترجمة ابن فارس ، وكانت وفاته في الري في شهر صفر عام ٣٩٥ ، ودفن فيها مقابل مشهد (قاضي القضاة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني) .

وقال قبل وفاته بيومين يستغفر الله :

يارب ! إن ذنوبي قد أحطتَ بها
علما ، وبي وبأعلاني واسراري :
أنا الموحّد ، لكني المقرّ بها ،
فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري .

الصَّاحِبيُّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبه نستعين . وصلى الله تعالى على محمد وآله

قالَ الشيخُ أبو الحسينِ أحمدُ بنُ فارسَ أدام الله تأييده :

هذا (الكتابُ الصاحبيُّ) في فقه اللغةِ العربيةِ وسننِ العربِ في كلامها . وإنما عَنْوَنْتُه بهذا الاسم لأنّي لما ألّفته أودعته خِزانةَ (الصّاحبِ) (١) الجليل كافي الكفاة ، عَمَرَ اللهُ عِراص العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره، تجمُّلاً بذلك وتحسُّنا. إذ كان مايقبَله كافي الكفاة من علم وأدب مَرضيًّا مقبولا ، وما يَرْذُله أو يَنفيه منفيًّا مَرْذولا ، ولأنَّ أحسنَ مافي كتابنا هذا مأخوذٌ عنه ومفاد منه . فأقول :

إنَّ لعلم العرب أصلاً وفرعاً : أمَّا الفرعُ فمعرفة الاسماء والصفات كقولنا «رجل» و «فرس» و «طويل» و «قصير» . وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلُّم .

وأمَّا الأصلُ فالقولُ على موضوع اللغة وأوَّليتها ومنشأها ، ثمَّ على

---

(١) الوزير أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن ادريس الطالقاني — نسبة الى طالقان قزوين — المشهور بالصاحب ، وهو أول من لقب بهذا اللقب من الوزراء ، لانه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل له (صاحب ابن العميد) ، ثم أطلق عليه لقب (الصاحب) لما تولى الوزارة وبقي علما عليه ولقبا لكل وزير بعده . وهو من أئمة الادب والعلم ولد في ١٤ ذي القعدة عام ٣٢٦ وتوفي ليلة الجمعة ٢٤ صفر عام ٣٨٥ .

رسوم العرب في مخاطباتها، ومالها من الافتنان تحقيقاً ومجازا.

والناسُ في ذلك رجلانِ: رجلٌ شُغل بالفرع فلا يعرِف غيرَه، وآخرُ جمع الأمرينِ معاً، وهذه هي الرُّتبة العُليا، لأنَّ بها يُعلم خطابُ القرآن والسُّنة، وعليها يُعول أهلُ النظر والفُتيا، وذلك أنْ طالبَ العلم العُلويّ يكتفي من أسماء «الطويل» باسم الطويل، ولا يَضيرُه أن لا يعرف «الاشقَّ» و «الامقَّ» (١) وإن كان في علم ذلك زيادةُ فضل.

وإنَّما لم يَضرْه خفاءُ ذلك عليه لانه لايكاد يجدُ منه في كتاب الله جل ثناؤه شيئاً فيُحْوَج إلى علمه؛ ويقلُّ مثله أيضاً في ألفاظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ كانت الفاظُه صلى الله عليه وسلم هي السّهلة العَذْبة.

ولو أنّه لم يعلَم توسُّع العرب في مخاطباتها لَعَيَّ بكثير من علم مُحْكم الكتاب والسنّة، ألاتسمع قول الله جل ثناؤه «ولاتَطرُدِ الَّذينَ يَدْعونَ ربهم بالغَداةِ والعَشِيّ يُريدونَ وجهَه» إلى آخر الآية؟ فسِرُّ هذه الآية في نَطْقها لا يكون بمعرفة غريب اللغة والوحْشِيّ من الكلام، وإنّما معرفته بغير ذلك مما لعلَّ كتابنا هذا يأتي على أكثره بعون الله تعالى.

والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الاصول أن مُتوسّماً بالادب لو سُئل عن «الجزْم» و «التَّسويد» (٢) في علاج النوق، فتوقف أوعيَّ

---

(١) كلاهما بمعنى «الطويل» راجع (تهذيب الالفاظ) لابن السكيت و (فقه اللغة وسر العربية) لابي منصور الثعالبي.

(٢) قال ابن سيدة في (المخصص): سودت الابل وهو ـ أن يدق لها المسح البالي من الشعر فتداوي به أدبارها.

به أو لم يعرفه ، لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة نقصاً شائناً ، لأن كلام العرب أكثر من أن يُحصى . ولو قيل له : هل تتكلم العربُ في النفي بما لا تتكلم به في الاثبات ، ثم لم يعلمه لنقصه ذلك في شريعة الادب عند أهل الادب ، لا أنَّ ذلك يُرْدد دينه أو يَجُرُّه لمأثم .

كما أن مُتوسِّماً بالنَّحو لو سئل عن قول القائل :

لَهِنَّكِ (١) من عبْسية لوَسيمةٌ

على هَنَواتٍ كاذبٌ مَن يقولُها

فتوقَّف أو فكَّر أو استمْهل لكان أمرُهُ في ذلك عند أهل الفضل هَيِّناً ، لكن لو قيل له مكان « لَهِنَّكِ » : ما أصل القَسم ، وكم حروفه ، وما الحروفُ الخمسة المشبَّهة بالافعال الَّتي يكون الاسم بعدها منصوباً وخبرُهُ مرفوعاً ؟ فلم يُجِب لَحُكِم عليه بأنَّه لم يُشامَّ صناعةَ النحو قطُّ .

فهذا الفصلُ بين الأمرين .

والذي جمعناه في مؤلَّفنا هذا مفرَّق في أصناف (٢) العلماء المتقدمين رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء . وإنَّما لنا فيه اختصارُ مبسوط أو بسطُ مختصرٍ أو شرحُ مشكلٍ أو جمعُ متفرقٍ .

---

(١) لهنك : كلمة تستعمل تأكيدا . أصلها : لأنك .

(٢) يعني : تصانيف .

فأوّل ذلك :

باب القول على لغة العرب

أتوقيف ، أم اصطلاح ؟

أقول : انّ لغة العرب توقيف . ودليل ذلك قوله جلّ ثناؤه « وعلَّم آدمَ الاسماء كلَّها » فكان ابن عباس يقول : علمه الاسماء كلها وهي هذه التي يتعارَفُها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

وروى حُصَيف عن مُجاهد قال : علمه اسم كلّ شيء .

وقال غيرهما : إنما علَّمه أسماء الملائكة .

وقال آخرون : علمه أسماء ذرّيته أجمعين .

والذي نذهب اليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس . فان قال قائل : لو كان ذلك كما تذهب اليه لقال « ثم عرضهن أو عرضها » فلما قال « عرضهم » عُلِم أن ذلك لأعيان بني آدمَ أو الملائكة ، لأن موضوع الكناية في كلام العرب يُقال لما يَعقِل « عرضهم » ولما لا يعقل « عرضها أو عرضهن » - قيل له : إنما قال ذلك والله أعلم لأنه جَمع ما يَعقل وما لا يعقل فغلَّب ما يعقل ، وهي سنة من سنن العرب ، أعني (باب التغليب) . وذلك كقوله جل ثناؤه « والله خَالق كلّ دابة من ماء : فمنهم مَن يمشي على بطنه ، ومنهم مَن يمشي على رجلَين ، ومنهم مَن يمشي على أربع » فقال « منهم » تغليباً لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم .

فان قال: أفتقولون في قولنا سيف وحُسام وعَضب إلى غير ذلك من أوصافه أنه توقيف حتىَّ لا يكون شيء منه مُصْطَلَحاً عليه؟ قيل له: كذلك نقول. والدليل على صِحَّة ما نذهب اليه إجماعُ العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم. ولو كانت اللغة مُواضَعَةً واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق.

ولعلَّ ظانّاً يظنّ أن اللغة التي دلّلنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد. وليس الامر كذا، بل وقَّف الله جلَّ وعزَّ آدمَ عليه السلام على ماشاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علَّم بعد آدم عليه السلام من عرَب الانبياء صلوات الله عليهم نبيّاً نبيّاً ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فآتاه الله جلَّ وعزَّ من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله، تماما على ما أحسنَه من اللغة المتقدمة. ثم قرَّ الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت.

فان تعمَّل اليوم لذلك متعمِّل وجد من نُقَّاد العلم من ينفيه ويرُده.

ولقد بلغنا عن (أبي الأسود) أن امرأً كلمه ببعض ماأنكره أبو الأسود، فسأله أبو الأسود عنه فقال: «هذه لغة لم تبلغك» فقال له «يا ابن أخي، لا خير لك فيما لم يبلغني» فعرَّفه بلطف أن الذي تكلم به مختلَق.

وخَلَّةٌ أخرى أنه لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمانٍ يقُارب زمانَنا أجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلِحين عليه، فكنا نَستدِل بذلك على اصطلاح كان قبلهم.

وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم – وهم البُلغاء والفُصحاء – من

النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به . وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو احداث لفظة لم تتقدمهم .

ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلا بانقضائه ولا تزول إلا بزواله، وفي ذلك دليل على صحة ما ذهبنا إليه من هذا الباب .

باب القول على الخط العربي
وأول من كتب به

يُروى أن أول من كتب الكتاب العربيَّ والسريانيّ والكُتُب كلها (آدمُ) عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخه . فلما أصاب الأرضَ الغرقُ وجد كلُّ قوم كتابا فكتبوه، فأصاب (اسماعيلُ) عليه السلام الكتابَ العربيّ .

وكان (ابنُ عباس) يقول : أوّلُ من وضع الكتاب العربيَّ (اسماعِيلُ) عليه السلام، وضعه على لفظه ومَنْطقه .

والرواياتُ في هذا الباب تكثر وتختلف .

والذي نقوله فيه : ان الخطّ توقيف، وذلكَ لِظاهرِ قوله عزَّ وجل « إقرأْ باسمِ ربِّك الذي خَلَق، خَلَق الانسانَ من عَلَق، إقرأْ وربُّكَ الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يَعْلم » وقال جلَّ ثناؤه « والقلم وما يسطرون » وإذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقّفَ آدمَ عليه السلام أو غيرَه من الانبياء عليهم السلام على الكتاب .

فأمّا أن يكون مُخْتَرِع اخترعه من تِلْقاء نفسه فشيءٌ لا تُعْلَمَ صحته

إلاّ من خبر صحيح .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها ، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعرابا ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً . قالوا والدليل على ذلك ماحكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له : أتهمز إسرائيل ؟ فقال « إني إذن لرَجلُ سوء ! » قالوا وإنّما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز الاّ الضغط والعصر . وقيل لآخر أتجرُّ فلسطين ؟ فقال « إني إذن لقويٌّ ! » . قالوا : وسُمع بعض فصحاء العرب يُنشد :

نحن بني عَلْقمةَ الأخيارا

فقيل له : لم نصبت « بني » ؟ فقال : مانصبته ، وذلك أنه لم يعرف من النّصب إلاَّ إسناد الشيء (١) . قالوا : وحكى (الاخفش) عن أعرابي فصيح أنّه سُئل أن يُنشد قصيدة على الدال فقال : وما الدال ؟ وحكي أن (أبا حيّة النُميري) سئُل أن ينْشد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالنّأي من أسماء كافِ ،

وليس لِسُقمها إذ طال شافِ .

قلنا : والأمر في هذا بخلاف ماذهب اليه هؤلاء . ومذهبنا فيه التوقيف فنقول : إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء الّتي أعلم الله جلّ ثناؤه أنه علمها آدمَ عليه السلام ، وقد قال جل وعزّ «علمه البيان» ، فهل يكون أوّلُ البيان الا علمَ الحروف التي يقع بها البيان ؟ ولِمَ لا يكون الذي علم آدم عليه السلام الاسماء كلّها هو الذي علمه الألِفَ والباء والجيم والدال ؟ فأما من حُكي عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجرّ والكاف والدال فانّا لم نزعم أنّ العرب

---

(١) يعني أنه لم يعرف أن نصبه على الاختصاص . الشنقيطي

كلها مـدراً ووبراً قـد عرفوا الـكتابة كلها والحروف أجمعها ، وما العربُ في قديم الزمان إلا كنحن اليوم : فما كلٌّ يعرفُ الكتابة والخطَّ والقراءة ، و(أبو حية) كان أمس ، وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الـكتابة ويخط ويقرأ ، وكان في أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبون منهم (أمير المؤمنين عليٌّ) صـلوات الله تعالى عليـه و(عثمانـ) و(زيدٌ) وغيرهم .

فحـدثني أبو الحسنِ عليُّ بنُ ابراهيمَ القَطَّان قال أخـبرنا عليّ بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال حدثنا ابن مَهْديّ عن ابنْ المبارك قال حدثني أبو وائل شيخٌ من أهل اليمن عن (هانيء) قال : كنت عنـد (عثمان) رضى الله تعالى عنه، وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتِف شاة إلى (أبيّ بن كعب) فيها « لم يتسنَّ » و « فأمهل الـكافرين » و « لا تبديل للخلق » قال فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب « لخلق الله» ومحا فأمهل وكتب « فَمَهّل » وكتب « لم يَتَسَنَّهْ » ألحقَ فيها هاءً . أفيكون جهلُ (أبي حيّة) بالـكتابة حُجةً على هؤلاء الأئمة ؟

والذي نقوله في الحروف هو قولنا في الاعراب والعروض . والدليـل على صِحة هـذا وأن القوم قد تداولوا الاعراب أنا نستقريء (١) قصيدة (الحُطَيْئة) التي أولها :

شاقَتْكَ أظعانٌ لِليلَى ـ
دون ناظرة بواكر .

فَنَجِدُ قوافيها كلَّها عنـد الترنُّم والاعراب تجيء مرفوعة، ولولا علمُ

---

(١) الاستقراء : التتبع والاحصاء.

(الحُطيئة) بذلك لأشبهَ أن يختلف إعرابُها، لأن تساويها في حركة واحدة اتفاقا من غير قصد ـ لا يكاد يكون.

فان قال قائل: فقد تواترت الرّويات بأن (أبا الأسود) أولُ من وضع العربية، وأن (الخليل) أول من تكلم في العروض. قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول إن هذين العِلْمين قد كانا قديماً وأتتْ عليهما الأيام وقلاّ في أيدي الناس، ثم جددهما هذان الامامان، وقد تقدم دليلنا في معنى الاعراب.

وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما اتفاقُ أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا أومن قال منهم «إنه شعر» فقال (الوليدُ بنُ المغيرة) منكراً عليهم «لقد عرضتُ مايقرؤه محمد على أقراء (١) الشعر، هزجه ورجزه وكذا وكذا، فلم أرَه يشبه شيئاً من ذلك» أفيقول (الوليدُ) هذا وهو لا يعرف بحور الشعر؟

وقد زعم ناس أنّ علوماً كانت في القرون الأوائل والزمن المتقادم. وأنّها دَرسَت وجُدّدت منذ زمان قريب، وترجمت وأصلحت منقولة من لغة إلى لغة. وليس ما قالوا ببعيد، وان كانت تلك العلوم بحمد الله وحسن توفيقه مرفوضة عندنا.

فان قال: فقد سمعنا كم تقولون إن العرب فعلت كذا ولم تفعل كذا، من أنها لا تجمع بين ساكنين، ولا تبتديء بساكن، ولا تقف على متحرك، وأنها تسمي الشخص الواحد بالاسماء الكثيرة، وتجمع الأشياء الكثيرة تحت الاسم الواحد. قلنا: نحن نقول إن العرب تفعل كذا بعد ما وطأناه أن ذلك توقيف حتى ينتهي الأمر إلى الموقف الأول.

(١) أقراء الشعر: جمع قرء بالفتح ويضم، بمعنى القافية.

ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويُّون في ذوات الواو والياء والهمز والمدّ والقصر فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالواو ولم يصوّروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل « الخبء » و « الدفء » و «الملء » فصار ذلك كلّه حجة ، وحتى كَرِهَ من العلماء تركَ اتباع المصحف من كَرِهَ.

فحدثني عبد الرحمن بن حمدان عن محمد بن الجهم السمَّريّ عن (الفرّاء) قال «اتباعُ المصحف ـ إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب ـ وقراءةُ القراء أحبُّ اليَّ من خلافه » قال وقد كان (أبو عمرو بن العلاء) يقرأ « إن هذين لساحران » ولست أجترىء على ذلك . وقرأ «فأصَّدَّقَ وأكونَ» فزاد واواً في الكتاب ولست استحبّ ذلك . »

والذي قاله (الفراء) حَسَن ، وما يَحسُن قول (ابن قتيبة) في أحرُف ذكرها ، وقد خالف الكُتَّابُ المصحفَ في هذا .

باب القول في أن لغة العرب

أفضلُ اللغات وأوسعُها

قال جـلّ ثناؤه « وانه لتنزيلُ ربّ العالمين ، نَزَل به الرُّوح الأمينُ على قلبك ، لِتكُون من المنذِرين ، بلسان عربيٍّ مبين » فوصَفهجلّ ثناؤه بأبلغ مايوصَف به الكلام ، وهو البيان .

وقال جلّ ثناؤه « خَلق الانسان ، علّمه البيان» فقدمجلّ ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحَّد بخلقه وتفرّد بانشائه ، من شمس وقمر ونجم وشجر وغيرِ ذلك من الخلائق المحكمة والنشايا المتْقَنة . فلمّا خصَّ جلّ ثناؤه اللسانَ العربيَّ بالبيانِ عُلِم أن سائرَ اللغاتقاصِرةٌ عنه وواقعة دونه.

فان قال قائل : فقد يقـع البيانُ بغـير اللسان العربي ، لأن كلَّ مَن أفْهم بكلامه على شرط لغته فقد بَيَّن . قيل له : إن كنتَ تريد أن المتكلّم بغير اللغة العربية قد يُعربُ عن نفسه حتّى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيـان ، لأن الأبكم قد يدلُّ باشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لايسمّى متكلما ، فضـلا عن أن يُسمَّى بَيّناً أو بليغاً . وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غَلط ، لأنا لو احتجنا أن نعبّر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً ، وكذلك الأسد والفرس وغـيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفـة . فأين هـذا من ذاك ، وأين لسائر اللغات من السعّة ما للغة العرب ؟ هذا مالا خفاء به على ذي نُهْيَة .

وقد قال بعضُ علمائنا حـين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيـل

والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لايقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الالسنة كما نُقل الانجيل عن السريانية الى الحبَشية والرُّومية وترجمت التوراة والزَّبور وسائرُ كتب الله عز وجل بالعربية، لأن العجم لم تتَّسع في المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جلّ ثناؤه «وإمّا تخافَنَّ من قوم خيانةً فانبذ اليهم على سواء» لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدِّية عن المعنى الذي أُودِعَته حتى تبسُط مجموعها وتَصِل مقطوعها وتُظهر مستورها فتقول «ان كان بينك وبين قوم هدنة وعهد نخفت منهم خيانة ونقضاً فأعلمهم أنّك قد نقضت ماشرطته لهم وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء» وكذلك قوله جلّ ثناؤه «فضربنا على آذانهم في الكهف».

فان قال قائل: فهل يوجد في سنن العرب ونظومها ما يجري هذا المجرى؟ قيل له: ان كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يُضاهى أو يُقابَل أو يعارض به كلام، وكيف لايكون كذلك وهو كلام العلي الأعلى خالق كلّ لغة ولسان، لكنّ الشّعراء قد يومئون إيماءً ويأتون بالكلام الذي لو أراد مُريد نقلَه لاعْتاص وما أمكن إلا بمبسوطٍ من القول وكثير من اللفظ. ولو أراد أن يعبّر عن قول امريء القيس:

فدع عنك نَهْباً صيح في حَجَراته (١)

بالعربية فضلا عن غيرها لطال عليه. وكذاقول القائل:

---

(١) صدر بيت له من قصيدة يذم فيها (خالد بن سدوس)، قال (الشنقيطي) وتمامه:

ولكن حديثاً ماحديث الرواحل.

وما هو بدون صدره في معناه.

« والظنُّ على الكاذبِ »(١)

و« نِجارُها نارُها » (٢)

و « عَيَّ بالأسناف » (٣)

و « أنشأي يرِمّ لك »

و « هو باقِعَة » (٤)

و « قلبٌ لو رَفع »

و « على يدي فاخضَمْ »

و « وشأنك إلا تركه متفاقم »

وهو كثير بمثله طالت لغةُ العرب اللغات . ولو أراد معبّرٌ بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والاخفاق واليقين والشكّ والظاهر والباطن والحق والباطل والمبين والمشكل والاعتزاز والاستسلام لعيّ به . والله جلّ ثناؤه أعلم حيث يجعل الفضل .

---

(١) من قطعة في (حماسة أبي تمام) للحارث بن هجام الشيباني ، والبيت الذي فيه هذه الجملة هو قوله :

أنا ابن زبابة ، ان تدعني
آتك ، والظن على الكاذب .

(٢) نجار الشيء : أصله . والنار : السمة . يقال « ما نار هذه الناقة ؟ » أي ما سمتها . و « نجارها نارها » مثل يضرب في شواهد الامور التي تدل على علم باطنها ، كما تدل سمة الابل على أصلها .

(٣) السناف والاسناف : كاللبب للفرس . قال (الزمخشري) في (أساس البلاغة) : عي فلان بالاسناف اذا دهش من الفزع كمن لايدري أين يشد السناف قال :

اذا ماعيي بالاسناف قوم
من الهول المشبه أن يكونا .

(٤) قال (الزمخشري) في أساس البلاغة : « هو باقعة من البواقع » للكيس الداهي من الرجال ، شبه بالطائر الذي يرد البقع — وهي المستنقعات — دون المشارع خوف القناص .

ومما اختصت به لغةُ العرب ـ بعد الذي تقدم ذكرناه قلبهم الحروف عن جهاتها، ليكون الثاني أخفَّ من الاول، نحو قولهم «ميعاد» ولم يقولوا «مِوْعاد» وهما من الوعد، الاَّ أن اللفظ الثاني أخفُّ.

ومن ذلك تركهم الجمعَ بين الساَّكنينِ، وقد تجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن. ومنه قولهم «ياحارِ» ميلاً الى التخفيف.

ومنه اختلاسهم الحركاتِ في مثل:

فاليومَ أشربْ غيرَ مُستَحقبٍ (١)

ومنه الادغامُ، وتخفيفُ الكلمة بالحذف، نحو «لَمْ يَكُ» و«لَمْ أُبَلْ»

ومن ذلك اضمارهم الافعال، نحو «امرأ أتقى الله» و «أمرَ مبكياتكِ، لا أمرَ مضحكاتكِ».

وممّا لا يمكن نقله البتَّةَ أوصافُ السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الاسماء المترادفة. ومعلوم أن العَجَم لا تعرف للأسد غير اسم واحد، فأما نحن فنُخرج له خمسين ومائة اسم.

وحدثني أحمد بن محمد بن بندار قال سمعت (أبا عبد الله بنَ خالَوَيْهِ الهمذاني) يقول: جمعت للأسد خمس مائة اسم وللحيَّة مائتين.

وأخبرني عليُّ بنُ أحمد بنِ الصبَّاح قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا (ابن أخي الأصمعي) عن عمه أن (الرشيد) سأله عن شعر ا (ابن حزام العُكْلِيّ) ففسره، فقال «يا أصمعي، إن الغريب عندك لغيرُ غريب» فقال «يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وقد حفظتُ للحَجَرِ سبعين اسما؟»

---

(١) قال الشنقيطي تمامه:

اثما من الله ولا واغل.

وهذا كما قاله الأصمعي . ولكافي الكفاة (١) أدام الله أيامه وأبقى للمسلمين فضله - في ذلك كتاب مجرد .

فأين لسائر الأمم ما للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يعبّر عن قولهم : ذات الزُّمَيْن، وكَثْرَة ذات اليد ، ويد الدّهر ، وتَخاوَصَت النجوم ، ومَجَّت الشمسُ ريقها ، ودَرأ الفيء ، ومفاصل القول ، وأتى بالأمر من فصّه، وهو رَحْب العَطَن ، وغَمْرُ الرّداء ، ويَخْلق ويفري ، وهو ضيّق المَجَمّ ، قلِق الوَضين، رابط الجأش ، وهو ألوى ، بعيد المُسْتَمَرّ ، وهو شراب بأنقع ، وهو جُذَيْلُها المُحكَّك وعُذَيقُها المُرَجَّب ، وما أشبه هذا من بارع كلامهم ومن الإيماء اللطيف والإشارة الدّالة .

وما في كتاب الله جلّ ثناؤه من الخطاب العالي أكثر وأكثر ، قال الله جل وعز « ولكم في القصاص حياة » و « يحسبون كلَّ صيْحة عليهم »، « وأُخرى لم تَقدروا عليها قد أحاط الله بها » و « إن يتّبعون إلا الظنَّ وإن الظن لا يُغني من الحقّ شيئاً » و « إنما بَغيكم على أنفسكم » ، « ولا يُحيق المكر السّيّء إلا بأهله » وهو أكثر من أن نأتي عليه.

وللعرب بعد ذلك كَلِم تلوح في أثناء كلامهم كالمصابيح في الدُّجى ، كقولهم للجَموع للخير : قَثُوم ، وهذا أمرٌ قاتِم الاعماق ، أسْود النواحي، واقتحف الشرابَ كلّه، وفي هذا الأمر مصاعبُ وقُحَم ، وامرأة حييّة قدِعة (٢) ، وتَقادَعوا تقادُعَ (٣) الفراش في النار ، وله قَدَم صِدق ، وذا

(١) يريد به الصاحب بن عباد .
(٢) القدعة : القليلة الكلام ، الحيية.
(٣) أي تتابعوا تتابع .

أمر أنت أدرته ودبّرته .وتقاذفتْ بنا النّوى ،واشتفّ الشراب ، ولك قُرعة هذا الأمر (خياره) . وما دخلت لفلان قريعة (١) بيت ، وهو يتّهر القرينة إذا جاذبته ، وهم على قرو واحد (أي طريقة) ، وهؤلاء قَرَابينُ الملك ، وهو قشع (إذا لم يثبت على أمر) ، وقشبه بقبيح (لطخه) وصبي قصع (لا يكادُ يشبّ) ، وأقبلت مَقاصِرُ الظلام ، وقطّع الفرسُ الخيلَ تقطيعاً (إذا خلّفها) . وليل أقعَس (لا يكاد يبرح) ، وهو منزول قفر .

وهذه كلمات من قُرحة واحدة ، فكيف إذا جال الطرف في سائر الحروف مجالَه؟ ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض ولما حوته أجلاد وأجلاد .

(١) القريعة : سقف البيت .

باب القول على لغة العرب

وهل يجوز أن يحاط بها ؟

قال بعض الفقهاء « كلام العرب لا يحيط به إلا نبي » .

وهذا كلام حَرِيٌّ أن يكون صحيحاً . وما بلغنا أنّ أحداً ممن مضى ادّعى حفظ اللغة كلها . فأما الكتاب المنسوب إلى (الخليل) وما في خاتمته من قوله « هذا آخر كلام العرب » فقد كان الخليل أورع وأتقى لله جلّ ثناؤه من أن يقول ذلك .

ولقد سمعت عليَّ بن مِهْرُوَيْهِ يقول سمعت هرون بن هَزاري يقول سمعت (سُفيان بن عُيَيْنة) يقول « من أحبّ أن ينظر إلى رجل خُلق من الذّهب والمِسك فلينظر الى الخليل بن أحمد » . وأخبرني أبو داود سليمان بن يزيد عن ذلك المَصاحِفي عن (النَّضر بن شُمَيْل) قال « كنا نُمَيِّل بين (ابن عون) و (الخليل بن أحمد) أيَّهما تقدّم في الزّهد والعبادة فلا ندري أيهما تقدم » قال : وسمعت النضر بن شميل يقول « ما رأيت أعلم بالسُّنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد » قال : وسمعت النضر يقول « أُكلت الدنيا بأدب الخليل وكتبه وهو في خُصّ لا يُشعَر به » .

قلنا فهذا مكان الخليل من الدين ، أفتُراه يُقدم على أن يقول « هذا آخر كلام العرب » ؟

ثم إن في الكتاب الموسوم به من الاخلال ما لا خفاء به على علماء اللغة ، ومَن نظر في سائر الأصناف الصحيحة علم صحة ما قلناهُ .

باب القول في اختلاف لغات العرب

اختلاف لغات العرب من وجوه :

أحدها ـ الاختلاف في الحركات كقولنا « نَستعين » و « نِستعين » بفتح النون وكسرها . قال (الفرّاء) هي مفتوحة في لغة قريش، وأسدٌ وغيرهم يقولونها بكسر النون .

والوجه الآخر ـ الاختلاف في الحركة والسكون مثل قولهم «معَكم» و « معْكم » . أنشد الفراء :

ومَن يتّقْ فانّ الله معْهُ

ورزق الله مُؤْتابٌ وغادِ .

ووجه آخر ـ وهو الاختلاف في إبدال الحروف نحو «أولئك» و « أُلالِكَ » . أنشد الفراء :

أُلالِك قومي لم يكونوا أُشابَةً ،

وهل يعِظُ الضِّلِّيلَ الاّ أُلالكا؟

ومنها ـ قولهم « أنّ زيداً » و « عَنّ زيداً » .

ومن ذلك ـ الاختلاف في الهمز والتليين نحو « مستهزؤن » و « مستهزُوْن » .

ومنه ـ الاختلاف في التقديم والتأخير نحو « صاعقة » و « صاقعة » .

ومنها ـ الاختلاف في الحذف والاثبات نحو «استحييْت» و«استحَيْت» و « صدَدْت » و « أصْدَدْت » .

ومنها ـ الاختلاف في الحرف الصحيح يبدلُ حرفاً معتلاً نحو « أما

زيد » و « أيما زيد » .

ومنها ـ الاختلاف في الامالة والتفخيم في مثـل « قضى » و « رمى » فبعضهم يفخّم وبعضهم يُميل .

ومنها ـ الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله ، فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضمّ، فيقولون « اشتَرَوُ الضلالة » و « اشترَوِ الضلالة ».

ومنها ـ الاختلاف في التـذكير والتأنيث فان من العرب من يقول « هذه البقر » ومنهم من يقول « هـذا البقر » و « هـذه النخيل » و « هذا النخيل » .

ومنها ـ الاختلاف في الادغام نحو « مهتدون» و « مُهَدُّون » .

ومنها ـ الاختلاف في الاعراب نحو «ما زيدٌ قائمـاً» و «ما زيدٌ قائم» و« إنّ هذين » و« إنّ هذان » وهي بالألف لغة ل (بني الحارث بن كعب) يقولون لـكلّ ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك . وينشدون :

تزوَّدَ مِنَّا بين أذناه ضربةً
دعَتْه إلى هابي التراب عقيمِ .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الاعراب يقتضي أن يقال «إن هذان» قال : وذلك أن « هـذا » اسم منهوك ، ونُهْكُهُ أنه على حرفين أحـدهما حرف علة وهي (الألف) و (ها) كلة تنبيه ليست من الاسم في شيء ، فلما ثنّي احتيج الى ألف التثنيه ، فلم يوصل اليها لسكون الالف الأصلية ، واحتيج الى حذف احديهما فقالوا : ان حذَفنا الألف الأصلية بقي الاسم على حرف واحد ، وان أسقطنا ألِفَ التثنية كان في النون منها عوض ودلالة على معنى

التثنية، فحذفوا ألف التثنية .

فلما كانت الألف الباقية هي ألف الاسم، واحتاجوا الى إعراب التثنية - لم يغيروا الألف عن صورتها لأن الأعراب واختلافه في التثنية والجمع انما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع، فتركوها على حالها في النصب والخفض .

قال : ومما يدلّ على هذا المذهب قوله جلّ ثناؤه « فذانك برهانان من ربّك » لم تحذف النون - وقد أضيف - لأنه لو حذفت النون لذهب معنى التثنية أصلاً، لأنه لم تكن للتثنية هاهنا علامة الاّ النون وحدها، فاذا حذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية .

ومنها - الاختلاف في صورة الجمع نحو « أَسرى » و« أُسارى » .

ومنها - الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو « يأمُرُكم » و« يأمُرْكم » و« عُفِيَ له » و« عفْيَ له » .

ومنها - الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل « هذه أُمَّهْ » و «هذه امَّتْ » .

ومنها - الاختلاف في الزّيادة نحو « أَنظُرُ » و« أَنظورُ » . أنشد الفراء :

الله يعلم أنَا في تَلفُّتنا
يوم الفراق - الى جيراننا - صُورُ ،
وأنَّني حيث ما يَثني الهوى بَصري
- من حيث ماسلكوا - أدنو فأنظورُ .

وكلّ هذه اللغات مسماة منسوبة الى أصحابها، لكن هذا موضع اختصار، وهي وان كانت لقوم دون قوم فانها لما انتشرت تعاوَرَها كلٌّ.

ومن الاختلاف ـ اختلاف التضادّ. وذلك قول (حِمْيَر) للقائم «ثِبْ» أي اقعد.

فحدثنا علي بن ابراهيم القطّان عن المفسر عن القتيبي عن ابراهيم بن مسلم عن الزبير عن ظَمْياء بنت عبد العزيز بن مَوألة قالت حدثني أبي عن جدي (موألة) أن (عامر بن الطُّفَيْل) قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فَوَثَّبَهُ وِسادة، يريد فرشه إياها وأجلسه عليها.

والوِثاب: الفراش بلغة حِمْيَر. قال: وهم يسمون الملك إذا كان لا يغزو «مَوْثبان» يريدون أنه يطيل الجلوس ولا يغزو. ويقولون للرجل «ثب» أي اجلس.

وروي أن (زيد بن عبد الله بن دارِم) وفد على بعض ملوك حِمْيَر فألفاه في مُتَصَيَّدله على جبل مُشْرِف، فسلم عليه وانتسب له. فقال له الملك «ثب» أي اجلس، وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال «لتجدني أيُّها الملك مِطْواعاً» ثم وثب من الجبل فهلك، فقال الملك: ما شأنه؟ فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة، فقال «أما أنه ليست عندنا عربيّت: من دخل (ظَفَارِ) حمّر» وظفار المدينة التي كان بها، واليها ينسب الجَزْع الظَّفاري. أراد: من دَخل ظفار فليتعلم الحميرية.

آخر الجزء الاول من أجزاء الشيخ أبي الحسين

باب القول في أفصح العرب

أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقَزْوِينَ، قال حدثنا أبو الحسين محمدُ بن عباس الخُشْكي، قال حدثنا (اسماعيل بن أبي عُبَيد الله) قال:

أجمعَ علماؤنا بكلام العرب، والرُّواة لأشعارهم. والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومَحالّهم أن (قُرَيشاً) أفصحُ العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً. وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيَّ الرحمة محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم. فجعل قريشاً قُطّان حرَمِه، وجيران بيته الحرام، ووُلاتَهُ. فكانت وُفود العرب من حُجاجها وغيرهم يَفِدون الى مكة للحج. ويتحاكمون الى قريش في أُمورهم. وكانت قريش تعلّمهم مَناسكَهم وتحكُمُ بينهم. ولم تزل العرب تعرِف لقريش فضلها عليهم وتسمّيها (أهلَ الله) لأنهم الصَّريح من ولد (اسماعيل) عليه السلام، لم تَشُبْهم شائبة، ولم تنقُلْهم عن مَناسبهم نَاقِلَة، فضيلةً من الله — جل ثناؤه — لهم وتشريفاً. إذ جعلهم رَهط نبيّه الأدْنَيْنَ، وعِترتَه الصالحين.

وكانت قريش، مع فصاحتها وحُسن لغاتها ورِقّة ألسنتها، اذا أتتهم الوُفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات الى نَحائزهم وسَلائقهم التي طُبعوا عليها. فصاروا بذلك أفصح العرب.

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم (عَنْعَنَة تَميم) ولا (عَجْرفية قَيْس) ولا (كَشْكَشَة أسد) ولا (كَسْكَسَة رَبِيعَة) ولا الكَسْر الذي تسمعه من (أسَد) و (قَيْس) مثل: «تِعلَمون» و«نِعلَم» ومثل «شِعير» و«بِعير»؟

باب اللغات المذمومة

أما (العَنْعَنَة) التي تُذكَر عن (تَميم) - فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عيناً. يقولون « سمعتُ عَنَّ فلاناً قال كذا » يريدون «أنَّ».

ورُوي في حديث (قَيْلَة): « تَحْسب عَنِّي نائِمَة » قال (أبو عُبَيْد) أرادَت تَحْسب أني، وهذه لُغة تَميم. قال (ذو الرُّمة):

أعَنْ ترسَّمتَ من خَرقاء مَنْزِلةً

ماءُ الصَّبابة من عَيْنيك مَسْجومُ؟

أراد « أن » فجعل مكان الهمزة عينا.

وأما (الكَشْكَشَة) التي في (أسَد) — فقال قوم: إنهم يبدلون الكاف شيناً فيقولون « عَلَيْشَ » بمعنى « عليك ». ويُنشدون:

فَعَيْناشِ عيناها، وجيدُشِ جيدُها،

ولَوْنُشِ — إلاّ أنها غيرُ عاطلِ.

وقال آخرون: يصِلُون بالكاف شيناً، فيقولون « عَلَيْكِش ».

وكذلك (الكَسْكَسة) التي في (رَبيعة) — إنما هي أن يَصِلوا بالكاف سينا، فيقولون « عَلَيْكِسْ ».

وحدثني عليُّ بن أحمد الصَّبّاحيُّ، قال سمعت (ابن دُرَيْد) يقول: حروفٌ لا تتكلم بها العرب إلاّ ضرورة، فاذا اضطُرُّوا اليها حوَّلوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مَخارجها.

فمن تلك الحروفِ الحرفُ الذي بين الباء والفاء. مثل « بور » اذا

اضطُروا . فقالوا « فور » .

ومثلُ الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم — وهي لغة سائرة في اليمن — مثل « جَمل » اذا اضطرُّوا قالوا « كَمَل » .

قال : والحرفُ الذي بين الشين والجيم والياء : في المذكر « غلاجْ » وفي المؤنث « غلامِش » .

فأما (بَنُو تميم) فانهم يُلحقون القاف باللَّهاة حتى تَغْلظ جداً فيقولون « القوم » فيكون بين الكاف والقاف ، وهذه لغة فيهم . قال الشاعر :

ولا أكُولُ لِكدرِ الكَوْم : قد نضجت (١) ،
ولا أكولُ لبابِ الدّار : مَكْفُولُ .

وكذلك الياء تجعل جيما في النَّسب . يقولون « غلاجْ » أي « غلامي » .

وكذلك الياء المشدَّدة تحوَّل جيما في النَّسب . يقولون « بَصرجّ » و « كُوفجّ » قال الرَّاجز :

خالي عُوَيفٌ، وأبو عَلِجّ ،
المُطعِمَان اللحمَ بالعشجِّ ،
وبالغَداة فِلَقَ البَرْنِجِّ .

وكذلك ما أشبهه من الحروف المرغوب عنها . كالكاف التي تحوَّل شيناً .

قلنا : أما الذي ذكره (ابن دُرَيد) في « بور » و « فور » فصحيح . وذلك أن بور ليس من كلام العرب ، فلذلك يحتاج العربيّ عند تعريبه إياه أن يُصيّره فاءً . وأما سائر ما ذكره فليس من باب الضرورة في شيء . وأيّ

---

(٤) في نسخة : غايت .

ضرورة بالقائل الى أن يقلب الكاف شيناً، وهي ليست في سجع ولا فاصلة؟ ولكن هذه لغات للقوم على ما ذكرناه في باب اختلاف اللغات .

وأما من زعم أن (ولد اسماعيل) عليه السلام يعيّرون (وَلد قَحْطان) أنهم ليسوا عربا، ويحتجّون عليهم بأنّ لسانهم (الحِمْيَريَّة) وأنهم يُسَمُّون اللّحية بغير اسمها — مع قول الله جلّ ثناؤه في قصة من قال : لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي — وأنهم يُسمُّون الذّيب « القِلوْبَ » — مع قوله « وأخاف أن يأكله الذّئب » — ويسمون الأصابع « الشَّناتر » — وقد قال الله جلّ ثناؤه « يجعلون أصابعهم في آذانهم » — وأنهم يسمون الصَّديق « الخِلْمَ » ـ والله جل ثناؤه يقول « أو صَديقكم » — وما أشبه هذا . فليس اختلافُ اللّغات قادحاً في الأنساب .

ونحن وان كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات ، فلسنا ننكر أن تكون لكلّ قوم لغة ، مع أن (قحطان) تذكر أنهم (العرَب العارِبة)، وأن مَن سواهم (العرَب المتعرّبة) . وأن (اسماعيل) عليه السلام بلسانهم نَطق ، ومن لغتهم أخَذ . وإنّما كانت لغةُ أبيه صلى الله عليه وسلم (العِبرية) وليس ذا موضعَ مفاخَرة فنستقصي .

ومما يفسد الكلام ويَعيبهُ (الخزْمُ) ولا نريد به الخزْمَ المستعمل في الشعر . وإنما نريد قولَ القائل :

ولئنْ قومٌ أصابوا غِرَّةً ،
وأصبْنا من زمان رَنَقا ،
لَلَقَدْ كُنَّا لدى أزمانِنا

لَشَرِيجَيْنِ لباسٍ وتُقى.

فزاد لاماً على « لقد » وهو قبيح جدا .

ويزعم ناسٌ أن هذا تأكيد كقول الآخر :

فَلا والله لا يُلفَى لما بي،

ولا لِلِما بهم - أبداً - دَوَاءُ .

فزاد لاماً على « لِما » وهذا أقبح من الأول. فأما التأكيد فأن هـذا لا يزيد الـكلام قوة ، بل يقبّحه . ومثله قول الآخر :

وصاليات كَـكَما يوثفَيْنْ .

وكل ذا من أغاليطِ من يغلَط ، والعرَب لا تعرفهُ .

باب القول في اللغة التي بها نزل القرآن

وأنه ليس في كتاب الله جل ثناؤه شيء بغير لغة العرب

حدّثنا أبو الحسن عليُّ بنُ ابراهيم القطّان قال حدثنا عليُّ بن عبد العزيز عن أبي عُبيد عن شيخ له (١) أنه سمع الكلبيّ يحدث عن أبي صالح عن (ابن عباس) قال: نزل القرآن على سبعة أحرُف أو قال بسبع لغات، منها خمسٌ بلغة العَجُز من هوازن وهم الذين يقال لهم (عُليا هَوازن) وهي خمس قبائل أو أربع، منها (سَعدُ بن بكر) و(جُشَمُ بن بكر) و(نَصر بن معاوية) و(ثَقيف).

قال (أبو عُبيد): وأحسب أفصَحَ هؤلاء (بني سعد بن بكر) لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «أنا أفصح العرَب مَيْدَ أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر» وكان مُسترْضَعاً فيهم، وهم الذين قال فيهم (أبو عمرو بن العلاء): أفصح العرب (عُليا هَوازِن) و(سُفلى تميم).

وعن (عبد الله بن مسعود) أنه كان يَستَحِبُّ أن يكون الذين يكتبون المَصاحف من (مُضر).

وقال (عمر): لا يُمْلِيَنَّ في مَصاحِفِنا الاَّ غلمان (قريش) و(ثَقيف).

وقال (عثمان): اجعلوا المُمليَ من (هُذَيل) والكاتبَ من (ثقيف).

قال (أبو عبيد): فهذا ما جاء في لغات مُضر. وقد جاءت لغاتٌ لاهل (اليَمَن) في القرآن معروفةٌ. منها قوله جلّ ثناؤه «مُتَّكِئين فيها على الأرائك» فحدثنا أبو الحسن علي عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال حدثنا

---

(١) قال الشيخ: أظن الشيخ هشام بن محمد — (الأصل)

هُشَيم أخبرنا منصور عن (الحسن) قال: «كُنا» يقال إنها بالحَبَشية. وقوله «هَيْتَ لك» يقال انها بالحورانيَّة. قال: فهذا قول أهل العلم من الفقهاء.

قال: وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء، وأنه كلَه بلسانٍ عربيّ، يتأوّلون قوله جلّ ثناؤه «إنا جعلناه قرآنا عربياً» وقوله «بلسان عربيّ مبين».

قال (أبو عبيد): والصواب من ذلك عندي — والله أعلم — مذهب فيه تصديق القولين جميعاً. وذلك أنَّ هذه الحروف وأصولها عجمية ـ كما قال الفقهاء — الاَّ أنها سقطَت الى العرب فأعربَتها بألسنَتها، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربيّة. ثم نزل القرآن وقد اختلَطت هذه الحروفُ بكلام العرَب. فمن قال انها عرَبيـة فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق.

قال: وانما فسرّنا هذا لئلا يقدِمَ أحد على الفقهاء فيَنْسبَهم الى الجهل، ويتوهَّم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله جلَّ ثناؤه بغير ما أرادهُ الله جلَّ وعزَّ، وهم كانوا أعلمَ بالتأويل وأشدَّ تعظيماً للقرآن.

قال أحمد بن فارس: ليس كل من خالف قائلا في مقالته فقد نسَبَه الى الجهل. وذلك أن الصدر الاول اختلفوا في تأويل آي من القرآن فخالف بعضهم بعضا. ثم خلَفَ من بعدهم من خلَف، فأخذ بعضهم بقولٍ وأخذ بعض بقول، حسب اجتهادهم وما دلَّتهم الدَّلالة عليه. فالقول إذن ماقاله أبو عبيد، وان كان قوم من الأوائل قد ذهبوا الى غيره.

فان قال قائل: فما تأويل قول أبي عبيد، فقد أعظم وأكبر؟

قيل له: تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير. وذلك أن القرآن لو كان فيه

من غير لغـة العرب شيء ، لتوهَّم متوهِّم أن العرب انما عَجَزت عن الايتان بمثـله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها ، وفي ذلك ما فيه .

وإذا كان كذا فلاوجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية لأن الفارسـية ترجمة غير مُعْجزة . وانمَّا أمر الله جلّ ثناؤه بقراءة القرآن العربي المعجز . ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لـكانت كتبُ التفسير والمصنفاتُ في معاني القرآن باللَّفظ العربيِّ أولى بجواز الصَّلاة بها ، وهـذا لا يقوله أحد .

باب القول في مأخذ اللغة

تؤخـذ اللغة اعتيادا كالصبي العربيّ يسمع أبويه وغيرهما ، فهو يأخـذ اللغة عنهم على مرِّ الأوقات .

وتؤخذ تلقُّناً من ملقّن .

وتؤخذ سماعاً من الرُّواة الثِقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتَّقى المظنون .

فحدثنا عليُّ بن ابراهيم عن المَعْدَانيّ عن أبيه عن معروف بن حسان (١) عن اللَّيث عن (الخليل) قال : ان النَّحارير رُبَّما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العـرب ارادة اللَّبْس والتَّعْنِيت .

قلنا فَليَتَحرَّ آخذُ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة . فقـد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا . واللهَ جل ثناؤه نستهدي التوفيق ، واليـه نرغب في إرشادنا لسُبُل الصـدق ، انه خـير موفق ومعين .

(١) أبو معاذ معروف بن حسان . — (الأصل)

باب القول في الاحتجاج باللغة العربية

لغةُ العرب يحتج بها فيما اختُلف فيه ، اذا كان أيَّام أقرائكَ . قال (أبو بكر) : ومن العظيم أنّ علياً وعمر رضي الله عنهما قد قالا « القُرُؤُ الحيضُ » فهل يُجتَرَا على تجهيلهما باللغة ؟

ومنها قوله في قوله جل ثناؤه « حرِّضِ المؤمنين على القتال » أنه أرادَ الذكور دون الاناث . قال : وهذا من غريب ما يَغلَط فيه مثله . يقول الله جل ثناؤه « يا بني آدمَ ! » أفترُاه أراد الرّجالَ دون النساء ؟

قال ابن داود : وإنَّ قَبيحاً مُفرِطَ القَباحة بمن يعيب (مالك بن أنسٍ) بأنه لَحَن في مخاطَبَةِ العامَّةِ بأن قال « مُطِرنا البارحة مطراً أيَّ مطراً » أن يرضَى هولنفسه أن يتكلم بمثل هذا . لأنَّ النَّاس لم يزالوا يلحنون ويتَلاحَنونَ فيما يخاطب بعضُهم بعضاً اتِّقاءَ للخروج عن عادة العامةِ فلا يَعيبُ ذلك من يُنْصِفهم من الخاصة، وانّما العيب على من غلِط من جهة اللغة فيما يغير به حكمَ الشّريعة والله المستعان .

فلذلك قلنا : انّ علم اللغة كالواجب على أهل العلم ، لئلاَّ يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سَنَن الاستواء .

وكذلك الحاجة الى علم العربية ، فان الاعراب هو الفارق بين المعاني . ألا ترى أنّ القائل اذا قال «ماأحسن زيد» لم يفرّق بين التعجب والاستفهام والذمّ الا بالاعراب . وكذلك اذا قال « ضرب أخوك أخانا » و « وَجهُك وجهُ حرٍّ » و « وجهُك وجهٌ حرٌّ » وما أشبَهَ ذلك من الكلام المشتَبه .

هذا وقد روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال

« أعرِبوا القرآن » .

وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤنه اجتنابَهم بعضَ الذنوب . فأما الآن فقد تجوزوا حتى أن المحدّث يحدث فيلحن . والفقيه يؤلف فيلحن . فأذا نُبها قالا : ماندري ماالاعراب وانما نحن محدّثون وفقهاء . فهما يسران بما يساء به اللبيب .

ولقد كلمتَ بعض من يذهبُ بنفسه ويراها من فقه الشافعي بالرتبة العُليا في القياس . فقلت له : ما حقيقة القياس ومعناه ، ومن أي شيءٍ هو ؟ فقال : ليس عليّ هذا وإنما علي إقامة الدّليل على صحته .

فقل الآن في رجل يروم إقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه ، ولا يدري ما هو . ونعوذ بالله من سوء الاختيار .

باب القول على لغة العرب

هل لها قياس ، وهل يشتق بعض الكلام من بعض ؟

أجمع أهل اللغة – إلاّ من شذّ عنهم – أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتقّ بعض الكلام من بعض .

وأن اسم الجنّ مشتق من الاجتنان . وأن الجيم والنون تدلاّن أبداً على الستر . تقول العرب للدِّرع : جُنَّة . وأجَنَّه الليلُ . وهذا جنين ، أي هو في بطن أمّه أو مقبور .

وأن الإنس من الظهور . يقولون : آنَسْت الشيء : أبصرته .

وعلى هذا سائرُ كلام العَرَب ، عَلِم ذلك مَن عَلِم وجَهِلَهُ مَن جهل .

قلنا : وهذا أيضاً مبنيٌّ على ما تقدم من قولنا في التوقيف . فإن الذي وقَّفنا على أن الاجتنان التستر هو الذي وقَّفنا على أن الجنّ مشتق منه . وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، لأن في ذلك فسادَ اللغة وبُطلانَ حقائقها . ونكتةُ الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن .

باب القول على أن لغة العرب لم تنته الينا بكليتها
وأن الذي جائنا عن العرب قليل من كثير .
وأن كثيرا من الـكلام ذهب بذهاب أهله .

ذهب علماؤنا أو أكثرهم الى أنّ الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الأقلّ . قال : ولو جائنا جميعُ ماقالوه لجائنا شعرٌ كثيرٌ وكلام كثير .

وأحرِ بهذا القول أن يكون صحيحاً . لأنّا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب ، فلا يكاد واحد منهم يُخبّر عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والامكان .

ألا ترى أنّا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الاغراء « كَذَبك كذا » وعما جاء في الحديث من قوله « كَذَبَ عليكم الحجّ » و« كَذَبَكَ العَسَلُ » وعن قول القائل :

كذبتُ عليـكم أوْعِدُوني وَعَلِّلُوا
بيَ الأرضَ والأقوامَ قِرْدانَ مَوْظَبا .

وعن قول الآخر :

كَذَبَ العَتِيقُ وماءُ شَنٍّ باردٌ
إن كنتِ سائلتي غَبُوقاً فاذهبِ .

ونحن نعلم أن قوله « كذب » يَبْعُدُ ظاهره عن باب الإغراء .

وكذلك قولهم «عَنْكَ في الارض » و « عنك شيئاً » وقول الأفوه :

عنكمُ في الارض إنّا مَذْحِجٌ
ورُويداً يفضح الليلَ النهارُ .

ومن ذلك قولهم « أعمَدُ من سيّد قتله قومُه ؟ » أي « هل زاد ؟ » فهذا من مشكل الكلام الذي لم يفسر بعدُ . قال ابن ميّادة :

وأعمَدُ من قوم كفاهم أخوهم
صدامَ الأعادي حينَ فُلّتْ نيوبُها؟

قال الخليل وغيره « معناهُ هل زدنا على أن كفينا ؟ » وقال أبو ذؤَيب :

صَخِبُ الشوارب لا يزالُ كأنه
عبدٌ لآلِ أبي ربيعة مُسْبَعُ .

فقوله « مسبَعٌ » ما فُسّرَ حتى الآن تفسيراً شافياً .

ومنه قول الأعشى :

ذاتُ غَرْب ترمي المقدَّمَ بالرِّدْ ـ
ف ، اذا ما تتابع الأرواق .

وقوله في هذه القصيدة :

المهِنينَ ما لهم في زمان الـ
ـجدب ، حتى اذا أفاق أفاقوا .

ومن هذا الباب قولهم « يا عيد مالَكَ » و « يا هيْء مالَكَ » و « يا شيْءَ مالَكَ » .

ولم يفسّروا قولهم « صَهْ » و « وَيْهَكَ » و « إِنيهْ » ولا قولَ القائل :

بخَائبكَ الْحقْ يهتِفونَ وحيّ هَلْ .

ويقولون « خائبكما » و « خائبكم » .

فأمّا (الزَّجرُ والدّعاء) الذي لا يُفهَم موضوعُه فكثير . كقولهم :

«حيَّ» و«حيَّ هلا» و«بمِينٍ ما أرَيْنَك» - في موضع اعْجَل. و«هَجْ» و«هَجَا» و«دَعْ» و«دَعا» و«لعاً» - للعاثِر يدعون له. وينشدون:

ومَطيَّةٍ حمَّلتُ ظهرَ مطيَّةٍ

حَرَجٍ تُنمَّى مِنْ عِثارٍ بدَعدَعِ.

ويروى عن النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال «لا تقولوا: دَعدَعْ ولا لَعْلَعْ، ولكن قولوا: اللهم ارْفَعْ وانْفَعْ.» فلولا أن للكلمتين معنى مفهوما عند القوم ما كَرِهَهُما النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم.

وكقولهم في الزّجر «أخِّرْ» و«أخِّرِي» و«ها» و«هلا» و«هابِ» و«ارْحَبِي» و«عَدِّ» و«عاجِ» و«ياعاطِ» و«يعاطِ» وينشدون:

وما كان على الجيْءِ ولا الهيْءِ امتداحيكا.

وكذلك «إجِدْ» و«أجْذِمْ» و«حِدِّجْ» لا نعلم أحداً فسّر هذا. وهو باب يَكْثُرُ ويُصَحِّحُ ما قلناه.

ومن المُشتَبِهِ الذي لا يقال فيه اليومَ الاَّ بالتقريب والاحتمال وما هو بغريب اللفظ لكنَّ الوقوف على كُنْهِهِ مُعتاصٌ - قولنا «الحِينُ» و«الزَّمان» و«الدَّهر» و«الأوان» - إذا قال القائل أو حلَفَ الحالف «والله لا كلمته حيناً ولا كلمته زماناً أو دهراً».

وكذلك قولنا «بِضْعَ سِنين» مُشتَبِه. وأكثر هذا مُشكل لا يُقْصَر بشيء منه على حدّ معلوم.

ومن الباب قولهم في الغِنى والفَقْر وفي الشريف والكَريم واللئيم، إذا قال «هذا لأغنياء أهلي» أو «فقرائهم» أو «أشرافهم» أو «كرامهم»

أو «لئامهم». وكذلك ان قال« امنعوه سفهاء قومي » لم يمكن تحديد السَّفه.

ولقد شاهدتُ منذ زمانٍ قريب قاضياً يريد حجراً على رجل مكتهل . فقلت « ما السبب في حجره عليه ؟ » فقال « يزعم أنه يتصيَّد بالكلاب وأنه سفيه » فقرئ على القاضي قوله جلّ ثناؤه « وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلّمونهنّ مما علّمكم الله ، فكلوا مما أمسكنَ عليكم » فأمسكَ القاضي عن الحجر على الكهل .

وكذلك اذا قال « مالي لذوي الحسب» أو «امنعوه السفلة » وما أشبه هذا مما يطول الباب بذكره فلا وجهَ في شيء من هذا غير التقريب والاحتمال ، وعلى اجتهاد الموصى اليه أو الحاكم فيه . والا فانَّ تحديدَه حتى لا يجوزَ غيره بعيدٌ .

وقد كان لذلك كله ناس يعرفونه . وكذلك يعلمون معنى ما نستغرب به اليوم نحن من قولنا « عُبْسُور » في الناقة و«عَيْسَجور » و«امرأة ضِنانيّ » و « فرس أشَقُّ أمقُّ خِبَقٌّ » ذهب هذا كله بذهاب أهله ولم يبق عندنا الا الرسم الذي نراه .

وعلماء هذه الشريعة، وان كانوا اقتصروا من علم هذا على معرفة رَسْمه دون علم حقائقه ؛ فقد اعتاضوا عنه دقيقَ الكلام في أصول الدين وفروعه من الفقه والفرائض . ومن دقيق النحو وجليله . ومن علم العروض الذي يربي بحسنه ودقته واستقامته على كل ما يبجح به الناسبون أنفسهم الى التي يقال لها الفلسفة. ولكل زمان علم ، وأشرف العلوم علم زماننا هذا والحمد لله .

باب انتهاء الخلاف في اللغات

تقع في الكلمة الواحـدة لُغتان. كقولهم « الصِّرام » و « الصَّرام ». و « الحِصاد » و « الحَصاد ».

وتقع في الكلمة ثلاث لُغات. نحو «الزُّجاج» و«الزِّجاج» و« الزَّجاج» و « وَشْكانَ ذا » و « وُشْكانَ ذا » و « وِشْكانَ ذا ».

وتقع في الكلمة أربع لُغات. نحو « الصِّداق » و « الصَّداق » و « الصَّدُقة » و « الصُّدْقة ».

وتكون منها خمس لُغات. نحو « الشَّمال » و « الشَّمِل » و « الشَّمَل » و « الشّأمَل» و « الشَّمْل».

وتكون فيها ست لُغات: « قُسْطاس» و«قِسْطاس» و «قُصْطاس » و « قُسْتاس » و « قُسَّاط » و «قِسَّاط».

ولا يكون أكثر من هذا.

* * *

والكلام بعد ذلك أربعة أبواب:

الباب الأوّل ـ المجمع عليه الذي لا علة فيه، وهو الأكثر والأعم. مثل: الحمد والشكر، لا اختلاف فيه في بناء ولا حركة.

والباب الثاني ـ ما فيه لغتان وأكثر إلاّ ان إحدى اللّغات أفصح. نحو « بغداذَ » و « بَغْدادَ » و « بَغْدانَ » هي كلها صحيحة، الاّ أن « بَغْدادَ » في كلام العرب أصحّ وأفصح.

والثالث ما فيه لُغتان أوثلاث أوأكثر، وهي متساوية، كـ « الحَصاد»

و« الحَصاد » . و « الصَّداق » و « الصِّداق » ، فأيًّا مّا قال القائل فصحيح فصيح .

والباب الرابع ـ ما فيه لغة واحدة ، إلاَّ أن المُوَلَّدِينَ غَيَّروا فصارت ألسنتهم بالخطإِ جاريةً . نحو قولهم « أَصْرَفَ الله عنك كذا » و « إنجاص » و « إمرأة مُطاعةٌ » و « عِرْق النِّسا » بكسر النون ، وما أشبه ذا .

وعلى هذه الأبواب الثلاثة بنى (أبو العباس ثعلب) كتابه المسمى (فصيح الكلام) أخبرنا به (أبو الحسن القطَّان) عنه .

آخر الجزء الثاني من أجزاء الشيخ أبي الحسين

باب مراتب الكلام

في وُضوحه وإشكاله .

أما واضح الكلام — فالذي يفهمه كلّ سامع عرَف ظاهرَ كلام العرب. كقول القائل : شربت ماءً ، ولقيت زيداً .

وكما جاء في كتاب الله جلّ ثناؤه من قوله « حُرِّمَتْ عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخِنْزير » وكقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا اسْتيقَظ أحدُكم من نومه ، فلا يَغمِسْ يدَه في الإِناء حتى يَغْسِلَها ثلاثاً . » وكقول الشاعر :

إن يحسدوني فاني غير لائمِهِم :
قبلي - من الناس - أهلُ الفَضل قد حَسِدُوا .

وهذا أكثر الكلام وأعمُّه .

وأما المشكل - فالذي يأتيه الاشكال من غَرابة لفظه ، أو أن تكون فيه إشارة الى خبر لم يذكرْه قائله على جهته ، أو أن يكون الكلام في شيْ غير محدود ، أو يكون وَجيزاً في نفسه غير مَبْسوط ، أو تكون ألفاظه مُشتركةً .

فأما المُشكِل لغرابة لفظه — فقول القائل « يَمْلَخُ في الباطل ملخاً ينْفُضُ مِذْرَوَيه » وكما أنه قيل « أيُدالكُ الرجل المرْأة ؟ » قال « نعم ، إذا كان مُلْفَجاً » ومنه في كتاب الله جلّ ثناؤه « فلا تَعْضُلوهن » ، « ومِن الناس من يعبُدُ اللهَ على حَرْف » ، « وسَيّداً وحَصُوراً » ، « ويُبْرِئُ الأكْمَهَ »

وغيرُهُ مما صنّف علماؤنا فيه كتبَ غريب القرآن. ومنه في حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «على التِّيعةِ شاة. والتِّيمة لصاحبها. وفي السُّيُوبِ الخُمُس لا خِلاطَ ولا وِراطَ ولا شِناقَ ولا شِغارَ. من أجْبى فقد أرْبى» وهذا كتابُه الى الأقيال العَبَاهلة. ومنه في شعر العرب:

وقاتِم الأعْماق شاْزٍ بِمَنْ عوَّه

مَضْبُورَة قَرْوَاء هِرْجَاب فُنُق.

وفي أمثال العرب «باقِعةٌ» و «شرَاب بأنْقُع» و «مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاع».

والذي أشكَلَ لايماء قائله الى خبر لم يُفصح به ــ فقول القائل «لم أفِرَّ يومَ عِنْيَنٍ» و «رُويداً سوقَكَ بالقوارير» وقول امرئِ القيس:

دع عنك نَهباً صِيح في حَجَراته.

وقول الآخر:

ان العصا قُرِعَت لِذي الحِلْم.

وفي كتاب الله جلّ ثناؤه مالا يعلم معناه الا بمعرفة قصته، قوله جلّ ثناؤه «قل مَن كان عَدُوّاً لجِبْرِيل فانّه نزّله على قلبك باذن الله» وفي أمثال العرب «عسَى الغُوَيْر أبْؤُساً».

والذي يشكل لأنه لا يُحَدُّ في نفس الخطاب ــ فكقوله جلّ ثناؤه «أقيموا الصلاة» فهذا مجمل غير مفصل حتى فسَّرَه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

والذي أشكل لوَجازة لفظه ــ قولهم:

الغَمَراتِ ثُمَّ ينجلينا

والذي يأتيه الاشكال لاشتراك اللفظ – قول القائل :

وضعوا اللُّجَّ على قَفَيَّ .

وعلى هذا الترتيب يكون الكلام كلّه في الكتاب والسُّنة وأشعار العرب وسائر الكلام .

باب ذكر ما اختصت به العرب

من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب ـ الاعراب الذي هو الفارق بين المَعاني المتكافِئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبَر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما مُيِّز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من مَنْعوت ، ولا تَعَجُّبٌ من استفهام ، ولا صَدْر من مصدَر ، ولا نعتٌ من تأكيد .

وذكر بعض أصحابنا أن الاعراب يختص بالأخبار ، وقد يكون الاعراب في غير الخبر أيضاً . لأنا تقول « أزيدٌ عندك ؟ » و « أزيداً ضربت ؟ » فقد عَمِل الاعراب وليس هو من باب الخبر .

وزعم ناس يُتَوَقَّفُ عن قبول أخبارهم أن الذين يُسمَّون الفَلاسِفة قد كان لهم إعرابٌ ومؤلَّفاتُ نحوٍ . قال أحمد بن فارس : وهذا كلام لا يُعَرَّجُ على مثله . وإنما تَشَبَّهَ القوم آنفاً بأهل الاسلام ، فأخذوا من كتب علمائنا ، وغَيَّرُوا بعض ألفاظها ، ونسبوا ذلك الى قوم ذَوي أسماء منكرةٍ بتراجمَ بَشِعَةٍ لا يكاد لسان ذي دين ينطق بها .

وادَّعوا مع ذلك أن للقوم شعراً ، وقد قرأناه فوجدناه قليل الماء ، نَزْرَ الحَلاوة ، غير مستقيم الوزن .

بلى ، الشِّعر شعر العرب ، ديوانُهم وحافظ مآثرهم ، ومُقيّدُ أحسابهم، ثم للعرب العَروض التي هي ميزان الشِّعر . وبها يُعرف صحيحه من سقيمه .

ومن عرف دقائقه وأسراره وخفاياه علم أنه يُرْبي على جميع ما يَتَبجَّحُ به هؤلاء الذين يَنتَحِلون معرفة حقائق الأشياء من الأعداد والخطوط والنقط التي لا أعرف لها فائدة غير أنها مع قلة فائدتها تُرِقّ الدّين ، وتنتج كل ما نعوذ بالله منه .

وللعرب حفظ الأنساب وما يُعلم أحدٌ من الأمم عُنِي بحفظ النسب عناية العرب . قال الله جلّ ثناؤه « يا أيها الناس إنا خَلَقنا كم من ذكر وأُنثَى .وجعلنا كم شعوباً وقبائل لِتَعارفوا » فهي آية ما عَمِلَ بمضمونها غيرُهم .

ومما خَصَّ الله جلّ ثناؤه به العَرَب طهارَتُهم ونَزاهتُهم عن الأدناس التي استَباحَها غيرهم من مُخالَطةِ ذوات المحارِم . وهي منقبة تَعْلو بجمالها كلَّ مأثرةٍ والحمد لله .

باب الأسباب الاسلامية

كانت العربُ في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم. فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام حالت أحوالٌ، ونُسخت ديانات، وأُبطلت أمورٌ. ونُقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر، بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت. فعفّى الآخرُ الأوّلَ، وشُغِل القوم - بعد المُغاورات والتّجارات وتَطلُّب الارباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصّيف، وبعد الاغرام بالصّيد والمُعاقرة والمياسرة - بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، وبالتّفقّه في دين الله عز وجل، وحفظ سنن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الاسلام.

فصار الذي نَشأَ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن وحتى تكلّموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دُوّن وحُفظ حتى الآن.

فصاروا - بعد ما ذكرناه - الى أن يُسئل إمامٌ من الأئمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فيُفتي ويَحسُبُ بثلاث كلمات. وذلك قول أمير المؤمنين عليٍّ صلوات الله عليه حين سُئل عن ابنتين وأبوين وامرأة «صار ثُمْنُها تُسْعاً» فسميت (المنبريّة).

والى أن يقول هو صلوات الله عليه على منبره والمهاجرون والأنصار متوافرون «سلوني، فوالله ما من آية الاّ وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار،

أم في سهل أم في جبل» وحتى قال صلوات الله عليه وأشار الى ابنيه« ياقوم ، استنبطوا مني ومن هذين علمَ مامضى وما يكون » والى أن يتكلم هو وغيره في دقائق العلوم بالمشهور من مسائلهم في الفرض وحده ، كالمشتركة، ومسئلة المباهلة والغَرّاء ، وأُمّ الفَرُّوخ ، وأُمّ الأرامل، ومسئلة الامتحان ، ومسئلة ابن مسعود ، والأكدريّة ، ومختصرة زيد ، والخرقاء ، وغيرها ممّا هو أغمَضُ وأدقّ •

فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب بتوفيقه عمّا ألفوه ونشأوا عليه وغذوا به ، الى مثل هـذا الذي ذكرناه . وكلّ ذلك دليل على حقّ الايمان وصحة نُبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم •

فكان مما جاء في الاسلام — ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق•وأنَّ العرب انمّا عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق • ثم زادت الشريعة شرائطَ وأوصافاً بها سُمّيَ المؤمن بالاطلاق مؤمناً . وكذلك الاسلام والمسلم ، انمّا عَرفت منه إسلامَ الشيء ثم جاء في الشَّرع من أوصافه ما جاء . وكذلك كانت لاتعرف من الكُفر إلاّ الغطاء والسَّتر•فأما المنافق فاسمٌ جاء به الاسلام لقوم أَبطَنوا غير ما أظهروه ، وكان الأصل من نافقاء اليَرْبوع • ولم يعرفوا في الفِسْق إلا قولهم « فَسَقَتِ الرُّطبة » إذا خرجت من قِشرها ، وجاء الشرع بأن الفِسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه •

ومما جاء في الشرع — الصلاة وأصله في لغتهم الدُّعاء . وقد كانوا عَرفوا الركوعَ والسجودَ ، وإن لم يكن على هذه الهيئة ، فقالوا :

أَوْ دُرَّةٍ صَدَفِيةٍ ، غوّاصُها

بَرَجٌ، متى يَرَها يُهِلَّ ويَسْجُدِ.(١)

وقال الاعشى :

يُراوحُ من صلوات المليك —
طَوْراً سجوداً، وطوراً جُؤاراً.

والذي عرفوه منه أيضا ما أخبرنا به عليٌّ عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال، قال (أبو عمرو) «اسْجدَ الرجلُ: طأطأ وانحنى» قال حُميدُ بن ثور :

فضول أزمَّتها أسْجدَت
سجودَ النصارى لأُربابها.

وأنشد :

فقلن له : أسْجِدْ لِليْلَى، فأُسجَدا.

يعني البعير اذا طأطأ رأسه لِتَرْكَبَهُ.

وهذا وإن كان كذا فان العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من الأعداد والمَواقيت والتَّحريم للصلاة، والتَّحليل منها.

وكذلك القيام أصله عندهم الامساكُ ويقول شاعرهم :

خَيلٌ صِيامٌ، وأُخرى غير صائمة
تحت العَجاج، وخيلٌ تعلُكُ اللُّجما.

ثُم زادت الشريعة النِّية، وحظَرت الأكلَ والمُباشَرَةَ وغير ذلك من شرائع الصوم.

(١) البيت لزياد بن معاوية نابغة بني ذبيان من قصيدته في وصف المتجردة والبيت الذي قبل هذا :
قامت تراءى بين سجفي كلة .
كالشمس يوم طلوعها بالأسعد .

وكذلك الحَجُّ ، لم يكن عندهم فيه غير القصد ، وسَبْر الجِراح . من ذلك قولهم :

وأَشهَدُ من عوفٍ حُلولاً كثيرةً ،
يَحجُّون سِبَّ الزِّبرِقان المُزَعْفَرا .

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره .

وكذلك الزَّكاة ، لم تكن العرب تعرفها إلاَّ من ناحية النَّماء ، وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لاطالة الباب بذكره .

وعلى هذا سائر ما تركنا ذِكرَه من العُمْرَة والجهاد وسائر أبواب الفقه.

فالوجه في هذا اذا سُئل الانسان عنه أن يقول في الصلاة اسمان لُغويٌّ وشرعيٌّ ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ، ثم ما جاء الاسلام به . وهو قياسُ ما تركنا ذكرَه من سائر العلوم ، كالنحو والعَروض والشِّعر : كل ذلك له اسمان لُغوي وصِناعيٌّ .

باب القول في حقيقة الكلام

زعم قوم أن « الكلام ما سُمع وفُهم » وذلك قولنا « قام زيد » و « ذهب عَمْرٌو » .

وقال قوم « الكلام حروف مؤلَّفة دالة على معنى » .

والقولان عندنا متقاربان ، لأن المسموع المفهوم لا يكاد يكون إلاَّ بحروف مؤلَّفة تدل على معنى .

وقال لي بعض فقهاء بغداد : إن الكلام على ضربين مهمَل ومستعمَل . قال : فالمهمل « هو الذي لم يوضع للفائدة » والمستعمل « ما وضع ليفيد » فأعلمته أن هذا كلام غيرُ صحيح ، وذلك أن المهمَل على ضربين : ضربٌ لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب بَتَّةً ، وذلك كجيم تؤلَّف مع كاف أو كاف تقدَّم على جيم ، وكعين مع غين ، أو حاء مع هاء أو غين ، فهذا وما أشبهه لا يأتلف .

والضرب الآخر ما يجوز تألُّف حروفه لكن العرب لم تَقُل عليه ، وذلك كارادة مريد أن يقول « عضخ » فهذا يجوز تألُّفه وليس بالنافر ، ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة « خضع » لكن العرب لم تقل عضخ . فهذان ضربا المهمل .

وله ضرب ثالث وهو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذَّلَقِ أو الاطْباق حرف .

وأي هذه الثلاثة كان فانه لا يجوز أن يسَمى « كلاماً » لما ذكرناه

من أنه وإن كان مسموعاً مؤلفاً فهو غير مفيد . وأهل اللغة لم يذكروا المهمل في أقسام الكلام وإنما ذكروه في الأبنية المهملة التي لم تَقل عليها العرب . فقد صح ما قلناه من خطاءِ من زعم أن المهمل كلام .

باب أقسام الكلام

أجمع أهل العلم أن الكلام ثلاثة : اسم وفعل وحرف .

فأما الاسم - فقال سيبويه « الاسم نحو رجل وفرس » وهذا عندنا تمثيل ، وما أراد سيبويهِ به التحديد ، إلاَّ أن ناساً حكوْا عنه أن « الاسم هو المحدَّث عنه » وهذا شبيه بالقول الأول لأن « كيف » اسم ولا يجوز أن يحدَّث عنه .

وسمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن داود الفقيهَ يقول سمعت (أبا العباس محمد بن يزيد المُبَرِّد) يقول : مذهب سيبويه أن «الاسم ما صَلَحَ أن يكون فاعلاً» قال : وذلك أن سيبويه قال « ألا ترى أنك لو قلت إن يضرب يأتينا وأشباهَ ذلك لم يكن كلاما ، كما تقول إن ضاربك يأتينا» قال: فدل هذا على أن الاسم عنده ما صَلَحَ له الفعل .

قال : وعارضه بعضُ أصحابه في هذا بأن « كيفَ» و«عندَ» و«حيثُ» و « أينَ » أسماء وهي لا تصلح أن تكون فاعلة . والدليل على أن أين وكيف أسماء قول سيبويه « الفتح فى الاسماء قولهم كيف وأين » فهذا قول سيبويه والبحث عنه .

وقال الكسائي « الاسم ما وُصِفَ » وهذا أيضاً مُعارَض بما قلناه من

كيف وأين أنهما اسمان ولا يُنعتان ٠

وكان الفرّاء يقول « الاسم ما احتمل التنوين أو الاضافة أو الألف واللام » وهـذا القول أيضاً معارَض بالذي ذكرناه أو نذكره من الأسماء التي لا تنوّن ولا تضاف ولا يُضاف اليها ولا يدخلها الألف واللام ٠

وكان الأخفش يقول « إذا وجدت شيئاً يَحسُنُ له الفعل والصفة نحو زيد قام وزيد قائم ثم وجدته يثني ويُجمع نحو قولك الزيدان والزيدون ثم وجدته يمتنع من التصريف فاعلم أنه اسم » ٠ وقال أيضاً : ما حَسُن فيه « ينفعني » و « يَضُرُّني » .

وقال قوم : مادخل عليه حرف من حروف الخفض ٠ وهذا قول هشام وغيره . وله قول آخر : ان الاسم ما نودِي ٠ وكلّ ذلك معارَض بما ذكرناه من كيف وأين ومن قولنا « إذا » وإذا اسم لِحِينٍ ٠ فحدثني علي بن ابراهيم القطان قال سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرد يقول حدثني أبو عثمان المازِنيُّ قال : سألت الأَخفَشَ عن « إذا » ما الدليل على أنها اسم لحين ؟ فلم يأتِ بشيء ٠ قال : وسُئِلَ الجَرْمِيُّ فشغَّبَ ٠ وسُئِلَ الرّياشيُّ فجوَّد وقال : الدليل على أنها اسم للحين أنه يكون ضميراً ، ألا ترى أنك تقول « القتال إذا يقوم زيد » كما تقول « القتال يوم يقوم زيد » ؟ وقد أومأ الفراء في معنى « إذا » الى هذا المعنى ٠

وعاد القول بنا الى تحديد الاسم . فقال المبرد في كتاب (المُقتَضَب) : كل مادخل عليه حرف من حروف الجر فهو اسم فان امتنع من ذلك فليس باسم ٠ وهذا معارض أيضا بكيف وإذا وهما اسمان لا يدخل عليهما شيء من حروف الجرّ ٠

وسمعت أبا بكر محمد بن أحمد البصير وأبا محمد سَلْم بن الحسن يقولان سُئِلَ الزَّجاج عن حد الاسم فقال : صوت مُقَطَّع مفهوم دالٌّ على معنى غيرُ دال على زمان ولا مكان . وهـذا القول معـارض بالحرف وذلك أنا تقول « هل » و « بل » وهو صوت مُقَطَّع مفهوم دالٌّ على معنى غـيرُ دال على زمان ولا مكان .

وقول من قال « الاسم ما صَلَحَ أن ينـادى » خطأ أيضاً لأن كيف اسم وأين وإذا ، ولا يَصْلُحُ أن يقع عليها نداء .

قال أحمد بن فارس: هذه مقالات القوم في حدّ الاسم يُعارضها ما قـد ذكرته . وما أعلم شـيئاً مما ذكرته سلم من معـارضة . والله أعلم أيُّ ذلك أصحّ . وذُكر لي عن بعض أهل العربية أن «الاسم ما كان مُسْتَقِرّاً على المسمى وقت ذكرك إيَّاهُ ولازماً له » وهذا قريب .

باب الفعل

قال الـكِسَائِيُّ « الفعل مادل على زمان» .

وقال سيبويهِ « أما الفعـل فأمثلةٌ أُخِذَت من لفظ أَحْدَاثِ الأسماء وبُنِيت لما مضى، وما يكون ولم يقع ، وماهو كائن لم ينقطع» فيقال لسيبويهِ : ذكرتَ هذا في أوَّل كتابك وزعمتَ بعدُ أنّ « لَيْسَ » و « عَسَى » و « نِعْمَ » « بِئْسَ » أفعال ، ومعلومٌ أنها لم تُؤخَذ من مصادر . فانقلتَ : اني حدَدْتُ أكثر الفعل وتركت أقلَّه قيل لك : إن الحد عند النُّظَّار مالم يَزِد المحدود ولم يَنْقُصْهُ ما هو له .

وقال قوم « الفعل ما امتنع من التثنية والجمع». والرَّدُّ على أصحاب هذه المقالة أن يقال : إن الحروف كلها ممتنعة من التثنية والجمع وليست أفعالاً .

وقال قوم « الفعل ما حَسُنَتْ فيه التـاء نحو قمتُ وذهبتُ » وهـذا عندنا غلط لأنا قد نسميه فعلاً قبل دخول التاء عليه .

وقال قوم «الفعل ماحَسُنَ فيه أمْسِ وغداً » وهذا على مذهب البصريين غيرُ مستقيم ، لأنهم يقولون أنا قائم غداً ، كما يقولون أنا قائم أمسِ .

والذي نذهب اليه ماحكيناه عن الـكِسَائِيّ من أن «الفعل مادلّ على زمان كخرج ويخرج » دلَّنا بهما على ماض ومستقبل .

باب الحرف

قال (سِيبَوَيْهِ) : وأما ما جاء لمعنى ، وليس باسم ولافعل ، فنحو « ثُمَّ » و « سَوْفَ » و« واو القسم » و « لام الاضافة » .

وكان (الأَخْفَشُ) يقول : ما لم يحسُنْ له الفعل ولا الصفة ولا التثنية ولا الجمع ولم يَجُزْ أن يَتَصَرَّف - فهو (حرف) .

وقد أكثرَ أهلُ العربية في هذا ، وأقربُ ما فيه ما قاله سيبويهِ ، انه الذي يفيد معنىً ليس في اسم ولا فعل . نحو قولنا « زيدٌ منطلقٌ » ثم نقول « هل زيدٌ منطلق ؟ » فأفدْنا بـ« هل » ما لم يكن في « زيد» ولا «منطلق » .

باب أجناس الأسماء

قال بعضُ أهل العلم :

الأسماء خمسة ـ (اسم فارقٌ) و (اسم مُفارِقٌ) و (اسم مُشْتَقٌّ) و (اسم مُضاف) و (اسم مُقتَضٍ) .

فالفارق ـ قولنا « رجل » و « فرس » فرقنا بالاسمين بين شخصين .

والمفارق ـ قولنا « طفل » يفارقه اذا كَبِر .

والمشتق ـ قولنا « كاتب» وهو مشتق من « الكتابة » ويكون هذا على وجهين : أحدهما مَبْنِيًّا على فَعَلَ وذلك قولنا « كتب فهو كاتب » ، والآخر يكون مشتقاً من الفعل غيرَ مبنيٍّ عليه كقولنا « الرحمن » فهذا مشتق من « الرحمة » وغير مبني من « رحم » .

وكلّ ما كان من الأوصاف أبعدَ من بنية الفعل فهو أبلغُ ، لأن «الرحمن» أبلغُ من « الرحيم » لأنا نقول « رَحِمَ فهو راحم ورحيم» ونقول «قَدَر فهو قادِرٌ وقَدير » . واذا قلنا « الرحمن » فليس هو من « رَحِمَ » وإنمّا هو من « الرَّحْمة » . وعلى هذا تجري النعوت كلُّها في قولنا « كاتب » و« كَتَّاب » و « ضارب » و « ضَرُوب » .

والمضاف ـ قولنا « كلّ » و « بعض » لا بدّ أن يكونا مضافَين .

والمُقْتَضي ـ قولنا « أَخ » و « شَريك » و « ابن » و « خَصْم » كلُّ واحد منها إذا ذُكر اقتضى غيرَهُ ؛ لأن الشريك مُقْتَضٍ شريكا والأخ مقتضٍ آخر .

وقال بعضُ الفقهاء :

أسماءُ الاعيان خمسة ـ (اسمٌ لازمٌ) و (اسمٌ مفارقٌ) و (اسمٌ مُشتَقٌّ) و (اسمٌ مُضاف) و (اسمٌ مُشَبَّهٌ) .

فاللازم ـ « انسان » و « سماء » و « أرض » لأن هـذه الأسماء لا تنتقلُ من مُسَمَّياتها .

قال : والمُفارِق ـ اللقب الذي يُسمى نحو « زيد » و « عمرو » وقد يقع أيضاً بأنْ يقال : المفارق « الطفل » لانه اسم يزول عنه بِكِبَرِه .

والمشتق ـ كـ « دابَّة » و « كاتب » .

والمضاف ـ قولنا « ثوبُ عمرٍو » و « جزءُ الشيء » .

والمشبِّه ـ قولنا « رَجُلٌ حَدِيدٌ وأَسَدٌ » على وجه التشبيه .

قال : وجِماعُها أنها وُضِعت للدَّلالة بها .

قلنا : وهذه قسمة ليست بالبعيدة .

باب النعت

النَّعتُ ـ هو الوصف كقولنا « هو عاقل » و « جاهل ».

وذُكر عن (الخليل) أن النعت لا يكون إلاّ في محمود ، وأن الوصف قد يكون فيه وفي غيره .

والنَّعتُ ـ يجري مَجْرَيَيْنِ : أحدهما تخليص اسم من اسم كقولنا « زيد العطَّار » و « زيد التَّميمي » خلصناه بنعته من الذي شاركه في اسمه . والآخر على معنى المدح والذم نحو « العاقل » و « الجاهل » .

وعلى هذا الوجه تجري أسماء الله جلَّ وعز ، لأنه المحمود المشكور المثنى عليه بكلّ لسان ؛ ولا سَمِيَّ له ـ جلّ اسمهُ ـ فيخلُص اسمه من غيره .

باب القول على الاسم
من أيّ شيءٍ أُخذ ؟

قال قوم: الأسماء سِماتٌ دالّة على المُسَمَّيات، ليُعرَف بها خطاب المخاطِب. وهذا الكلام محتمِل وجهين: أحدهما أن يكون الاسم سِمةً كالعلامة والسِّيماء. والآخر أن يقال: إنه مشتق من «السِّمَة». فان أراد القائل أنها سِماتٌ على الوجه الأول ـ فصحيح. وإن كان أراد الوجه الثاني ـ فحدثني أبو محمد سَلْم بن الحسن البغدادي قال سمعت (أبا اسحاق إبراهيم بن السَّرِي الزَّجَّاج) يقول: معنى قولنا «اسمٌ» مشتق من «السموّ» والسموّ الرفعة. فالأصل فيه «سِموٌ» على وزن حِمْل وجمعه «أسماء» مثل قولك قِنْو وأقناء. وإنما جعل الاسم تنويهاً ودَلالة على المعنى لأن المعنى تحت الاسم. ومن قال: إن اسماً مأخوذ من «وَسَمْتُ» فهو غلط، لأنه لو كان كذا لكان تصغيره «وُسَيْمٌ» (١) كما أن تصغير عِدَة وصِلَة: وُعَيْدَة ووُصَيْلَة.

قال أبو اسحاق: وما قلناه في اشتقاق «اسم» ومعناه ـ قول لا نعلم أحداً فسَّرَه قبلنا.

قلت: وأبو اسحاق ثقة. غير أني سمعت أبا الحسين أحمد بن عليّ الأحول يقول سمعت أبا الحسين عبد الله بن سفيان النحوي الخزاز يقول سمعت (أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد) يقول: الاسم مُشتق من «سما» إذا علا.

قال: وكان أبو العباس رُبما اختصني بكثير من علمه فلا يُشركني فيه غيري.

---

(١) قال الشنقيطي: صوابه «وسِماً».

باب آخر في الأسماء

قد قلنا فيما مضى ما جاء في الاسلام من ذكر المسلم والمؤمن وغيرهما .

وقد كانت حدثت في صدر الاسلام أسماء ، وذلك قولهم لمن أدرك الاسلام من أهل الجاهلية « مُخَضْرَم » . فأخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم قال حدثنا محمد بن عباس الخُشْكي عن (اسماعيل بن أبي عبيد الله) قال : المخضرمون من الشعراء : من قال الشعر في الجاهلية ثم أدرك الاسلام .

فمنهم (حسان بن ثابت) و (لَبيد بن ربيعة) و (نابغة بني جعدة) و (أبوزيد) و (عمرو بن شاس) و (الزِّبْرقان بن بدر) و (عمرو بن معدي كرب) و (كعب بن زهير) و (معن بن أوس) .

وتأويل المخضرم : من خَضْرَمت الشيء أي قطعته ، وخَضْرَم فلان عطيته أي قطعها ، فسمي هؤلاء « مخضرمين » كأنهم قطعوا من الكفر إلى الاسلام . وممكن أن يكون ذلك لأن رتبتهم في الشعر نقصت لان حال الشعر تكامنت في الاسلام لَمـا أنزل الله جلَّ ثناؤه من الكتاب العربي العزيز . وهذا عندنا هو الوجه ، لأنه لو كان من القطع لكان كلُّ من قُطع إلى الاسلام من الجاهلية مخضرماً ، والأمر بخلاف هذا .

ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم : المِرباع ، والنَّشِيطة ، والفُضول ، ولم نذكر الصَّفِيّ لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد اصطفى في بعض غزواته وخُصَّ بذلك ، وزال اسم الصَّفِي لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومما تُرِكَ أيضاً: الأتاوة، والمَكْس، والحُلوان. وكذلك قولهم: إنْعَم صباحاً، وانْعم ظلاماً. وقولهم للملك: أبيتَ اللعن. وتُرِكَ أيضاً قول المملوك لمالكه: رَبِّي. وقد كانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب. قال الشاعر:

وأسْلَمْنَ فيها رَبَّ كِنْدَةَ وابنَهُ
وربَّ معدِّ بين خَبْتٍ وعَرعَر.

وتُرِكَ أيضاً تسميةُ من لم يَحُجَّ «صَرورَةً». فحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد - في حديث الأعمش - عن عمرو بن مُرَّة عن أبي عبيدة عن (أبي موسى) قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «لا صَرُورَةَ في الاسلام» ومعنى ذلك فيما يقال: هو الذي يَدَعُ النكاح تَبَتُّلاً. حدثني علي بن أحمد بن الصَّبَّاح قال سمعت (ابن دُرَيْد) يقول: أصل الصَّرُورة أن الرجل في الجاهلية كان إذا أحدث حدثاً فلجأ إلى الحرم لم يُهَجْ وكان إذا لقيه وليّ الدم في الحرم قيل: هو صَرورَة فلا تَهِجْه. ثم كثر ذلك في كلامهم حتى جعلوا المتعبد الذي يجتنب النساء وطيبَ الطعام: صرورة وصروريّاً، وذلك عَنَى النابغة بقوله:

صَرورَةٍ متعبِّد. (١)

أي منقبض عن النساء. فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام وأوجب إقامة الحدود بمكة وغيرها سمّي الذي لم يَحُجَّ «صَرورة» خلافاً لأمر الجاهلية، كأنهم جعلوا أن تركه الحجَّ في الاسلام كترك المُتَألِّه إتيانَ النساء والتنعّم في الجاهلية.

«١» من قصيدته في وصف (المتجردة) وتمام البيت قوله:
او أنها عرضت لاشمط راهب
عبد الاله ضرورة متعبد.

ومما تُرِكَ أيضاً قولهم : الابل تُساق في الصَّداق النَّوافِج . على أن من العرب من كان يكره ذلك . قال شاعرهم :

وليس تِلادي من وِراثة والدي ،
ولا شانَ مالي مُستفادُ النوافِجِ .

وكانوا يقولون « تَهْنِكَ النافِجَةُ » (١) مع الذي ذكرناه من كراهة ذوي أقدارهم لها وللعقول . قال (جَنْدَلُ الطُّهَوِيّ) :

وَمافَكَّ رِقّي ذاتُ خلْقٍ خَبَرْنَجٍ
ولا شانَ مالي صَدْقَةٌ وعقولُ .
ولـكن نَماني كلُّ أبيضَ صارِمٍ ،
فأصبحتُ أدري اليومَ كيف أقول .

ومما كُرِه في الاسلام من الألفاظ قول القائل « خَبُثَت نفسي » قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا يقولَنَّ أحدُكم خَبُثَتْ نفسي » .

وكُرِه أيضاً أن يقال : استأثر الله بفلان .

ومما كَرِهه العلماء قول من قال : سُنّة أبي بكر وعمر ، إنما يقال : فَرْضُ الله جلّ وعزّ وسُنَّتُه ، وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

ومما كانت العرب تستعمله ثم تُرِكَ قولهم : حِجْراً محجوراً . وكان هذا عندهم لمعنيين : أحدهما عند الحِرْمان إذا سُئِل الانسان قال حِجراً محجوراً ، فيعلم السائل أنه يريد أن يحرمه . ومنه قوله :

---

(١) وتهنئك ، على الخبر .

حَنَّتْ إلى النَّخلة القُصْوى فقلت لها :

حِجْرٌ حرام ألا تلك الدَّهارِيسُ •

والوجه الآخر : الاستعاذة . كان الانسان إذا سافر فرأى من يخافه قال : حِجراً محجوراً . أي حرام عليك التعرّض لي • وعلى هذا فُسِّرَ قوله عزّ وجل « يومَ يَرَوْنَ الملائكةَ لا بُشرى يومئذ للمجرمين ، ويقولون : حِجراً محجوراً » يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه في الدنيا .

باب ماجرى مجرى الأسماء

وإنما هي ألقاب

ومما جرى مجرى الاسم وهو لقب قولهم : مُدْرِكة وطابخة • وذلك في العرب على ثلاثة أضرب : ضربٌ مدح ، وضربٌ ذم ، وضربٌ تلقّب الانسان لفعل يفعله •

فالمدح — تلقيبهم البَحْر والحَبْرَ والباقر والصادق والدِّيباج وغيرهم.

والذم — فكتلقيبهم بالوَزَغ ورَشْح الحَجَر وما أشبه ذلك •

وأما اللقب المأخوذ من فعل يُفعل — فكطابخة ومُدركة •

وقوله جلّ ثناؤه « ولا تَنابَزُوا بالألقاب » فقال (قتادة) : هو أن تقول للرجل : يافاسق يامنافق •

وروى الشَّعبيّ عن (أبي جُبَيْرَة بن الضحاك) ـ وأبو جبيرة رجل من من الأنصار من بني سلمة ـ قال : فينا انزلت هذه الآية ، وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدِمَ علينا ، وليس منا رَجُلٌ إلاّ له لقبان أو ثلاثة

فجعل بعضنا يدعو بعضاً بلقبه ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل هو أحياناً يدعو الرجل ببعض تلك الألقاب ، فقيل له : يارسول الله إنه يغضب من هذا ، فأنزل الله جل ثناؤه « ولا تنابزوا بالألقاب» .

وأما تسمية العرب أولادها بكلب وقرد ونمر وأسد – فذهب علماؤنا الى أن العرب كانت اذا وُلد لأحدهم ابن ذكر سماه بما يراه أو يسمعه مما يُتَفَاءَلُ به ، فان رأى حَجَراً أو سمعه تأوّل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر . وإن رأى ذئباً تأوّل فيه الفطنة والنُّكر والكسب . وان رأى حماراً تأوّل فيه طول العُمر والوقاحة . وان رأى كلباً تأوّل فيه الحِراسة وبُعدَ الصوت والإلفَ .

وعلى هذا يكون جميع ما لم نذكره من هذه الأسماء .

باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص

على المُجاوَرَة والسَّبب.

قال علماؤنا : العرب تسمّي الشيء باسم الشيء اذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب. وذلك قولهم «التيمُّم» لِمَسْح الوجه من الصعيد، وإنما التيمم الطلب والقصد . يقال : تيمَّمتك وتأممتك أي تعمّدتك .

ومن ذلك تسميتهم السحاب « سماءً » والمطر « سماء » وتجاوزوا ذلك الى أن سموا النبتَ سماءً . قال شاعرهم :

اذا نَزَل السماءُ بأرض قوم

وربما سموا الشحم « ندًى » لان الشحم عن النبت والنبت عن الندى قال (ابن أَحْمَرَ) :

كثور العداب الفَرْد يَضْرِبه النَّدى
تَعَلَّى النَّدى في متنه وتَحَدَّرا .

ومن هذا الباب قول القائل :

قد جعلتْ نفسيَ في أَديمِ

أراد بالنفس الماء وذلك أن قِوامَ النفس بالماء.

وذكر ناس أن من هذا الباب قوله جلّ ثناؤه «وأَنْزَلَ لَكُمْ من الأنْعام ثمانيةَ أَزواجٍ » يعني خلق . وإنما جاز أن يقول أنزل لأن الأنعام لا تقوم الاّ بالنبات والنبات لا يقوم الاّ بالماء ، والله جلّ ثناؤه ينزل الماء من السماء . قال : ومثله «قد أَنزَلْنا عليكم لِباساً» وهو جلّ ثناؤه إنما أَنْزَلَ الماء ، لكن

اللباس من القطن ، والقطن لا يكون إلاّ بالماء . قال : ومنه قوله جلّ ثناؤه « وليَستَعفِفِ الذين لا يجدون نكاحاً » إنما أراد والله أعلم ـ الشيء يُنكَح به من مَهر ونفقة ، ولا بد للمتزوج به منه .

باب القول في أصول أسماء

قِيسَ عليها وأُلحِقَ بها غيرُها

كان (الأصمعي) يقول : أصل « الوِرد » إتيان الماء ، ثم صار إتيانُ كلِّ شيءٍ وِرْداً . و « القَرَب » طلبُ الماء . ثم صار يقال ذلك لكل طلب ، فيقال « هو يَقْرَب كذا » أي يطلبه و « لا تَقْرَب كذا » .

ويقولون « رَفَعَ عَقيرَتَهُ » أي صوته . وأصل ذلك أن رَجُلاً عُقِرَتْ رِجله فرفعها وجعل يَصيحُ بأعلى صوته ، فقيل بعد ذلك لكل من رفع صوته : رفع عقيرته .

ويقولون « بينهما مسافة » وأصله من « السَّوف » وهو الشم . ومثل هذا كثير .

قلنا : وهذا الذي ذكرنا عن (الأصمعي) وسائر ما تركنا ذكره لشهرته فهو راجع الى الأبواب الأُوَلِ ، وكلّ ذلك عندنا توقيف على ما احتججنا له .

وقول هؤلاء : إنه كَثُرَ حتى صار كذا ، فعلى مافسرناه من أن الفرع مُوَقَّفٌ عليه ، كما أن الأصل موقّف عليه .

باب الأسماء كيف تقع على المسميات

يُسمَّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين ، وذلك أكثر الكلام كرَجُل وفَرَس .

وتُسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ، نحو « عين الماء » و « عين المال » و « عين السحاب » [(١)].

ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة . نحو « السيف والمهند والحُسام » .

والذي نقوله في هذا : ان الاسم واحد وهو « السيف » وما بعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الاخرى .

وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فانها ترجع الى معنى واحد . وذلك قولنا « سيف وعضب وحُسام » .

وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة الاَّ ومعناه غيرُ معنى الآخر . قالوا : وكذلك الأفعال . نحو : مضى وذهب وانطلق . وقعد وجلس . ورقد ونام وهجع . قالوا : ففي « قعد » معنى ليس في « جلس » وكذلك القول فيما سواهُ .

وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيي ثعلب .

واحتجّ أصحاب المقالة الاولى بأنه : لو كان لكلّ لفظة معنى غير معنى الأُخرى لما أمكن أن يعبّر عن شيء بغير عبارته . وذلك أنَّا نقول في « لاريب فيه » : « لاشك فيه » ، فلو كان « الرَّيْب » غير « الشَّكّ » لكانت العبارة عن معني الرّيب بالشك خطأ . فلما عُبِّرَ عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد .

---

(١) للمصنف قصيدة استعمل فيها العين بأكثر معانيها وقد أثبتناها في ترجمته التي صدرنا بها هذا الكتاب . راجع صفحة [يه] .

قالوا : وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيداً ومبالغة . كقولهم :

وهند أتى من دونها النأيُ والبُعدُ .(١)

فقالوا : فالنأي هو البعد قالوا : وكذلك قول الآخر إن الحبس هو الأَسْرُ .

ونحن نقول : إن في قعد معنى ليس في جلس . ألا ترى أنا نقول « قام ثم قعد » و« أخذَهُ المقِيمُ والمقْعِدُ » و « قَعَدَتِ المرأة عن الحيض » . ونقول لناس من الخوارج « قَعَدٌ » ثم نقول « كان مضطجعاً فجلس » فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأن « الجَلْسَ : المرتفع » فالجلوس ارتفاع عما هو دونه . وعلى هذا يجري الباب كلُّه .

وأما قولهم :إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يُعَبَّر عن الشيء بالشيء . فانا نقول : إنما عبِّر عنه من طريق المشاكلة ، ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان ، فيلزمنا ما قالوه . وإنما نقول إن في كلّ واحدة منهما معنًى ليس في الاخرى.

ومن سُنَن العرب في الأَسماء أن يسمّوا المتضادّين باسم واحد . نحو « الجَوْن » للأَسود و « الجَوْن » للأَبيض . وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضدّه .

وهذا ليس بشيء . وذلك أن الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي السيف مهنّداً والفَرَسَ طِرْفاً هم الذين رَوَوْا أن العرب تُسمِّي المتضادّين باسم واحد . وقد جرّدنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا ردّ ذلك

(١) البيت للحطيئة وصدره :
ألا حبذا هند وأرض بها هند .

ونقضه، فلذلك لم نكرِّره.

من ذلك «المائدة» لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام لأن المائدة من «مادني يميدني» اذا أعطاك. وإلاّ فاسمها «خِوان».

وكذلك «الكأس» لا تكون كأساً حتى يكون فيها شراب. وإلا فهو «قدح» أو «كوب».

وكذلك «الحُلَّة» لاتكون الاّ ثوبين: إزار ورداء من جنس واحد فان اختلفا لم تُدعَ حُلَّة.

ومن ذلك «الظَّعِينَة» لا تكون ظعينة حتى تكون امرأة في هودج على راحلة.

ومن ذلك «السَّجْل» لا يكون سجلاً الاّ أن يكون دلواً فيه ماء.

و «اللِّحْيَة» لا تكون لحية الاّ شعراً على ذَقَن ولَحْيَيْن[1].

ومن ذلك «الاريكَة» وهي الحَجَلة على السرير لاتكون الاّ كذا. فسمعت عليَّ بن ابراهيم يقول سمعت ثعلباً يقول: الأرِيكة لا تكون الاّ سريراً مُتَّخَذاً في قبة عليه شَوارُهُ ونجْدُهُ[2].

وكذلك «الذّنوب» لاتكون ذنوبا الاّ وهي ملأَى، ولا تسمّى خالية ذَنوباً.

ومن ذلك «القلم» لا يكون قلماً الاّ وقد بُرِيَ وأُصلح، والاّ

---

(١) اللحي، بفتح اللام: عظم الحنك الذي عليه الاسنان، ويكون من الانسان حيث ينبت الشعر وهو أعلى وأسفل، وجمعه ألحٍ ولحي مثل فلس وأفلس وفلوس.

(٢) الشوار: الزينة. والنجد: ما زين به البيت من الأساس والفروش والستور التي تشد على الحيطان والجمع نجود.

فهو أُنبوبَة.

وسمعت أبي يقول: قيل لأعرابي «ما القلم؟» فقال «لا أدري» فقيل له «تَوَهَّمْهُ» فقال «هو عود قُلِمَ من جانبيه كتقليم الأُظفور(١) فسُمِّيَ قلماً.»

ومن ذلك «الكوب» لا يكون الاّ بلا عروة.

و «الكوز» لا يكون الاّ بعُروة.

---

(١) الاظفور: بوزن أسبوع وجمه أظافير بمعنى الظفر.

باب الاسمين المصطلحين

أخبرنا عليّ بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال، قال الأصمعي: اذا كان أَخوان أو صاحبان وكان أحدهما أشهر من الآخر سُمّيا جميعاً باسم الأشهر، قال الشاعر:

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ «الحُرَّيْنِ» عني
مُغَلْغَلَةً وخُصَّ بها أُبَيَّا؟

وأحدهما هو (الحُرّ). وكذلك الزَّهدَمان والثعلبتان.(١)

ويكون ذلك في الأَلقاب كقولهم لِقَيْسٍ ومُعاوية ابنَيْ مالك بن حنظلة «الكُرْدوسان» ولِعَبْس وذُبْيان «الأَجربان».

وذَكَر الأبواب بطولها. وانما نذكر من كلّ شيءٍ رسماً لشُهرته.

(١) الزهدمان أخوان اسم أحدهما (زهدم) والآخر (كردم) قال قيس بن زهير:
جزاني الزهدمان جزاء سوء   وكنت المرء أجزى بالكرامه
ومن ذلك (الدحرضان) وهما ماءآن اسم أحدهما (دحرض) والآخر (وشيع). قال عنترة:
شربت بماء الدحرضين فأصبحت   زوراء تنفر عن حياض الديلم

باب في زيادات الأسماء

ومن سُنن العرب الزّيادة في حروف الاسم ، ويكون ذلك إما للمبالغة وإما للتشويه والتقبيح .

سَمعت مَن أَثِقُ به قال : تفعل العَرب ذلك للتشويه ، يقولون للبعيد ما بين الطرفين المفرط الطول « طِرِمّاح » وانما أصله من « الطَّرَح » وهو البعيد ، لكنه لما أفرط طوله سُمي طرمّاحاً ، فشُوّه الاسم لما شوهت الصورة . وهذا كلام غير بعيد .

ويجيء في قياسه قولهم « رَعْشَنٌ » للذي يرتعش و « خَلْبَنٌ » و « زُرْقُمٌ » للشديد الزَّرَق و « صِلْدِم » للناقة الصُّلْبة ، والأصل صَلْد و « شَدْقم » للواسع .

ويكون من الباب قولهم للكثيرة التَّسَمُّع والتَّنَظُّر « سِمْعَنَّة ، نِظْرَنَّة » .

ومن الباب : كبير وكُبار وكُبَّار . وطوَال وطُوَّال .

باب الحروف

قال أحمد بن فارس : هذا باب يصلح في أبواب العربية ، لكني رأيت فقهائنا يذكرون بعض الحروف في كتب الاصول ، فذكرنا منها ماذكرناه على اختصار .

فأصل الحروف – الثمانيةُ والعشرون التي منها تأليف الكلام كلّه . وتتولّد بعد ذلك حروف كقولنا « اصْطَبر » و « ادَّكر » تولّدت الطاء لعلة ، وكذلك الدال .

فأول الحروف (الهمزة) ، والعرب تنفرد بها في عُرْض الكلام مثل « قرأ » ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداءً .

ومما اختصت به لغة العرب (الحاء) و (الظاء) . وزعم ناس أن (الضاد) مقصورة على العرب دون سائر الأمم .

قال أبو عبيدة : وقد انفردت العرب بالألف واللام اللتين للتعريف كقولنا « الرجل » و « الفرس » فليسا في شيء من لغات الأمم غير العرب .

باب ذكر دخول (ألف التعريف ولامه) في الاسماء

تدخل ألف التعريف ولامهُ على اسمين : متمكن وغير متمكن . فالذي هو غير متمكن « الذي » و « التي » . والمتمكن قولنا « رجل » ثم يكون ذلك للجنس والتعريف . فالأول قولنا « رجل » لِمنكرٍ ، فإذا عُهِدَ مرّة قيل « الرجل » . والجنس قولنا « كثر الدينار والدّرهم » و « الذيب أخشاه إن مررت به » لا يريد به ذيباً بعينه ، انما يريد أنه يخشى هذا

الجنس من الحيوان.

ويكون الألف واللام بمعنى (الذي) كقولنا « جاءني الضاربُ عَمْراً » بمعنى الذي ضرب عمراً.

وربّما دَخلا على الاسم وضعاً، لا لجنس ولا لشيءٍ من المعاني كقولنا « الكوفة » و « البصرة » و « البِشْرُ » و « والثَّرْثارُ ». (١)

وربما دخلا للتفخيم نحو « العباس » و « الفضل ». وهذان هما اللذان يدخلان في أسماء الله — جل وعز — وصفاتِهِ.

باب (الألف المبْتَدَء بها)

يقولون : ألِفُ أصْل، وألف وصل، وألف قَطْع، وألف استفهام، وألف المُخْبِرِ عن نفسه.

فالألف التي للأصل قولنا « أتى يأتي ». وألف القطع مثل « أكرم ». وألف الاستفهام نحو « أخَرجَ زيد ؟ ». وألف المُخْبِرِ عن نفسه نحو « أنا أخرجُ ».

وألف الوصل — تدخل على الأسماء والأفعال والأدوات. ففي الأسماء قولنا « اسم » و « ابن » وفي الأفعال قولنا « اضْرِبْ ». والتي تدخل على الأدوات مختلف فيها: قال قوم هي الألف في قولك « أَيم الله ». والألف التي تدخل على لام التعريف مثل « الرجُل » وهذا في مذهب أهل البصرة. وكثيراً ما سمعت (أبا سعيد السيرافيّ) يقول في ألف (الرجل) (ألف لام التعريف). والكوفيون يقولون (ألف التعريف ولامه) وهما مثل « هل » و « بل ».

---

(١) البشر والثرثار : اسمان لواديين.

بابُ وُجوهِ دُخول (الألف) في الأفعال

دخول الألف في الأفعال لوجوه :

أحدها — أن يكون الفعل بالألف وغير الألف بمعنًى واحد نحو قولهم « رَمَيْتُ على الخمسين » و « أَرْمَيْتُ » أي زِدْت و « عَنَدَ العِرْقُ » اذا سال و « أَعْنَدَ » .

والوجه الآخر - أن يتغيَّر المعنيَان ، وان كان الفعلان في القياس راجعين الى أصل واحد نحو « وَعَيْتُ الحديث » و « أوعَيْتُ المتاعَ في الوعاء » . ومن هذا الباب « أَسْقَيْتُهُ » اذا جعلت له سُقْيًا و « سَقَيْتُهُ » إذا أنت سقيته .

والوجه الثالث — أن يتضادَّ المعنيان بزيادة الألف نحو « تَرِبَ » إذا افتقر و « أَتْرَبَ » إذا استغنى .

والوجه الرابع — أن يكون الفعلان لشيئين مختلفين ، فيكون بغير ألف لشيء وبالألف لشيء آخر . من ذلك « حَيَّ القومُ بعدَ هزال » إذا حسنت أحوالهم و « أحيَوْا » إذا حيَّت دَوابُّهم .

والوجه الخامس — أن يكون بالألف بمعنى العَرْض وبغير ألف لانفاذ الفعل نحو « بِعْتُ الفرس » إذا أمضيت بيعه و « أَبَعْتُهُ » إذا عرضته لبيع .

والوجه السادس — أن يكون بالألف إخبارا عن مجيء وقت نحو « أَحْصَدَ الزَّرعُ » حان له أن يُحْصد .

والوجه السابع - أن يكون دالاً على وجود شيء بصفة نحو « أَحْمَدْتُ الرجُل » إذا وجدته محموداً .

والوجه الثامن — أن يدل على إتيان فعل نحو « أَخَسَّ الرجل » أتى بِخَسِيسٍ .

وتكون الألف للتعدية نحو « أذهبتُ زيداً ».

وربما كانت هذه الألف للشيء نفسه (١)، ويكون الفاعل ذلك (٢) بلا ألف نحو « أقشَعَ الغيمُ » و « قشعَتْه الريحُ »، و « أنزفت البئرُ » ذهب ماؤها و « نزَفْناها نحنُ »، و « أنسلَ ريشُ الطائر » سقط و « نسلته أنا »، و « أكبَّ على وجهه » قال الله جل ثناؤه « أفمن يمشي مكبًّا على وجهه » و « كبَّهُ اللهُ » قال الله جل ثناؤه « فكُبَّتْ وجوهُهُمْ في النار ».

باب شرح جملة تقدَّمت (٣) في (ألِفات الوَصْل)

ألفات الوصل — تكون في صدور الأسماء والأفعال والأدوات ويذكر أهلُ العربية أنها نَيِّفٌ وأربعون ألفاً — على تكرير يقع في بعضها - لأن الذي يذكر منها في المصادر مكرَّرٌ في الأفعال.

فأما التي في الأسماء فتِسْعَ عشرة ألفاً. وهي على ضربين: ألفٌ في اسم لم يَصدر عن فعل، فالألفات في الأسماء التي لم تصدر عن الأفعال ثمانٍ: ألف « ابن » و « ابنة » و « اثنين » و « اثنتين » و « امرئ » و « امرأة » و « اسم » وألف ثامنة. والألِفات في الأسماء الصادرة عن الأفعال هي التي في « اقتطاع » و « انقطاع » و « استعطاف » و « ارتداد » و « احمرار » و « اسحنكاك » و « اقشعرار » و « اخروّاط » و « اعْريراء » و « اطّواف » و « اثيقال ». وهذه تكون في الإِدْراج ساكنةً وإذا ابتدىء بها كانت مكسورة.

وأما التي في الأفعال — فثلاث: منها في الأمر بالفعل الثلاثي. مثل

---

(١) أي عندما يكون لازماً. (٢) عند تعديه. (٣) تقدم ذكر ألف الوصل في (باب الألف المبتدءبها).

« اضرِبَ ، اعلمْ ، اقتُلْ » . ومنها في الأفعال الماضية التي صدرت عنها الأسماء المتقدم ذكرها إحدى عشرة ألفاً وهي : أفْتَعلَ ، وانْفعلَ ، واستَفعل ، وافعلَّ ، وافعالَّ ، وافعنلَلَ ، وافعلَّلَ وافعوَّلَ ، وافْعوْعلَ ، وافعَلَ ، وافاعلَ . وقد ذكرنا ترجمة هذه الأمثلة .

ثم تقع هذه الألفات بعينها في الأفعال المستقبلة المأمور بها وهي : افْعِلْ ، وانفعِلْ ، واستَفعِل ، وافعللْ ، وافعالِل . وافعنلِلْ ، وافعوِّلْ ، وافعوْعِلْ ، وافعلِّلْ . وافعِلّْ ، وافاعِلْ .

وقد أعلمتُ أن فيها تكريراً ليكون الباب أبلغ شرحاً .

وأما التي تقع في الأدوات — فقليلة على اختلاف فيها ، وإنما هي في قولهم « ايمُ الله » . والألف التي مع اللام في قولنا « الرجل » . وموضع الاختلاف أن الالف في «أيمُ » مقطوعة صحيحة . وهي بالهمزة أشبه منها بألفات الوصل ، إلاَّ أن تقول « إِيمُ الله » بالكسر فيكون حينئذ أشبه بألف الوصل .

والألف التي مع اللام قد تقدم ذكرها.

باب (الباء)

الباء من حروف الشفه. ولذلك لا تأتلف مع الفاء والميم : أما الفاء فلا تقارنها باء متقدمة ولا متأخرة . وأما الميم فلا تتقدم على الباء ملاصقةً لها بوجهٍ . ومتأخرةً كذلك إلا في قولنا « شَبِمٌ » . وقد يدخل بينهما دخيل في مثل « عبَام » وهي على الأحوال يقِلُّ تألُّفها معها .

وهي من الحروف الأصلية ، وما أعلمهم زادوها في شيء من ابنية

كلامهم ، إلا في حرف قاله الأغلب :

فَلَآتَ ثدياها مع النُّتُوب .

أراد « النُّتُوء » فزاد الباء .

والباء تكون للالصاق ، وللاعتمال ، وفي موضع « عن » ، وفي موضع « من » ، وتكون المصاحبة ، وتقع موقع « مع » ، وتقع موقع « في » و« على » ، وتكون للبدل ، ولتعدية الفعل ، وللسبب ، وتكون دالّة على نفس المُخْبَرِ عنه وظاهرها يُوهِم ان الإِخبارَ عن غيره ، ومنها المُلْصَقة بالاسم والمعنى الطرح ، ومنها باء الابتداء ، ومنها باء القَسَم .

فالالصاق — قولك « مسحت يدي بالأرض » . ومن أهل العربية من يقول « مررت بزيد » انها للإلصاق ، كأنه ألصق المرورَ به . وكذا إذا قال « هَزَأت به » .

والاعْتِمَال ـ قولنا « كتبت بالقلم » و « ضربت بالسيف » . وذكر ناس أن هذه والتي قبلها سواء .

والباء الواقعة موقع « عن » قولهم ـ « سألت به » انما أردت عنه . ومنه « سَأَلَ سائِلٌ بعذابٍ واقع » . ومنه :

وسائِلة بثعلبةَ بنِ سير

والباء الواقعة موقع « من » ـ في قوله جل ثناؤه « عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ الله » أراد منها . و :

شَرِبَتْ بِماء الدُّحْرُضَيْنِ(١) .

---

(١) من معلقة (عنترة بن شداد) وتمام البيت قوله :

شربت بمـاء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

وباء المصاحبة ـ « دخل فلان بثيابه وسيفه » وقوله عز وجل « وقد دخلوا بالكفر » ومنه « ذهبت به » لأنك تكون مصاحباً له .

والباء التي في موضع « في » قوله :

ما بكاءُ الكبير بالأَطلال .

والتي في موضع « على » قوله :

أَرَبٌّ يبول الثُّعْلُبانُ برأسه (١) ؟

أراد « على » .

وباء البدل ـ قولهم « هذا بذاك » أي عوض منه . ومنه :

قالت بما قد أراهُ بصيرا .

وباء تعدية الفعل ـ « ذهبت به » بمعنى « أذهبته » . وقوله جل ثناؤه « أسرى بعبده » ليس من ذا ، لان سرى وأسرى واحد .

وباءالسبب ـ قوله جل ثناؤه « والذين هم به مشركون » أي من أجله . فأما قوله جل وعز « وكانوا بشركائهم كافرين » فيحتمل أن يكونوا كفروا بها وتبرأوا منها . ويجوز أن تكون باء السبب ، كأنه قال « وكانوا من أجل شركائهم كافرين » .

والباء الدالّة عن نفس المُخبَر عنه والظاهر أنها لغيره ـ قولك « لقيت بفلان كريماً » إنما أردته هو نفسه . ومنه قوله :

ولم يَشْهَدِ الهَيْجَا بأَلْوَثَ مُعْصِمِ .

يقول : ان الناقة شربت من ماء (دحرض) وماء (وشيع) ـ ويسميان معا (الدحرضين) على التغليب ـ ونفرت عن حياض الديلم خوفا وفزعا ، لانها حياض أرض الاعداء .

(١) تكملته :

لقد ذل من بالت عليه الثعالب .

أراد نفسهُ .

والزّائدَة ـ قولك « هزَزت برأسي » و « لا يَقرأنَ بالسُّور »

وباء الابتداء ـ قولك « باسم الله » المعنى أبدأ باسم الله.

وباء القَسَم ـ « أُقْسِمُ بالله » ثم يحذف « أقسم » فيقال « بالله » .
فاذا أرادوا أن يُقسموا بمُضْمَر لم يقولوه إلاَّ بالباء ، يقولون « والله » فاذا أضمروا قالوا « به لا فعلت » قال :

ألا نادَتْ أُمامةُ بارْتِحال
لِتَحْزُنني ، فلا بِكِ ماأُبالي(١).

فأما قوله جلّ ثناؤه «ولم يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ » ، « بقادر » فقال قوم الباء في موضعها وأن العرب تعرف ذلك وتفعله . قال امرؤ القيس :

فان تَنْأَ عنها حِقْبَةً لم تُلاقِها
فانَّكَ مما أحْدَثَتْ بالمُجَرَّبِ (٢).

وقال قوم : إنما هو « بالمُجَرِّبَ » بكسر الراء ، ويكون معناه « كالمُجَرِّب » كما قال عديّ :

إنني واللهِ ـ فاقبل حَلْفَتي ـ
بأبِيلٍ كُلَّما صَلَّى جأَرْ .

قالوا : معناه « كابيل » وهو الراهب وبمنزلته في الدين والتقوى .

---

(١) من أبيات لغوية بن سلمى بن ربيعة اختارها أبو تمام في حماسته وفي رواية « باحتمال » بدل « بارتحال » والمعنى واحد .

(٢) من قصيدته التي وصف بها فرسه والصيد عند ما نزل به (علقمة بن عبدة) فتذاكرا الشعر وادعاه كل واحد منهما فتحا كم امرؤ القيس بهذه القصيدة وعلقمة بقصيدة مثلها الى زوجة امرىء القيس فحكمت لعلقمة ، فطلقها الاول وتزوجها الثاني .

ومن روى بيت امرئ القيس بالفتح فالمعنى « بموضع التجريب » كما قال جلّ ثناؤه « فلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ من العذاب » أي بحيث يفوزون. وكذلك « بالمجرّب » أي بحيث جرّبت وبحيث التجريب ، والمُجَرَّب والتجريب واحد . كقولهم « مُمَزَّق » بموضع تمزيق في قوله جلّ ثناؤه « ومَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّق » .

بابُ (التاء)

التاء — تزاد في الكلام اولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة: فزيادتها في الأسماء أُولى في نحو « تَنْضُب (١)» و« تَتْفُل (٢) » . وفي الفعل « تَفْعَل » وما أشبهه . والثانية نحو «اقتدر» . والثالثة «استفعل» . والرابعة « سَنْبَتَة من الدهر » لأن الأصل « سَنْبَة » . والخامسة مثل «عفريت» . والسادسة مثل «عنكبوت» .

ومن التاء — تاء القسَم نحو « تالله » . قالوا : هي عِوَض من الواو كقولهم « تُجَاه » و « تُكْلَان » .

وتقع في جمع المؤنث نحو « قائمات » .

وتكون بدلاً من الهاء في لغة من يقول « ليست عندنا عربيت » .

وتاء — تدخل على «ثُمَّ » و «رُبَّ » و «لا» ، كقولهم ثُمّت ورُبَّتَ ولاتَ حِين . وناس يقولون : هي داخلة على «حين» .

وتاء المؤنث — نحو « هي تفعل » .

وتاء النفس — نحو « فَعَلْتُ » و « فعلتَ » في المخاطبة . و «فعلتِ»

(١) نوع من الشجر . (٢) اسم دويبة .

و « فَعَلَتْ » في الاخبار عن المؤنث .

وتاء — تكون بدلاً من سين في بعض اللغات . أنشد ابن السِّكّيت :

يا قَبَّحَ اللهُ بني السِّعْلاتِ
عَمْرو بن مسعود شرارَ النات (١)

وأما (الثاء)

فلا أعرف لها عِلّةً ، ولا تقع زائدةً .

وكذلك (الجيم)

إلاّ في الذي ذكرناه من اللغات المستكرَهة .

و (الحاء) و (الخاء)

لا أعرف لهما علّةً .

و (الدّال)

لا عِلّةَ لها إلاّ في لغة من يقلب التاءَ دالاً . فحدثنا عليّ عن محمد بن فَرَح عن سَلَمَةَ عن الفرّاء قال : قوم من العرب يقولون « أجْدَبِيكَ » في موضع « أجتَبِيكَ » يجعلون تاءَ الافتعال بعد الجيم دالاً . ويقولون « اجْدَمَعُوا » . وأنشد :

فقلت لصاحبي : لاتحبسانا
بِنَزْع أُصوله واجْدَزّ شِيحا .

و (الراء)

لا أعرف لها علّة.

---

(١) تكملة :

ليسوا أعفاء ولا أكيات .

وكذلك (الزاي)

إلاّ في قولهم «رَازِيٌّ» و«مَرْوَزِيٌّ»(١).

وأما (السين)

فانها تزاد في «استفعل». ويختصرون «سَوْفَ أَفْعَلُ» فيقولون «سَأَفْعَلُ».

ولا أعرف (للشين) علّة غير الذي ذكرناه في الحروف المستكرهة.

وكذلك في الحروف التي بعدها حتى (العين).

وعِلّة (العين) أنّها تقوم مقام الهمزة في لغة (بني تميم) يقولون «علمت عَنَّ ذاك» كأنما أراد «أنَّ».

وكذلك الحروف التي بعدها حتى (الفاء).

باب (الفاء)

قال البصريون «مررت بزيد فعمرو: الفاء أشركتْ بينهما في المرور وجعلتْ الأول مبدوأ به».

وكان الأخفش يقول «الفاء تأتي بمعنى الواو» وأنشد:

بِسِقْطِ اللّوى بين الدَّخُول فَحَوْمَلِ. (٢)

وخالفه بعضهم في هـذا فقال: ليس في جعل الشاعرِ الفاء في معنى الواو فائدةٌ، ولا حاجة به إلى أن يجعل الفاءَ في موضع الواو وَوزنُ الواو كوزن الفاء. قال: وأصل الفاء أن يكون الذي قبلها علةً لما بعدها. يقـال

(١) رازي: نسبة الى (الري) مدينة في فارس. ومروزي: نسبة الى (مرو) مدينة أيضا.

(٢) مطلع معلقة (امرئ القيس) وصدره:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

« قام زيد فقام الناس » .

وزعم الأخفش أن الفاء تُزاد ، يقولون « أخوكَ فَجَهَدَ » يريد أخوك جَهَدَ ، واحتجَّ بقوله جلّ ثناؤه « فانَّ له نارَ جَهَنَّم » .

وكان قُطْرُب يقول بِقَوْلِ الأخفش ، يقول : إن الفاء مثلُ الواو في « بين الدخول فحَوْمَلِ » قال : ولولا أن الفاء بمعنى الواو لفسد المعنى ، لأنه لا يريد أن يُصيِّره بين (الدَّخول) أولاً ثم بين (حَوْمَل) وهـذا كثير في الشعر .

وتكون الفاء جوابا للشرط . تقول « إن تأتني فحسَنٌ جميل » ومنه قوله جل ثناؤه « والذين كفروا فتعسا لهم » دخلتِ الفاء لأنه جعل الكفر شريطة كأنه قال : ومن كفر فتعساً له .

وأمّا (القاف)

فلا أعلم لها علة إلاّ في جعلهم إيّاها عند التعريب مكان الهاء نحو « يَلْمَق » .

باب (الكاف)

تقع الكاف مخاطبة : للمذكر مفتوحة ، وللمؤنث مكسورة . نحو « لَكَ » و « لَكِ » .

وتدخل في أول الاسم للتشبيه فتخفض الاسم . نحو « زيد كالأسد » وأهل العربية يقيمونها مقام الاسم ويجعلون لها محلا من الاعراب ، ولذلك يقولون « مررت بكالأَسد » أرادوا بمثل الأسد . وأنشدوا :

على كالخنيف السَّحق يدعو به الصدى ،
له قلبٌ عاديَّةٌ وصُحونُ

فأما الكاف في قوله جل ثناؤه «أرأيتكَ هذا الذي كرّمْتَ عليّ ؟» فقال البصريون : هذه الكاف زائدة ، زيدت لمعنى المخاطبة. قال محمد بن يزيد : وكذلك رُوَيْدكَ زيداً . قال : والدليل على ذلك أنك إذا قلت أرأيتكَ زيداً ؟ فانما هي أرأيت زيداً ؟ لأن الكاف لو كانت اسماً لاستحال أن تُعدّى «أرأيت» الى مفعولين إلاّ والثاني هو الأول . يريد قولهم « أرأيتَ زيداً قائماً ؟ » لا يتعدى « رأيتَ » إلى مفعولين إلا إلى مفعول هو «زيد» ومفعول آخر هو « قائم » فالأول هو الثاني . قال : و « أرأيتك زيداً ؟ » الثاني غير الكاف، قال : وإن أردت رؤية العين لم يتعد إلا إلى مفعول واحد . قال : ومع ذلك إن فعل الرجل لا يتعدى إلى نفسه فيتصل ضميراً إلا في باب «ظَنَنْتُ» و«علِمْت» . فأما ضربتُني وضَرَبْتَك فلا يكون . وكذلك إذا قلت «رُوَيْدَكَ زيداً» انما يُراد « أروِدْ زيداً » قال الزجاج : الكاف في هذا المكان لا موضع لها لأنها ذكرت في المخاطبة توكيداً . وموضع هذا نصب بـ « أرأيتك ؟ » . وقال الكوفيون : إن محلّ هذه الكاف الرفع إذا قلنا «لولاك» فهي في موضع رفع . ثم تقول «لولا أنتَ» وإنما صَلَح هذا لأن الصورة في مثل هذا صورة واحدة في الرفع والنصب والخفض .

وتكون الكاف دالّة على البعد . تقول « ذا » فاذا بعُد قلتَ «ذاكَ» .

وتكون الكاف زائدة كقوله « ليس كمثله شيء » .

وتكون للعجب نحو « ما رأيت كاليوم ولا جِلْدَ مُخبَّأَةٍ » .

باب (اللام)

اللام ـ تقع زائدة في موضعين : في قولهم «عبدل» وفي قولهم «ذلك» .

واللام تكون مفتوحة ومكسورة : ففي المفتوحات (لام التوكيد) وربما قيل (لام الابتداء) نحو قوله جل ثناؤه « لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً » . وقال :

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عيني
احبُّ إليَّ من لبس الشُّفُوف(١) .

وتكون خبراً لـ « ان » : إنَّ زيداً لقائمٌ .

ولام التوكيد : إن هذا لأنت .

وتكون في خبر الابتداء نحو « أُم الحُلَيْس لعجوز » .

وزعم ناس أنها تقع صِلةً لا اعتبار بها . ويزعم أنه اعتبر ذلك من قراءة بعض القراء « إلا أنّهم ليأكلون » ففتح « أن » وألغى اللامَ . وأنشد بعضُ أهل العربية :

وأعلمُ علماً ليس بالظَّنّ أنّهُ
متى ذلَّ مولى المرء فهو ذليلُ ،
وأن لِسان المرء ـ مالم تكن له
حصاة ـ على عوراته لدليل(٢) .

ولام تكون جوابَ قَسَم « والله لَأَقومَنَّ » وتلزمها النونُ فان كانت للماضي لم يُحتَجْ إلى النونْ « والله لَقامَ » .

ولام الاستغاثة نحو قولهم « يا لَلنَّاس » فان عَطَفْتَ عليها أُخرى

---

(١) البيت من قصيدة لميسور بنت بحدل في تفضيل البداوة وبساطتها على الحضارة وزخرفها ، أنشأتها عند ما جيء بها من البادية الى قصر معاوية بن أبي سفيان في دمشق .

(٢) البيتان لطرفة بن العبد البكري من قصيدته التي أنشدها في عبد عمرو بن بشر بن عمرو ابن مرثد ومطلعها قوله :

لهند بحزان الشريف طلول   تلوح وأدنى عهدهن محيل .

وفي رواية « اذا ذل » مكان « متى ذل » و « الحصاة » التي في البيت الثاني بمعنى العقل والرأي .

كَثُرَتَ . يُنشِدُون :

يُبْكيكِ ناءٍ بعيدُ الدّارِ مُغْتَرِبٌ
يا للكهولِ وللشُّبّانِ والشِّيَبِ !(١)

قال بعض أهل العلم : إن لام الاضافة تجيء لمعان مختلفة :

منها أن تصيِّرَ المُضافَ للمُضافِ إليه . نحو « ولله ما في السماوات » .

ومنها أن تكون سبباً لشيء وعِلةً له . مثل « انّما نُطْعِمُكم لِوَجهِ الله » .

ومنها أن تكون إرادةً . نحو «قُمتُ لِأَضرب زيداً» بمعنى قمت أريد ضَرْبَهُ .

ومنها أن تكون بمعنى « عند » مثل قوله جل ثناؤه « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » و « لِدُلُوكِ الشمس » أي عنده .

ومنها أن تكون بمنزلة « في » . مثل قوله جل وعز « لِأَوَّلِ الحَشْر » أي في أول الحشر .

ومنها أن تكون لمرور وقت . نحو قول النابغة :

تَوَهَّمْتُ آياتٍ لها فعرفتها
لِسِتَّةِ أعوامٍ وذا العامُ سابعُ (٢)

ومنه قولهم « غلام له سنة » أي أتَتْ عليه سنة .

وتكون بمعنى « بعد » مثل قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

(١) يرويه النحويون في الشواهد : يا للكهول وللشبان للعجب .

(٢) من قصيدته التي يمدح بها (النعمان بن المنذر) ويعتذر اليه ويهجو (مرة بن ربيعة) لما قذف عليه عند النعمان . ومطلعها :

عفا (ذو حسا) من (فرتنا) فالفوارع فجنبا أريك فالتلاع الدوافع

« صوموا لِرُؤيته » أي بعد رؤيته .

وتكون للتخصيص . نحو « الحمد لله » وفي الكلام « الفصاحة لقريش والصباحة لبني هاشم » .

وتكون للتعجب . نحو « للهِ دَرُّه ! » ويُنشدون :

لِلّه يبقى على الأيّام ذو حِيَدٍ
بِمُشْمَخِرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ .(١)

ويقولون « يا لِلْعَجَبِ ! » معناه : ياقوم تعالوا الى العجب ولِلعجب أدعو .
وقد تجتمع التي للنداء والتي للعجب فيقولون :

ألا يالَ قوم لِطَيْفِ الخيالِ
يُؤَرِّقُ من نازِحٍ ذي دلال .

وتكون للأمر . نحو « لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ » وربما حذفت هذه فيقولون :
محمد تَفْدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ (٢)

وقالوا في لام الأمر : كان الأصل « اذهب » فلما سقطت الألف لم يوصل إلى الفعل إلا بلام ، لأن الساكن لا يُبْدأُ به .

وقوله جل ثناؤه « إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ » فقال قائل : لِمَ جاز أن تكون المَغْفِرة جزاءً لِمَا امْتَنَّ به عليه وهو قوله « إنّا فتحنا لك فتحاً » ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أن الفتح وان كان من الله جلّ ثناؤه فكل فعل يفعله العبد من خير فالله الموفق له والمُيَسِّر ، ثم يجازي عليه ، فتكون الحسنة من العبد مِنَّةً من الله جل وعز عليه ، وكذلك جزاؤه له عنها

(١) من شواهد سيبويه .
(٢) تكملته : اذا ماخفت من شيء تبالا .

منّة . والوجه الآخر أن يكون قوله جلّ ثناؤه « إذا جاء نَصرُ اللهِ والفتحُ ورأيتَ النّاسَ يَدخلُون في دينِ اللهِ أفْواجاً فسَبّحْ بحمدِ ربّكَ واستَغفِرْهُ » فأمَرهُ بالاستغفار إذا جاء الفتح ، فكأنه أعلمه أنه اذا جاء الفتح واستغفر غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، فكأن المعنى على هذا الوجه : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، فاذا جاء الفتح فاستغفر ربك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . وقال قوم : فتحنا لك في الدّين فتحاً مبيناً لتهتدي به أنت والمسلمون فيكون ذلك سبباً للغفران .

ومن اللامات لام العاقبة . قوله جل ثناؤه « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحَزَناً . » وفي أشعار العرب ذلك كثير :

جاءت لتُطعمَه لحماً ويفجعها
بابنٍ ، فقد أطعمت لحماً وقد فجعا .

وهي لم تجيء لذلك ، كما أنهم لم يلتقطوه لذلك ، لكن صارت العاقبة ذلك .

ومن الباب قوله جل ثناؤه « ربَّنا لِيَضلوُّا عن سَبيلِكَ » أي : آتيتهم زينةَ الحياة فأصارهم ذلك الى أن ضلوُّا . وكذلك قوله جل ثناؤه « فَتَنَّا بعضهم ببعض ليقولوا ... » هي لام العاقبة .

وتكون زائدة . نحو « هم لِرَبّهم يَرْهَبُون » و « للرُّؤْيا تَعْبُرُون » .

باب زيادة (الميم)

والميم تزاد أولى في مثل : مُفْعَل ومِفْعَل ومَفْعَل وغير ذلك .

وتزاد في أواخر الأسماء . نحو : زُرْقُمٌ وشَدْقَم .

و (النون)

تزاد أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة .

فالأولى ـ «نَفْعَل». وقالوا «نَرْجِس» وليس نرجس من كلام العرب، والنون لا تكون بعدها راء .

والثانية ـ نحو «ناقةٌ عنسلٌ» .

والثالثة ـ في «قَلَنْسُوَة» .

والرابعة ـ في «رَعْشَن» .

والخامسة ـ في «صَلَتَان» .

والسادسة ـ في مثل «زعفران» .

وتكون في أول الفعل للجمع . نحو «نخرج» .

وعلامة للرفع في «يخرجان» فاذا قلنا الرجلان فقال قوم هي عوض من الحركة والتنوين . وقال آخرون : هي فرق بين الواحد المنصوب والاثنين المرفوعين .

وتقع في الجمع نحو «مسلمون» وربما سقطت فقالوا «الحافظو عورة العشيرة[1]» .

وتكون ثانيةَ فعل المطاوعة نحو «انكسر» و «بَغَيْتُهُ فانبغى» .

وتكون للتأكيد مُخفَّفة ومثقَّلة . نحو «اضرِبَنْ» و «اضرِبَنَّ» إلا أنها تقلب عند التخفيف في الكتاب ألفاً . نحو «لنَسْفَعاً» .

وتكون للمؤنثة . نحو «تفعلين» وللجماعة «تفعلن» .

وتُلحق آخر الاسم في «زيدٌ خرج» فَرْق بين المفرد والمضاف .

---

(١) من بيت لدرهم بن زيد الانصاري وهو :

والحافظو عورة العشيرة لا يأتيهمو من ورائنا وكف

ويقولون : فرقاً بين ما يجري ومالا يجري . وقالت الجماعة إنما اختيرت النون لأنها أشبه بحروف الاعراب من جهة الغنّة .

ومما تختص به النون من بين سائر الحروف انقلابُها في اللفظ إلى غير صورتها ضرورة ، وذلك إذا كانت ساكنة وجاءت بعدها باء تنقلب ميماً . نحو « عنْبر » و « شنْباء » .

و (الهاء)

تُزاد في « يا زيْداه » وفي « سلْطانيهْ » وهم يسمونها (استراحة) و (بيانَ حركة) . وللوقف على الكلمة نحو « عِهْ » و « شِهْ » و « اقْتدِهْ » .

باب (الواو)

لاتكون الواو زائدةً أولى . وقد تزاد ثانيةً وثالثة ورابعة وخامسة .

فالثانية نحو « كوثر » . والثالثة نحو « جدول » . والرابعة نحو « قرنْوة » . والخامسة نحو « قمحدُوة » .

وتكون للنَّسَق ، وهو العطف ، نحو « زيد وعمرو » .

وتكون علامةَ رفع نحو « أخوك والمسلمون » .

فاذا قالوا « يُعجبني ضَربُ زيدٍ وتَغْضَبَ » فقال قوم : نُصِبَ « تغضبَ » على إضمار « أنْ » معناه وأن تغضب فيصيرُ في معنى المصدر . كأنك قلتَ « يعجبني ضَرْبُ زيد وغضَبُكَ » فتخرج بذلك من أن تكون ناسِقةً فعلاً على اسم . ويقولون :

للُبْس عباءة وتقرَّ عيني

بمعنى وأن تقرّ عيني . فان نَسَقْتَ فعلاً على فعل مجموعين فاعرابهما

واحد نحو « يقوم ويضرب زيداً » فان لم تُرِدِ الجمعَ بينهما نصبتَ الثاني فيقال نَصبَ باضمار « أنْ » يقولون « لاتأكلِ السمكَ وتشربَ اللبنَ »و:

لاتَنْهَ عن خُلُقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَهُ (١)

وتكون بمعنى الباء في القَسَم نحو « والله » .

وتكون الواو مُضْمَرَةً في مثل قوله جل ثناؤه « ولا على الذينَ إذا ماأتَوْكَ لِتَحْمِلَهم قلت : لا أجِدُ ما أَحْمِلُكم عليه تولَّوْا » التأويل : ولاعلى الذين ـ إذا ما أتوك لتحملهم وقلت : لا أجد ما أحملكم عليه ـ تولوا . فجواب الكلام الأول تولّوا .

وتكون بمعنى « رُبَّ » . نحو « وَقاتِمِ الأعْماقِ » .

وتكون بمعنى « معَ » كقولهم « استَوَى الماءُ والخَشَبَةُ » أي مع الخشبة وأهل البصرة يقولون في قوله جلّ ثناؤه « فأجْمِعوا أمْرَكم وشُرَكاءَكم » معناها مع شركائكم . كما يقال « لو تُرِكَت الناقة وفَصِيلَها » أي مع فصيلها . وقال آخرون : أجْمِعوا أمركم وادعوا شركاءكم ، اعتباراً بقوله جلّ وعز « وادعوا من استطعتم » .

وتكون صِلةً زائدةً كقولهجلّ وعز « إلاّ ولها كتابٌ معلوم » المعنى إلا لها .

وتكون بمعنى « اذ » كقوله جلّ وعز « وطائفةٌ قد أهمَّتْهُم » يريد اذ طائفة . وتقول « جيئت وزيدٌ راكب » أي اذ زيد .

وقال قوم : للواو معنيان : معنى اجتماع ومعنى تفرُّق نحو « قام زيد

(١) تمامه : عار عليك اذا فعلت عظيم .
وهذا البيت ينسب لابي الاسود الدؤلي وقيل لغيره .

وعمرو » . وان كانت الواو في معنى اجتماع لم تبلْ بأيّهما بَدأتَ . وان كانت في معنى تَفَرُّق فعمرو قائم بعد زيد .

وذهب آخرون الى أن الواو لا تكون إلاّ للجمع . قالوا : اذا قلت « قام زيد وعمرو » جاز أن يكون الأمر وقع منهما جميعاً معاً في وقت واحد وجاز أن يكون الأول تقدم الثاني ، ونكتة بابها أنَّها للجمع .

وتكون الواو عَطفاً بالبناء على كلام يُتوَهَّم وذلك قولك — اذا قال القائل « رأيتُ زيداً عند عمرو » — قلتَ أنتَ « أوَ هو ممن يُجالسه ؟ » قال البصريون: معناهُ كأنّ قائلا قال « هو ممن يجالسه » فقلتَ أنت « أوَ هو كذلك ؟ » . وفي القرآن « أوَ أَمِنَ أهلُ القُرى ؟ » وكذلك قوله جل ثناؤه « إنَّا لَمبْعوثُون ، أوَ آباؤنا ؟ » فليس بأو إنما هي واو عطف دخل عليها ألف الاستفهام كأنه لما قيل لهم « إنكم مبعوثون وآباؤكم » استفهموا عنهم.

وتكون الواو مُقْحَمَةً كقوله جلّ ثناؤه « فاضْرِبْ بهِ ولا تَحْنَثْ » أراد ـ والله أعلم ـ فاضرب به لا تحنث ، جزماً على جواب الأمر ، وقد تكون نهياً والأول أجود . وكذلك « مكنّا لِيوسُفَ في الأرض ولِنُعلّمهُ » أراد « لنعلمه » وقد قيل « ولنعلمه فعلنا ذاك » . وكذلك « وحِفْظاً من كل شيطان » أي « وحفظا فعلنا ذلك » . وقوله :

فَلمَّا أجزْنا ساحةَ الحيِّ وانْتَحى (١)

قيل : هي مُقْحمَة. وقيل : معناه أجزنا وانتحى .

(١) من معلقة (امرئ القيس) وتمامه :

بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل .

باب (الياء)

الياء ـ تُزاد أولى وثانيةً وثالثة ورابعة وخامسة .

فالأولى « يَرْمَعٌ[(١)] » و « يَرْبوعٌ » . والثانية « حَيْدَرٌ[(٢)] » . والثالثة « خَفَيْدَدٌ » . والرابعة « إصلِيتٌ[(٣)] » . والخامسة « ذَفاري[(٤)] » .

وتكون أولى في الافعال نحو « يضرب » .

وللاضافة نحو « عِبادِي » .

وللتثنية والجمع نحو « الزَّيْدَيْن » والزَّيْدِينَ » .

وتكون علامة للخَفْض نحو « أَخيك » .

وللتَّأنيث نحو « اسْتَغْفِرِي » .

وللتَّصْغير نحو « بُيَيْتٌ » .

وللنَّسَب نحو « كُوفِيّ » .

---

(١) اليرمع : الحصى الابيض الذى يلمع ، أخذ من رماء الصبي وهى ما يرمع (يتحرك) من يافوخه في أوان الرضاع .

(٢) الحيدر : القصير .

(٣) سيف اصليت : ماض في الضريبة مشتق من « صلت » وهو الأملس البراق .

(٤) هذه الكلمة مشتبهة في رسمها بين « ذفاري » و « ذباري » لتقاربهما في القاعدة المغربية التي كان المرحوم الشنقيطي يكتب بها .

باب القول على الحروف المفردة

الدالّة على المعنى

للعرب الحروف المفردة التي تدلُّ على المعنى . نحو التاء في « خرَجْتُ » و « خرَجْتَ » . و « ثوبي » و « فرَسي » . (١)

ومنها حروف تدلّ على الأفعال نحو « إزيداً (٢) » أي عِدْهُ . و « ح » من وحيتَ . و « دِ » من ودَيتُ و « ش » من وشَيتُ و « ع » من وعَيتُ و « ف » من وفَيتُ و « ق » من وقَيتُ و « ل » من ولِيتُ و « ن » من ونَيتُ و « هِ » من وهَيتُ ، الاّ أنّ حذاقَ النحويين يقولون في الوقف عليها « شِهْ » و « دِهْ » فيقفون على الهاء .

ومن الحروف ما يكون كناية ولهُ مواضع من الاعراب نحو قولك « ثوبه » فالهاء كنايةٌ لها محلٌّ من الاعراب .

ومنه ما يكون دلالةً ولا محلّ له مثل « رأيتهما » فالهاء اسم له محلّ والميم والألف علامتان لا محلّ لهما ، فعلى هذا يجيء الباب .

فأمّا الحروف التي في كتاب الله جلّ ثناؤه فواتحَ سور فقال قوم : كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله ، فالألف من اسمه « الله » واللام من « لطيف » والميم من « مجيد » . فالألف من آلائه واللام من لطفه والميم من مجده . يُروى ذا عن (ابن عباس) وهو وجه جيد ، وله في كلام العرب

(١) كذا بالاصل ولا يستقيم . وصوابه : ونحو الياء في « ثوبي » و « فرسي » .
الشنقيطي

(٢) من « وأى وأيا » بمعنى وعد . وتقول العرب « لاخير في وأي انجازه بعد لاي » أي بعد بطء .

شاهد ، وهو :

قلنا لها : قفي . فقالت : قاف .

وقال آخرون : ان الله جل ثناؤه أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب الذي يقرؤه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو الكتاب الذي أنزله الله جل ثناؤه لاشك فيه . وهذا وجه جيد ، لأن الله جلّ وعزّ دل على جلالة قدر هذه الحروف ، اذ كانت مادّة البيان ومباني كتب الله عزّ وجل المنزلة باللغات المختلفة ، وهي أصول كلام الأُمم ، بها يتعارفون ، وبها يذكرون اللهَ جلّ ثناؤه . وقد أقسم الله جل ثناؤه في كتابه بالفجر والطور وغير ذلك ، فكذلك شأنُ هذه الحروف في القسم بها .

وقال قوم : هذه الأحرف من التسعة وعشرين حرفاً دارت بها الألسنة ، فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه جل وعز ، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه ، وليس منها حرف الا وهو في مدة أقوام وآجالهم : فالألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون . رواه (عبد الله بن أبي جعفر الرازي) عن أبيه عن (الرّبيع بن أنس) وهو قول حسَنٌ لطيف ، لأنّ اللهَ جلّ ثناؤه أنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الفرقان فلم يدع نظماً عجيباً ولا علماً نافعاً الاأودعه اياهُ ، عَلِمَ ذلك من عَلمهُ وَجهِلهُ مَن جَهِلَهُ . فليس مُنكَراً أن ينزل الله جلّ ثناؤه هذه الحروفَ مشتملة ـ مع ايجازها ـ على ما قاله هؤلاء .

وقولٌ رُوِي عن (ابن عباس) في «ألم»: أنا الله أعلم . وفي «ألمص»: أنا الله أعلم وأفصل . وهذا وجه يقرب مما مضى ذكره من دَلالة الحرف الواحد على الاسم التامّ والصفة التامّة.

وقال قوم : هي أسماء للسُّور فـ « ألم » اسم لهذه و « حم » اسم لغيرها . وهذا يُؤثَرُ عن جماعة من أهل العلم ، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز ، فكذلك هذه الحروف في أوائل السُّوَر موضوعة لتمييز تلك السُّور من غيرها .

فان قال قائل : فقد رأينا « ألم » افتتح بها غير سورة ، فأين التمييز ؟ قلنا : قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ، ثم يُميز ما يجيء بعد ذلك من صفة ونعت كما قيل « زيد وزيد » ثم يميزان بأن يقال « زيد الفقيهُ » و « زيد العربيُّ » فكذلك إذا قرأ القارئ « ألم ذلك الكتاب » فقد ميزها عن التي أولها « ألم الله لا إلٰه الا هو » .

وقال آخرون : لكل كتاب سرٌّ وسرّ القرآن فواتح السور . وأظنّ قائل هذا أراد أن ذلك من السرّ الذي لا يعلمه إلا الخاص من أهل العلم والراسخون فيه .

وقال قوم : إن العرب كانوا اذا سمعوا القرآن لغوا فيه وقال بعضهم لبعض « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » فأنزل الله تبارك وتعالى هذا النظم ليتعجبوا منه ، ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم ، واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده ، فترق حينئذ القلوب وتلين الأفئدة .

وقول آخر : ان هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي أ ب ت ث فجاء بعضها مقطعاً وجاء تامها مؤلفاً ليدل القوم الذين نزل القرآن فيما بين ظهريهم أنه بالحروف التي يعقلونها فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة على عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد أن أعلموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها .

قال (أحمد بن فارس): وأقرب القول في ذلك وأجمعه قول بعض علمائنا: إن أولى الأمور أن تُجعل هذه التأويلات كلها تأويلاً فيقال: إن الله جل وعز افتتح السور بهذه الحروف ارادةً منه الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنى واحد. فتكون الحروف جامعة لأن تكون افتتاحاً للسور، وأن يكون كل واحد منها مأخوذاً من اسم من أسماء الله جل ثناؤه، وأن يكون الله جل ثناؤه قد وضعها هذا الموضع قَسَماً بها، وأن كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله جل وعز في انعامه وافضاله ومجده، وأن الافتتاح بها سبب لأن يستمع الى القرآن من لم يكن يستمع، وأن فيها اعلاماً للعرب أن القرآن الدال على صحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو بهذه الحروف، وأن عجزهم عن الاتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم دليل على كذبهم وعنادهم وجحودهم، وأن كلّ عدد منها اذا وقع في أول سورة فهو اسم لتلك السورة.

وهذا هو القول الجامع للتأويلات كلها من غير اطِّراح لواحد منها.

وانما قلنا هذا لأن المعنى فيها لا يمكن استخراجه عقلاً من حيث يزول به العذر، لأن المرجع الى أقاويل العلماء، ولن يجوز لأحد أن يعترض عليهم بالطعن وهم من العلم بالمكان الذي هم به، ولهم مع ذلك فضيلة التقدم ومزية السبق. والله أعلم بما أراد من ذلك.

باب الكلام في حروف المعنى

رأيتُ أصحابنا الفقهاء يضمّنون كتبهم – في أصول الفقه – حروفاً من حروف المعاني ، وما أدري ماالوجه في اختصاصهم إيّاها دون غيرها. فذكرت عامّة حروف المعاني رسماً واختصاراً ، فأوّل ذلك ما كان أوّله ألف :

باب (أم)

أم – حرف عطف نائب عن تكرير الاسم أوالفعل نحو «أزيد عندك أم عمرو ؟».

ويقولون : ربّما جاءت لقطع الكلام الاوّل واستئناف غيره ، ولا يكون حينئذ من باب الاستفهام. يقولون « إنّها لإبلٌ أم شاء » . ويكون ههنا – في قول بعضهم – بمعنى « بل » كقوله جل ثناؤه « أم يقولون شاعر » وينشدون :

كذبتك عينك ، أم رأيت بواسط
غلس الظلام من الرّباب خيالا(١)

وقال أهل العربية : أمررت برجل أم امرأة « أم » تُشرك بينهما كما أشركت بينهما « أو » .

وقال آخرون : في « أم » معنى العطف ، وهي استفهام كالألف ، إلاّ أنها لا تكون في أول الكلام لأن فيها معنى العطف .

وقال قوم : هي « أو » أبدلت الميم من الواو لتحول الى معنى ، يريد الى معنى « أو » وهو قولك في الاستفهام « أزيد قام أم عمر ؟ » فالسؤال

(١) من قصيدة للاخطل في هجو جرير .

عن أحـدهما بعينه . ولو جيئت بـ « أو » لسألت عن الفعـل . وجواب أو « لا » أو « نعم » وجواب أم « فلان » أم « فلان » .

وقال (أبو زيد) : العرب تزيد « أم » . وقال في قوله جل ثناؤه « أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ » : معناه « أنا خير » .

وكان (سيبويه) يقول : « أفلا تبصرون » : أم أنتم بصراء .

وكان (أبو عُبَيْدة) يقول : « أم » يأتي بمعنى ألف الاستفهام كقوله جل ثناؤه « أم تريدون أن تسألوا رسولكم ؟ » بمعنى « أتريدون ؟ » .

وقال (أبوزكريا الفراء) : العرب تجعل « بل » مكان « أم » وأم مكان بل . إذا كان في أول الـكلمة استفهام . فقال :

فوالله ما أدري أسلمى تغوّلتْ ،
أم النومُ ، أم كلٌّ إليَّ حبيب .

معناها « بل » .

فأما قوله جلّ ثناؤه « أم حَسِبْتَ أن أصحابَ الـكهفِ والرَّقِيمِ كانوا من آياتنا عجباً ؟ » فقيل : أظننت يامحمد هـذا ، ومن عجائب ربك جل وعزّ ماهو أعجب من قصة أصحاب الكهف ؟

وقال آخرون : « أم » بمعنى ألف الاستفهام كأنه قال « أَحَسِبْتَ ؟ » و « حسبت » بمعنى « علمت » ويكون الاستفهام في « حسبت » بمعنى الامر كما تقول لمن تخاطبه « أعلمت أن زيداً خرج ؟ » بمعنى أمر أي اعلم أن زيداً خرج . قال : فعلى هـذا التدريج يكون تأويل الآية : إعلم يا محمد أن أصحاب الـكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً .

باب (أو)

أو — حرف عطف يأتي بعد الاستفهام للشكّ: « أزيد عندك أو بكر؟ » تريد «أحدهما عندك؟ » فالجواب « لا » أو « نعم ». وإذا جعلت مكانها « أم » فأنت مثبت أحدهما غير أنك شاكٌّ فيه بعينه فتقول « أزيد عندك أم عمرو؟ » فالجواب « زيد » أم « عمر ».

وتكون « أو » للتخيير كقوله جل ثناؤه « فإطعامُ عشرةِ مساكينَ من أوسطِ ما تُطعِمون أهليكم، أو كِسوتُهم، أو تحريرُ رقبة».

وتكون للاباحة تقول « خذ ثوباً أو فرساً ».

وأمّا قوله جلّ ثناؤه «ولا تُطِعْ منهم آثماً أو كفُورا » فقال قوم: هذا يُعارَض ويُقابَلُ بضدّه فيصحّ المعنى ويبين المراد، وذلك أنّا نقول « أطِعْ زيداً أو عمراً » فإنما نريد أطع واحداً منهما، فكذا إذا نهيناه وقلنا « لا تطع زيداً أو عمراً » فقد قلنا لا تُطع واحداً منهما.

وقوله جلّ ثناؤه « الى مائة ألف أو يزيدون » فقال قوم: هي بمعنى الواو « ويزيدون ». وقال آخرون: بمعنى « بل ». وقال قوم: هي بمعنى الاباحة كأنه قال: إذا قال قائل « هم مائة ألف » فقد صدق وان قال غيره « بل يزيدون على مائة ألف » فقد صدق. وقول القائل « مررت برجل أو امرأة » فقد أشركتْ « أو » بينهما في الخفض واثبتت المرور بأحدهما دون الآخر.

وتكون « أو » بمعنى « إلاّ أنْ » تقول « لألزمنّكَ أو تُعطيني حقي » بمعنى إلاّ أن تعطيني. قال امرؤ القيس (١):

(١) من قصيدته التي أنشدها وهو ذاهب من الجزيرة العربية الى قيصر الروم في القسطنطينية

فقلتُ له لاتبكِ عينُكَ، إنمّا
نُحاول مُلكاً أو نموتَ فنعذرا .

وزعم قوم أن «أو» تكون بمعنى الواو ويقولون : كل حق لها داخل فيها أو خارج منها، وكل حق سميناه في هذا الكتاب، أو لم نسمه وان شئت قلت بالواو وأنشدوا :

فذلكما شهرين أونصفَ ثالث
الى ذا كما ماغيبتني غيابيا .

وكان الفراء يقول : في «مائة ألف أو يزيدون» : بل يزيدون. وقال بعض البصريين منكراً لها : لو وقعت « أو » في هذا الموضع موقع «بل» لجاز أن تقع في غير هذا الموضع وكنا نقول « ضربت زيداً أو عمراً » على غير الشك لكن بمعنى «بل»، وهذا غير جائز قالوا : ووجه آخر أنّ بل تأتى للاضراب بعد غلط أو نسيان، وهذا منفيّ عن الله جل ثناؤه ، فان أُتي بها بعد كلام قد سبق من غير القائل فالخطأ انما لحقَ كلام الأول نحو قوله جلّ ثناؤه « وقالوا : اتخَذ الرّحمنُ وَلَداً » فهم أخطؤا في هذا وكفروا به فقال جل وعز « بل عباد مكرمون » . وزعم قوم أن معناها « أو يزيدون على ذلك » .

قلنا : والذي قاله (الفراء) فقول قد تقدمه فيه ناس . وقول من قال : ان « بل » لايكون الاّ اضراباً بعد غلط أو نسيان نخطأ ، لأن العرب تنشد :

يستعين به على (المنذربن ماء السماء) وعلى (بني أسد) الذين قتلوا والد امرئ القيس وكان أميرا عليهم . ومطلع القصيدة قوله :

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا   وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

والبيت الذي قبل الذي ذكره ابن فارس قوله عن صاحبه (عمرو بن قميئة) :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه   وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا[1]

وهذا ليس من المعنيين في شيء .

فأما قوله « أو أشدُّ قسوةً » وما أشبهه من قوله عز وجل « كلمح البصر أو هو أقرب » أن المخاطِب يعلمه ، لكنه أبهمه على المخاطَب وطواه عنه . وقال آخرون : بعضها كالحجارة وبعضها أشدّ قسوة . أي هي ضربان : ضرب كذا أو ضرب كذا .

باب إي وأيْ

إي — في زعم أهل اللغة يكون بمعنى « نعم » تقول « إي وربي » أي « نعمْ وربّي » قال الله جل ثناؤه « ويستنبؤُنكَ أحقٌّ هو؟ قل : إي وربي »

وأيْ — معناها « يقول » ومثال ذلك أن تقول في تفسير « لا ريب فيه » : « أي لا شك فيه » ، المعنى : يقول لا شك فيه .

وسمعتُ أبا بكر أحمدَ بن عليّ بن اسماعيل الناقد يقول سمعت أبا اسحاق الحربيّ يقول سمعت عمر بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ يقول : سألت أبي عن قولهم « أيْ » ، فقال : كلمة للعرب تشيرُ بها الى المعنى .

باب إنَّ وأنَّ وإنْ وانْ

قال (الفرّاء) : « إنَّ » مقدرة لقسم متروك استُغْنِيَ بها عند التقدير : « والله انّ زيداً عالمٌ » . وكان (ثعلب) يقول : ان زيداً لقائم » هو جواب « مازيد بقائم » فـ « انّ » جواب « ما » و « اللام » جواب « الباء » . وكان

---

(١) مطلع أرجوزة مشهورة من نظم (العجاج) ولفظ « بل » زائد على الاصل . وبقية البيت قوله :
من طلل كالأتحمي أنهجا

بعض النحويين يقول : « انّ » مضارِعَة للفعل لفظاً ومعنىً : أما اللفظ فللفتحة [١] فيها كما تقول « قامَ » . والمعنى [٢] في « ان زيداً قائم » : ثبت عندي هذا الحديث . وقال (سيبويهِ) : سألت (الخليل) عن رجل سميناه بـ« ان » كيف اعرابه ؟ قال : بفتح الألف لأنه يكون كالاسم ، واذا كان بكسر الألف لكان كالفعل والأداة ، ولذلك نُصب في ذاته لأنه كالفعل ومعناه التثبيت للخبر الذي بعده ، ولذلك نصب به الاسم الذي يليه . ومما يدل على أن « إن » للتثبيت قول القائل :

إنّ مَحَلّاً وانَّ مُرْتَحَلا
وانَّ في السَّفْرِ مامضوا مَهَلا [٣]

وتكون « أنّ » — بمعنى « لَعَلّ » في قوله عزّ وجل « وما يشعركم أنّها إذا جاءت » بمعنى « لعلّها إذا جاءت » . وحكى (الخليل) : «إئتِ السوقَ أنّكَ تشتري انا شيئاً » بمعنى « لعلّك » .

و « أنّ » إذا كانت اسماً كانت في قولك « ظننت أن زيداً قائم » فيكون « أن » والذي بعدها قصةً وشأناً : نحو « ظننت ذاك » فيكون محلّه نصباً ، وإذا قلت « بلغني أن زيداً عالمٌ » فهذا في موضع رفع . وإذا قلنا « عجبت من أنّ زيداً كلّمكَ » فمحله خفض على مارتبناه من أنه اسم .

وأما « إنْ » — فانها تكون شرطاً ، تقول «إنْ خرجتَ خرجتُ» .
وتكون نفياً كقوله جلّ وعزّ « إنِ الكافرون إلا في غُرور »

---

(١) يعني أن مشابهة « ان » للفعل لفظا بفتح آخرها .
(٢) يعني أن مشابهتها للفعل من حيث المعنى بكونها تفسر به .
(٣) مطلع قصيدة من شعر (الاعشى) ومنها قوله :

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجلا

وكقول الشاعر :

وما إنْ طبُّنا جُبْناً (١)

وتكون بمعنى « إذ » قال الله جل وعز « وأنتم الأعلونَ إنْ كنتم مؤمنين » بمعنى « اذ » لأنه جل وعز لم يخبرهم بعلوّهم الا بعد ما كانوا مؤمنين .

وزعم ناس أنها تكون بمعنى « لقد » في قوله جلّ ثناؤه « ان كنّا عن عبادتكم لَغَافِلينَ » بمعنى « لقد كنا » .

و « أنْ » — تجعلُ الفعلَ بمعنى المصدر ، كقوله جل ثناؤه « وأن تصوموا خيرٌ لكم » بمعنى « والصوم خير لكم » .

وتكون بمعنى « اذ » تقول « أعجبني أنْ خرجتَ » و« فرحتُ أنْ دخلتَ الدار » .

---

(١) ورد في كتب الأدب بالرفع « وما ان طبنا جبن » وهو من قصيدة أنشدها (فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة المرادي الصحابي) وتروى لعمرو بن قماس . وقيل في سبب انشادها أن (همدان) جمعت ا (مراد) في أيام الجاهلية جمعا كثيرا وساروا اليهم فالتقوا في (الاحرمين) فظفروا بمراد وأصابوا منهم ، فقال في ذلك فروة :

ان نهزم فهزامون قدما وان نهزم فغير مهزمينا
وان طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
فبينداه يسر به ويرضى ولو مكثت غضارته سنينا
اذا انقلبت به كرات دهر فألفى بعد غبطته منونا
ومن يغبط (يغرر) بريب الدهر يوما يجد ريب الزمان له خؤنا
فأفنى ذلكم سروات قومي كما أفنى القرون الاولينا
فلو خلد الملوك اذن خلدنا ولو بقي الكرام اذن بقينا

ويروى منها:

اذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
كذاك الدهر دولته سجال تكر صروفه حينا فحينا

وقد تُضمَر في قوله :

ألا أيُّهذا الزّاجِريّ أحْضرَ الوغا [١]

وتكون بمعنى « أي » قال الله جـل ثناؤه « وانْطَلَقَ الملأُ منهم أنِ امشُوا » بمعنى : أي امشوا .

باب (الى)

تكون « إلى » بمعني الانتهاء ، تقول « خرجتُ من بَغْدادَ الى الكوفة » .

وتكون بمعنى « مع » . قالوا في قوله جلّ ثناؤه « مَنْ أنصاري الى الله؟ » : بمعنى « مع الله » وقال قوم : معناها مَن يُضيف نُصرتَه الى نصرة الله جل وعزلي ؟ فيكون بمعنى الانتهاء ، وكذلك قوله جلّ ثناؤه « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم » .

وربّما قامت « الى » مقام « اللام » قال (الشمّاخ) :

فالحقْ بِبَجلةَ ، ناسِبْهم وَكُنْ معهمْ
حتّى يُعيرُوكَ مجداً غيرَ مَوطُودِ .
واتركْ تُراثَ خُفاف إنهم هَلكوا
وأنت حيٌّ الى رِعْلٍ ومَطرُودِ [٢]

---

(١) من معلقة (طرفة بن العبد) وفي رواية « ألا أيهذا اللائمي » وفي رواية أخرى :
ألا أيهذا اللاحي أن أشهد الوغى وأن أحضر اللذات هل أنت مخلد ؟
والشاهد هنا نصب « أحضر » مع اضمار « أن » على رواية الكوفيين ، والبصريون يرفعونها.

(٢) البيتان من قصيدة (الشماخ بن ضرار المطفاني) التي يهجو بها (لربيع بن علباء السلمي) ومطلعها :
طال الثواء على رسم بيؤد أودى وكل خليل مرة مود
و (بجلة) التي في البيت الاول اسم لقبيلة . و (خفاف) التي في البيت الثاني اسم رجل تذهب اليه طائفة . و (رعل) قبيلة منسوبة الى (رعل بن مالك بن عوف) وهي في (اليمن) . و (مطرود) قبيلة منسوبة الى (مطرود بن كعب) . قيل ان الثلاثة بنو أب واحد . وقيل ان (خفافا) غير (رعل) و (مطرود) . والشاهد مجيء « الى » بمعنى « اللام » .

يقول : اترك تراث (خفاف) لرعل ومطرود. وخفافٌ ورعل ومطرود بنوأب واحد . وأخبرنا عليّ ابن ابراهيم القطان عن ثعلب عن (ابن الأعرابي) قال : ألقى عليّ أعرابيٌّ هذا البيت فقال لي : ما معناه ؟ فأجبته بجواب ، فقال لي : ليس هو كذا . وأجابني بهذا الجواب . وكان الذي أجابهُ بهِ ابنُ الأعرابي أن خفافاً من غير رعل ومطرود .

باب (ألاَ)

ألاَ — افتتاح كلام . وقد قيل : إن « الهمزة » للتنبيه و « لا » نفيٌ لدعوى في قوله جلّ ثناؤه « انما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون » فالهمزة تنبيهٌ لمخاطَب و « لا » نفي للاصلاح عنهم .

وفي كلام العرب كلمة اخرى تشبهها لم تجيْ في القرآن وهي « أما » وهي كلمة تحقيق إذا قلت « أما إنّه قائمٌ » فمعناه « حقًّا إنّه قائمٌ » .

باب (إنما)

سمعت عليَّ بن ابراهيم القطّان يقول سمعت ثعلباً يقول سمعت سلمة يقول سمعت الفرّاء يقول : إذا قلتَ « انّما قمت » فقد نفيتَ عن نفسكَ كلَّ فعل إلاّ القيام ؛ وإذا قلت « إنما قامَ أنا » فانك نفيتَ القيامَ عن كلّ أحد وأثبتَّهُ لنفسك .

قال الفرّاء : يقولون« ماأنتَ إلاَ أخي» فيدخل فيهذا الكلامالافراد ، كأنه ادّعى أنه أخٌ ومولىً وغير الأخوّة ، فنفى بذلك ماسواها . قال : وكذلك اذا قال « إنما أنت أخي » . قال الفراء : لايكونان أبداً إلا ردّاً ،

يعني أن قولك «ما أنت الا أخي» و «إنما قام أنا» لايكون هذا ابتداء أبداً وإنما يكون ردّاً على آخر، كأنّه ادّعى أنه أخٌ ومولى وأشياء أخر، فنفاه وأقرّ له بالأخوة، أو زعم زاعم أنه كانت منك أشياء سوى القيام فنفيتها كلّها ماخلا القيام.

وقال قوم: «إنما» معناه التحقير. تقول «إنما أنا بشر» محقراً لنفسك. وهذا ليس بشيء: قال الله جل ثناؤه «إنما الله إلهٌ واحد» فأين التحقير هاهنا؟

والذي قاله الفرّاء صحيح، وحجته قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «إنما الولاء لمن أعتق».

باب (إلّا)

أصل (الاستثناء) - أن تستثنيَ شيئاً من جملة اشتملت عليه في أول مالفظ به، وهو قولهم «ما خرج الناسُ إلا زيداً» فقد كان «زيد» في جملة الناس ثم أُخرج منهم، ولذلك سمي (استثناءً) لأنه ثُنِّيَ ذكره مرةً في الجملة ومرّة في التفصيل. ولذلك قال بعض النحويين: المستثنى خرج مما دخل فيه، وهذا مأخوذ من «الثِّنَا» والثِّنا الأمر يثنّى مرّتين: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «لا ثِنا في الصدقة» يعني لاتؤخذ في السنة مرتين. قال (أوس):

أفي جَنْبِ بَكْرٍ قطّعَتْني ملامةً؟
لعَمري لقد كانت ملامتها ثِنَا.

يقول: ليس هذا بأوّل لومها، فقد فعلته قبل هذا، وهذا ثِناً بعده.

وقال بعض أهل العلم : « إلا » تكون استثناء لقليل من كثير ، نحو « قام الناسُ إلا زيداً » . وتكون محققة لفعلٍ منفيّ عن اسم قبلها ، نحو « ما قام أحد إلا زيد » . وتكون بمعنى « واو العطف » كقوله :

وأرى لها داراً بأغدرة السـيّـ
ـدانِ لم يدرُس لها رسمُ
إلا رَماداً هامداً دفعت
عنه الرِّياحَ خوالِدٌ سُحْمُ

أراد « ورماداً » .

وتكون بمعنى « بل » كقوله جلّ ثناؤه « ما أنزلنا إليك القرآن لتشقى، إلا تذكِرَةً » بمعنى « بل تذكرة » . ومنه قوله عز وجل « والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم ، إلا الذين آمنوا ـ معناه والذين آمنوا ـ لهم أجر غير ممنون » .

وتكون « إلا » بمعنى « لكن » وتكون من الذي يسمونها (الاستثناء المنقطع) كقوله جل ثناؤه « لستَ عليهم بمُسيطِر ، الا من تولى ـ معناه لكن من تولى ـ وكفر » .

ومن الباب قوله جلّ ثناؤه « قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء » كان الفرّاء يقول : استثنى الشيء من الشيء ليس منه على الاختصار ، من ذلك هذه الآية . ثم قال : وفي كتاب الله جلّ ثناؤه « والفواحش إلا اللمم » قال : هو مختصر ، معناه « إلا أن يصيب الرجلُ اللمم » واللمم أصغر الذنوب . والله جل ثناؤه لا يأذن في قليل الذنب ولا كثيرة . قال : ومما جاء

في شعر العرب قول (أبي خراش) :

نجا سالم ، والنفس منه بشدقه ،
ولم ينجُ إلا جفنَ سيفٍ ومِئزَرا .

فاستثنى الجفن والمئزر وليسا من سالم، انما هذا على الاختصار. وأنشد :

وبلدة ليس بها أنيسُ
إلاّ اليعافير والا العيسُ

معناه « لكن فيها » ومثله قوله جلّ ثناؤه « فانهم عَدُوٌّ لي ، إلا رب العالمين » وأما قوله « لئلا يكون للناس عليكم حجة ، الا الذين ظلموا » فقال قوم أراد « الا على الذين ظلموا فان عليهم الحجة » ويكون حينئذ « الذين » في موضع خفض ويكون أيضاً على «لكن الذين ظلموا فلا تخشوهم» تبتدئه . وقال « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا » فهذا قد انقطع من الاوّل ويجوز أن يكون على الاستثناء من أوله كأنه قال « الا الذين ظلموا فجادلوهم بالتي هي أسوأ من لسان أو يدٍ » أي أغلظ ، يريد مشركي العرب . وقوله جلّ ثناؤه « لايحب الله الجهر بالسوء من القول ، الا من ظُلم » قال قوم إنما يريد المُكْرَهَ لأنه مظلوم فذلك عنه موضوع وان نطق بالكفر . والاستثناء باب يطول .

وقد يُستثنى من الشيء الموحّد لفظاً وهو في المعنى جمع ، نحو « ان الانسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا » .

واستثناء الشيء من غير جنسه لا معنى له مع الذي ذكرناه من حقيقة الاستثناء .

وإذا جمع الكلام ضروباً من المذكورات وفي آخره استثناء فالأمر الى الدليل فان جاز رجعه على جميع الكلام كان على جميعه كقوله جل ثناؤه « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله – ثم قال – الا الذين تابوا » والاستثناء جائز في كلّ ذلك والذي يمنع منه الدليل قوله جل ثناؤه « فاجلدوهم ثمانين جلدةً ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً » فالاستثناء هاهنا على ما كان من حق الله جل ثناؤه دون الجلد .

باب من (الاستثناء) آخر

قال قوم : لا يُستثنى من الشيء الا ما كان دون نصفه : لا يجوز أن يقال عشرة إلا خمسة . وقال قوم : يُستثنى القليل من الكثير ويستثنى الكثير مما هو أكثر منه . وهذه العبارة هي الصحيحة . فأما من يقول : يُستثنى الكثير من القليل فليست بالعبارة الجيدة ، قالوا : فيقال «عشرة إلا خمسة» حتى يبلغ التسعة قالوا : ومن الدليل على أن نصف الشيء قد يستثنى من الشيء قوله جلّ ثناؤه « ياأيها المزَّمِّلُ قُم الليلَ الا قليلا — ثم قال — نصفه » أفلا تراه سمى النصف قليلا واستثناه من الأصل ؟

قال أحمد بن فارس : واعترض قوم بهذا الذي ذكرناه على (أبي عبد الله مالك بن أنس) في قوله في (الجائحة) لأن مالكاً يذهب الى أن الجائحة اذا كانت دون الثلث لم يوضع لأنها قليل بمنزلة ما تناله (العوافي) من الطير وغيرها وما تلقيه الريح ، فاذا بلغت الجائحة الثلث وما زاد فهي كثيرة ولزم وضعها للحديث المرويّ فيها . قال المعترض على أبي عبد الله مالك رضي الله تعالى عنه : فقد دفع هذا الفصل المعنى الذي ذهب اليه مالك ، لأن قوله جل

ثناؤه « قُمِ الليلَ إلا قليلا » قد جعل النصف قليلا ، فاذا كان نصف الشيءِ قليلا منه وجب أن يكون كثيره ما فوق النصف .

فالجواب عن هذا أن مالكاً انما ذهب في جعله الثلث كثيراً الى حديث حدثناه (عليّ بن ابراهيم) عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابن عيينة عن الزهري عن (عامر بن سعد) عن أبيه قال « مرضت عامَ الفتح حتى أشرفت ، فعادَني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت : أي رسول الله إن لي مالاً وليس يرثني إلا ابنتي أفأتصدّق بثلثي مالي ؟ قال : لا . قلت : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالَةً يتكففون الناس » فيقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ مالك ، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم بتأويل كتاب الله جل ثناؤه .

باب (إيَّا)

إيّا ـ كلمة تخصيص . إذا قلت « إياكَ أردتُ » وكان الأصل «أردتك» فلما قدمت الكاف كما تقدم المفعول به في « ضربت زيداً » لم تستقم كاف وحدها مقدمة على فعل فوصل بها « إيَّا » .

وقد تكون « إيّا » للتحذير كقوله :

فإيّاكم وحيّة بطن واد
هموز الناب ليس لكم بسيّ .

باب (إذا)

تكون « إذا » شرطاً في وقت موقت . تقول « اذا خرجتَ خرجتُ »

وزعم قوم أن « اذا » تكون لغواً وفضلا وذكروا قوله جلّ ثناؤه « اذا السماء انشقت » قالوا : تأويله « انشقت السماء » كما قال « اقتربت الساعة » و « أتى أمر الله » . قالوا : وفي شعر العرب قوله :

حتى إذا أسلكوهم في قتائدةٍ
شلاً كما تطرد الجمّالةُ الشردا

المعنى : حتى أسلكوهم .

وأنكر ناس هذا وقالوا : « إذا السماء انشقت » لها جواب مضمر . وقول القائل « حتى إذا أسلكوهم » فجوابه قوله « شلاً » ، يقول « أسلكوهم شَلّوهم شلاً » واحتج أصحاب القول الأول بقول الشاعر :

فاذا وذلك لا مَهاةَ لذكره
والدهرُ يعقِب صالحاً بفساد

قالوا : المعنى « وذلك » .

وقال أصحاب القول الثاني : الواو مقحمة ، المعنى « فاذا ذلك » . وقولهم « إذا فعلتَ كذا » يكون على ثلاثة أضرب : ضربٌ يكون المأمور به قبل الفعل تقول « إذا أتيتَ البابَ فالبس أحسنَ لباس » ومنه قوله جل ثناؤه « إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا » . وضربٌ يكون مع الفعل كقولك « إذا قرأتَ فترسّلْ » . وضربٌ يكون بعد الفعل نحو « إذا حللتم فاصطادوا » و « إذا نودي للصلاة فاسعوا » .

باب (إذ)

إذ ـ تكون للماضي تقول « أتذكر إذ فعلتَ كذا ؟ » فأما قوله جل

ثناؤه « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا : ياليتنا » ف « ترى » مستقبل و « إذ » للماضي ، وإنما كان كذا لأن الشيء كائن وإن لم يكن بعد ، وذلك عند الله جل ثناوه قد كان ، لأن علمه به سابق وقضاءه به نافذ فهو كائن لامحالة ، والعرب تقول مثل ذا وإن لم تعرف العواقب . قال :

ستندم إذ يأتي عليك رعيلنا
بأرعن جرار كثير صواهله

وقوله جل ثناؤه « وإذ قال اللهُ : ياعيسى » فقال قوم : قال له ذلك لمّا رفعه إليه . وقال آخرون : « إذْ » و « إذا » بمعنى . كقوله جل ثناؤه « ولو ترى إذ فزعوا » بمعنى « إذا » . قال (أبو النجم) :

ثم جزاهُ اللهُ عنّا إذ جزى
جنات عدن في العلا لي العُلَى

المعنى « إذا جزى » لأنه لم يقع . ومثله قول (الأسود) (١) :

الحافظ الناس في تَحُوط إذا
لم يرسلوا تحت عائذ رُبَعَا
وهبّت الشمأل البليل وإذ
بات كَمِيعُ الفتاة مُلتَفِعا

قالوا : ف « إذا » و « إذ » بمعنىً . قال :

وندمانٍ يزيد الكأس طيباً
سقيت اذا تغوّرتِ النجومُ

---

(١) قلت ; الصواب أنه قول (أوس بن حجر) يرثي (فضالة أبا دلجة) . وليس هو قول (الأسود) .
الشنقيطي

و « إذ » ـ تكون بمعنى « حين » كقوله جل ثناؤه « ولا تعملون من عمل إلاّ كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه » أي « حين تفيضون » .

باب (إذاً)

إذاً ـ مجازاة على فعل يقول « أنا أقوم » فتقول « إذاً أقوم معك » . هذا هو الأصل . ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « فإني إذاً صائم » إي إذ لم يحضر الطعام فإني صائم وقال الشاعر :

أُزْجُرْ حِمارِي لا يرتعْ بروضتِنا
إذاً يرد وقيد العير مكروبُ .

باب (أيّ)

أيٌّ ـ تكون استفهاماً . تقول « أيُّ الرجلين عندك ؟ » .

وتكون للترجيح بين أمرين تقول « أيّاما فعلت فلي كذا » أي إن فعلت هذا وإن فعلت هذا .

وتكون للتعجب نحو « أيُّ رجلٍ زيدٌ ! » .

باب (أنّى)

أنَّى ـ بمعنى « كيف » كقوله جلّ ثناؤه « أنَّى يُحيي هذه الله ؟ » .

وتكون بمعنى « مِنْ أينَ » كقوله « أنّي يكون له ولد ؟ » أي من أين . والأجْودُ أن يقال في هذا أيضاً كيف . قال (الكميت) :

أنَّى ومن أين آبكَ الطربُ
من حيثُ لا صَبْوَةٌ ولا رِيَبُ ؟

فجاء بالمعنيين جميعاً .

باب (أينَ) و (أينما)

أينَ ـ تكون استفهاماً عن مكان. نحو «أينَ زيدٌ؟».

وتكون شرطاً لمكان. نحو «أين لقيت زيداً فكلِّمْهُ» بمعنى في أي مكان.

فأمّا «أينَمَا» ـ فانّما يكون شرطاً لمكان. نحو «أينَمَا تجلسْ أجلسْ» ولا يكون استفهاماً.

باب (أيّان)

أيّانَ ـ بمعنى «متى» و «أيَّ حين». قال بعض العلماء: نُرى أصلها «أيَّ أوانٍ» فحذفت الهمزة وجعلت الكلمتان واحدة. قال الله جلّ ثناؤه «أيّانَ يُبعثون؟» أي متى و «أيّان يومُ الدين؟» أي متى.

باب (الآنَ)

يقولون: «الآن» حدُّ الزمانين، حدّ الماضي من آخره وحدُّ المستقبل من أوّله. وكان (الفرّاء) يقول: بُني على الألف واللام لم يُخلَعا منه وتُرى على مذهبِ الصِّفة لأنه صفة في المعنى واللفظ، كما فعلوا في «الذي» و «الذينَ» فتركوهما على مذهبِ الأداة، والألف واللام غير مفارِقين. ومثله قوله:

فانَّ الاولاءِ يَعلَمونكَ مِنهُم
كعلميَ مُظَنُّوكَ ماذُمتَ أشعَرا

فأدخل الألف واللام على «أُولاء» ثم تركها مخفوضة في موضع نصب كما كانت قبل أن يَدخلها الألف واللام ومثله:

وإنّي حُبِسْتُ اليومَ والامسِ قبله
بيابكَ حتى كادَتِ الشمسُ تغرُبُ

فأدخل الألف واللام على «أمس» ثم تركه مخفوضاً على جهته الأولى. ومثله:

تفقأ فوقه القلعُ السواري
وجُنّ الخازِ بازِ به جُنُونا

وأصل «الآن» إنما كان «أوان» حذفت منها الألف وغيّرت واوها الى الألف، كما قالوا في الراح «الرياح» أنشد الفرّاء أنشدني (أبو القمقام الأسدي):

كأنّ مكاكيَّ الجِواء غُدَيَّةً
نشاوى تساقوا بالرِّياح المُفلفَلِ

فجعل «الرياح» و«الأوان» مرةً على جهة «فَعَل» ومرة على جهة «فعَال» كما قالوا «زمَن» و«زَمان» وان شئتَ جعلتَ «الآن» من قولكَ «آنَ لكَ أن تفعَل» أدخلتَ عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب فِعْل فأتى النصب من نصب «فعَلَ» وهو وجه جيد. كما قالوا «نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن قيل وقال» و «الآن» في كتاب الله جل ثناؤه «الآن وقد عصَيْتَ قبلُ»، «الآن وقد كنتم به تستعجلون» أي في هذا الوقت وهذا الأوان تتوب وقد عصيت قبل.

قال (الزجاج): «الآنْ» عند (الخليل) و (سيبويه) مبنيٌّ على الفتح تقول «نحن من الآنَ نَصيرُ اليكَ» فتفتح. لان الألف واللام انما تدخل

لعهد ، و«الآن» تعهد قبلَ هذا الوقت ، فدخلت الألف واللام للاشارة الى الوقت . المعنى « نحن من هذا الوقت نفعل » فلما تَضمَّنَتْ معنى هذا وجب أن تكون موقوفة ففتحت للالتقاء الساكنين .

باب (إمَّا لا)

هما كلمتان « إمّا » و « لا » تقول « أُخرج » فاذا امتنع قلت « إمَّا لا فتكلَّمْ » أي « إن لم يكن منكَ خروج فليكن منك تكلم » .

ف « إمَّا » شرط و « لا » جَحْدٌ . كأنك قلت « إن لا » .

باب (أمَّا) و (إمَّا)

أمّا ــ كلمة اخبار لا بدّ في جوابها من « فاء » . تقول «أمّا زيد فكريم» .

و إمّا ــ تكون تخييراً واباحة . نحو اشربْ إما ماءً وامّا لبناً .

وقد تكون بمعنى الشرط ، والأكثر في جوابها نون التوكيد . نحو « إمّا ترينَّ مِن البَشر أحداً » و « قُل رَبِّ إمّا تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ » وقد يكون بلا « نون » نحو قوله :

إمّا تَرَيْ راسي عَلانِي أغْثَمُهُ

ومما اوله (باء)

(بَلَى)

بَلَى ــ تكون اثباتاً لمنفيّ قبلها . يقالُ « أما خرج زيدٌ ؟ » فتقول « بَلَى » والمعنى أنها « بل » وُصِلَتْ بها ألفٌ تكون دليلا على كلام . يقول القائل « أما خرج زيد ؟ » فتقول « بَلَى » ف « بل » رُجُوع عن جَحْد و « الالف » دلالة كلام ، كأنك قلت « بل خرج زيد » . وكذلك قوله جل

ثناؤه « ألستُ بربّكم ؟ قالوا : بَلَى » المعنى والله أعلم « بل أنت ربُّنا » .

(بَلْ)

بَلْ ـ إِضْرَابٌ عن الأوّل واثباتٌ للثاني . واختلف فيه أهل العربيّة . فقال قوم : جائز « مررت برجل بل حمارٍ » وقد يكون فيه الرفع أي « بل هو حمارٌ » .

والكوفيون لاينسُقُون بـ « بَلْ » إلاّ بعد نفيٍ . قال (هشام) : محالٌ « ضَرَبتُ أخاكَ بَلْ أباكَ » لأن الأوّل قد ثَبَتَ له الضرب .

والبصريون يقولون : لمّا كانت « بل » تقع للإِضراب ، وكنّا نُضرِب عن النفي وقعت بعد الايجاب كوقوعها بعد النفي . و « لا بل » مثلها .

وقال قوم : يكون « بَلْ » بمعنى « إنَّ » في قوله جلّ ثناؤه « ص . والقرآنِ ذي الذِّكر ، بل الذين كفروا ـ معناه اِن الذين كفروا ـ في عزة » . قالوا : وذلك أنَّ القَسَم لابُدّ له من جواب .

ويزعُم ناسٌ أنها إذا جاءت في الاثبات كانت استدراكاً . تقول « لقيتُ زيداً بل عمراً » وهذا عند الغلط .

(بَلْهَ)

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يقول الله جلّ ثناؤه : أَعدَدْتُ لعباديَ الصَّالحينَ مالا عَينٌ رأتْ ولا اذنٌ سمعَتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بشَر ، بَلْه ما أطلَعْتُهُم عليه » قالوا : معناه « سِوى » و « دَعْ » كأنه قال « سوى ما أطلعتهم عليه » و « دَعْ ما أطلعتهم » قال (أبو زُبَيْد) :

تَمْشِي القَطُوف إذا غَنَّى الحُداةُ لها
مَشْيَ النَّجيبَة ، بَلْهَ الْجِلَّةَ النُّجُبَا

(بَيْدَ)

قالوا : « بيد » بمعنى « غَيْرَ » . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « نحن الآخِرُونَ السابِقُونَ يومَ القيامة ، بَيْدَ أنَّهم أُوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناهُ من بعدهم » أي « غيرَ أنهم » قال الشاعر :

عَمْداً فَعَلْتِ ذاك بَيْدَ أنِّي
اِخالُ لو هَلَكْتُ لم تَرِنِّي

(بينا) و (بينما)

هما لزمان غير محدود . واشتِقاقُهما مِن قولنا « بيني وبينه قِيدُ كذا » فاذا قلنا « بَيْنَا نحنُ عِنْدَ زَيْدٍ أتانا فلان » فالمعنى « بَيْنَ أن حَصَلْنا عند زيد وبين زمان آخر أتانا فلان » قال :

فَبَيْنَا نحنُ نَرْقُبُهُ أتانا
مُعَلِّقَ شَكْوَة وزِنَادِ رَاع

(بَعْدُ)

يَدُلُّ على أن يَعقُبَ شَيْءٌ شيئاً . تقول : «جاء زيدٌ بعدعمرو» ويقولون: انها تكون بمعنى « مع » يقال « هو كريم وهو بعد هذا فقيه » أي « مَعَ هذا » ويتأولون قول الله جلّ ثناؤه « والارض بعد ذلك دحاها» على هذا ، بمعنى « مع ذلك » .

ومما أوله (تاء)

(تعالَ)

يقال : إنها أمرٌ أي « تفاعلْ » من « علوتُ . تعالى . يتعالَى » فاذا أمرتَ قلت « تعالَ » كما تقول « تقاضَ » .

قالوا : وكثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة « هلمَّ » حتى يقال لمن هو في علُوّ « تعالَ » وأنت تريدُ « اهبطْ » .

ولا يجوز أن تَنْهَى بها . وقد تُصرَّف فيقال « تعالَيتُ » و « إلى أيِّ شيءٍ أتعالى؟ » .

ومما أوله (ثاء)

(ثُمَّ)

ثُمَّ – يكون لِتراخي الثاني عن الأول : « جاء زيد ثمّ عمرو » .

وتكون « ثم » بمعنى « واو العطف » قال الله جلّ ذِكرهُ « فالِينا مرجِعهُم ثم الله شهيد على مايفعلون » أي وهو شهيد .

وتكون بمعنى التعجّب كقوله جل ثناؤه « ثم يَطمعُ أنْ أزيدَ » و« ثمَّ الذي كفروا بربهم يعدلون » وأنشد (قطرب) أن « ثمّ » بمعنى « الواو » :

سألت ربيعة : مَن خيرُها
أباً ثم اماً ؟ فقالت : لِمَهْ ؟

ومنه قوله جلّ ثناؤه « ثُمّ إنّ علينا بيانهُ » فأمّا قوله جلّ وعزّ « ولقد خلقنا كم ثم صوَّرنا كم » فقال قوم معناها « وصورنا كم » وقال آخرون: المعنى « ابتدأنا خلقكم » لأنه جلّ ثناؤه ابتدأ خلقَ آدم عليه السلام من

تُراب ، ثم صوَّره . وابتدأ خلق الانسان من نُطفة ثم صوَّره . قالوا : فـ « ثمّ » على بابها . قال الله جلّ ثناؤه « يُوَلُّوكم الأدبار ثم لا يُنصرون » .

وزعم ناس أن « ثمّ » تكون زائدة . قال الله جلّ ثناؤه « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا ، حتّى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ - إلى قوله جل ثناؤه — ثم تاب عليهم » معناه « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تاب عليهم » وقوله جل ثناؤه « خلقكم من طين ثم قضى أجلاً » وقد كان قضى الأجل ، فمعناه « أُخبرُكم أنّي خلقتهُ من طين ، ثم أخبركم أنّي قضيتُ الأجَل » كما تقول « كلمتُكَ اليومَ ثم قد كلمتُك أمس » أي اني اخبرك بذاك ثم أُخبركَ بهذا .

وهذا يكونُ في الجمل . فأما في عطف الاسم على الاسم ، والفعل على الفعل فلا يكون إلاّ مرتَّباً أحدُهما بعد الآخر .

و : (ثَمَّ)

بمعنى « هُنا لك » قال الله جلّ ثناؤه « وإذا رأيت ثَمَّ رأيتَ نعيما » وقرأتْ « إلينا مرجعهم ثَمَّ اللهُ شهيدٌ » أي : هنا لك الله شهيد .

ومما أوله (جيم)

(جَيْرِ)

يقولون : « جَيْرِ » بمعنى « حقّاً » قال (المفضَّل) : هي خفضٌ أبداً ، ورُبَّما نوّنوها . وأنشد المفضَّل :

ألا ياطالَ بالغَرَباتِ لَيْلي
وما تَلقَى بنو أسدٍ بِهِنَّهْ

وقائلةٍ : أَسِيتَ . فقلت : جَيْرِ
أَسِيٌّ إنّه من ذاكَ إنَّهْ
أصابَهُمُ الحِما وهمُ عوافٍ
وكُنَّ عَلَيهِم نَحْساً لعِنَّهْ
فجئتُ قبورَهم بَدْأً ولمّا
فناديتُ القبورَ فلم يجبْنَهْ
وكيفَ تجيبُ أصْداءٌ وَهامٌ
وأجْسادٌ بُدِرْنَ وما نُخِرْنَهْ

الحِما : أراد الحِمَام . وبُدِرْنَ : طعِنَّ في البوادِر .

(لاجَرَمَ)

قال : « جرَم » بمعنى « حُقّ » قال:

ولقد طعنتُ أبا عُيَيْنَةَ طعنةً
جرَمَتْ فَزَارَةُ بعدَها أن يَغْضَبُوا

وذكر ناس أنها بمعنى « لا بُدّ » و « لا محَالَة » .

وأصح ماقيل في ذلك أن « لا » نفي لما ظنُّوا أنه ينفعهم في قوله جل ثناؤه « لاجرَمَ أنهم في الآخرة هم الأخسرون » والمعنى « لا » أي « لا ينفعهم ظنُّهم » ثم يقول مبتدئاً « جرَمَ أنهم في الآخرة هم الأخسرون » أي « كَسَبَهم ذلك » و « حُقّ أنهم في الآخرة هم الأخسرون » .

قال (ابن قتيبة) : وليس قول من قال « حُقَّ لفَزارة الغضب » بشيء ، والأمر بخلاف ما قاله ، لأن الذي يحصل من الكلمة ما قلناه أنه بمعنى

« حُقّ » فيكون على هذا « جَرَمت فَزارة بعدَها أن يغضبوا » المعنى « أحقّتْ الطّعنة لفزارة الغضبَ » . ومنه قوله جل ثناؤه « وتَصفُ ألسنتُهم الكَذِبَ أنّ لهم الحسنى - ثم قال - لا » وهو ردّ عليهم ، وقال بعدها « جَرَمَ أنّ لهم النارَ » أي حُقّ وكسب .

ومما أوله (حاء)

(حتّى)

تكون للغاية . قال الله جلّ ذكره « هي حتّى مطلع الفجر » بمعنى « إلى » وقال تبارك اسمه « حتى يبلغ الكتابُ أجلَه » .

وتكون بمعنى « كَيْ » تقول « اُكلّمه حتّى يرضى » أي « كي يرضى » .
ويقولون: انها تكون بمعنى العطف ، تقول « قَدِمَ الجيشُ حتّى الأتباعُ » .
ومذهب أهل البصرة أنه لا يجوز أن يُعطَف بها حتى يكون الثاني من الأول . قالوا : لو قلت « كلّمت العربَ حتى العجم » لم يجز. وقال (الفرّاء) لا يجوز « كلّمت أخاك حتى أباك » وهو مثل الاستثناء ، كما لا يجوز « كلمت أخاك إلاّ أباك » .

وأجاز (الفرّاء) « إنه ليقاتل الرّجّالةَ حتى الفرسانَ » و « ان كلبي ليصيد الأرانبَ حتى الظِّباءَ » خفضاً ونصباً ، قال الفراء : لأن الظباء وإن كانت مخالفة للأرانب فانها من الصيد وهي أرفع منها .

وقال البصريون : هذا خطأ وفيه بطلان الباب . قالوا : لأن « حتّى » إنما جعلت لما تتناهى اليه الأشياء من أعلاها وأسفلها مما يكون منتهى في الغاية ، فاذا قلت « ضربتُ القوم » جاز أن يتوهم السامع أن زيدا لم يدخل

في الضرب ، إما لأنه أعلاهم أو لأنه أدونهم ، فمعنى «إلى» فيها قائم اذا كانت «الى» منتهى الغاية .

والكوفيون لايجعلون «حتّى» حرف عطف، إنما يعربون مابعدها باضمار .

(حاشا)

معناها الاستثناء ، واشتقاقها من « الحشا » وهي « الناحية » تقول « خرجوا حاشا زيد » أي : إني أجعله في ناحية من لم يخرج ولا أجعله في جملة مَن خرج . قال الشاعر :

بأيِّ الْحَشَا أمسَى الخليطُ المُباينُ ؟

ومن ذلك قولهم « لا أُحاشي بك أحداً » أي : لا أجعلك وإيّاه في حَشًا واحد ، أي في ناحية واحدة بل أميزك عنه .

ومما أوله (خاء)

(خَلا) و (ما خَلا)

أصلهما مِن قولنا « خلا البيت » و « خلا الاناء » إذا لم يكن فيه شيء . كذلك إذا قلنا « خرج الناس خلا زيدٍ » فانّما نُريد: أنه خلا من الخروج ، أو خلا الخروجُ منه . وعلى هذا التأويل فالنصب فيه أحسن . ومنه قول العرب « افعَلْ كذا وخلاك ذمّ » يريدون « عدَاك الذَّمُّ » و « خلوتَ من الذمّ » .

ومما أوله (راء)

(رُبّ)

يقولون : للتقليل ، وهي مناقِضة لِ « كَمْ » التي للتكثير ، تقول « رُب

رجلٍ لقِيتُه » .

وقال قوم : وُضِعت لتذكُّر شيءٍ ماضٍ من خيرٍ أو شرٍ . قال :

رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا حَوْلَنا
يشربون الخمرَ بالماء الزُّلال .

قالوا : وعلى هذا التأويل قوله جل ثناؤه « رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كفروا لو كانوا مسلمين » .

(رُوَيْدٌ)

قالوا : هو تصغيرُ « رُود » وهو المهل . قال :

كأنَّها مثل من يمشي على رُودِ

وقال بعضهم : في قوله جل ثناؤه « أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً » أي قليلا .

(ذو) و (ذات) [١]

ذو ـ يدلُّ على المُلك . تقول « هو ذو الثَّوْب » .

وقد يكون في غير المُلك أيضاً ، بل يكون في صفة من صفاته نحو قولك «هو ذو كلام» و «ذو عَارِضَة» . فمن الملك قوله جل ثناؤه «ذوالعرش المجيد» .

وأما «ذات» — فيكون في المؤنث كـ «ذا» . وتكون لها مَعانٍ اخر : تكون كِنَايةً عن ساعة من يوم أو ليلة أو غير ذلك ، كقولك « ذاتُ يومٍ » و « ذاتُ عَشيَّةٍ » .

وتكون كنايةً عن الحال كقوله :

وأهلُ خِباءٍ صالحٍ ذاتُ بينهم
قد احتربوا في عاجل أنا آجلُهْ

(١) كذا في الاصل مؤخرا ما أوله « ذال » على ما أوله «راء» .

ومن هذا قوله جل ثناؤه « وأَصلِحُوا ذاتَ بينِكم » أي الحال بينكم وأزيلوا المشاجرة .

ومن الزمان قوله :

لمّا رأت أرقي وطُول تقلُّبي
ذات العِشاء وليلِيَ الموصولا

وتكون للبنْيةِ تقول « هو في ذاته صالح » أي : في بنيته وخِلقته.

وتكون للإرادة والنِّية كقوله جلّ ثناؤه « والله عليمٌ بذات الصُّدور » أراد السرائر . ومنه فيما ذكروا قوله :

مَحلّتُهم ذاتُ الإِلَه ودينُهم
قويمٌ ، فما يرْجون غيرَ العواقِبِ (١)

فقوله « ذاتُ الإِلَه » أي إرادتُهم اللهُ تبارك اسمه .

(سَوْفَ)

تكون للتأخير والتنفيس والأناة .

(سِوَى)

تكون بمعنى «غير» وهما جميعاً في معنى «بدَل» وهي مقصورةٌ مكسورة فإذا مُدّتْ فُتح أوّلها . قال :

تَجانفُ عن جوّ اليمامةِ ناقتي
وما عدَلتْ عن أهلِها لِسوائكا .

أي : لغيرك . و « سَوَاء الجحيم » وسطها ، في غير معنى الأوّل .

وقد جاء « سِوَى » أيضاً . قال الله جل ثناؤه « مَكاناً سِوَى » .

---

(١) ويروى بالجيم « مجلتهم » .

(سِيَّما)

أصلُها « السِّيُّ » وهو « المِثلُ » . تقول « ولا سِيَّما كذا » أي « ولا سواءَ » قال (امرؤ القيس) :

ألا رُبَّ يومٍ لكَ منهنَّ صالحٍ
ولا سِيَّما يوماً بدارةِ جلْجُلِ

وأصلُه راجع إلى « السِّيِّ » وهو المثل . يقولون « هما سيان » قال (الحُطَيْئَة) :

فإيّاكم وحيّةَ بَطنِ وادٍ
هَمُوزَ النّابِ ليسَ لكم بِسِيِّ

وسمعت أبا الحسن المعروف بابن التركية يقول ، سمعت (ثعلباً) يقول : من قاله بغير اللفظ الذي قاله (امرؤ القيس) فقد أخطأ .

(شَتَّانَ)

أصلها من « شتَّ » ومن « التَّشتُّت » وهو التفرقُ والتباعد ؛ تقول « شتَّانَ ما هُما » أي : بَعُدَ ما بينهما ، ويقال : هذا هو الأفصح ، وينشدون :

شتَّانَ ما يومي على كُورِها
ويوم حَيَّانَ أخي جابِرِ .

وربما قالوا « شتان ما بينهما » وليس بالفصيح .

(عَنْ)

يدلّ على الانحطاط والنزول ، تقول « نزَلَ عن الجبل » و « عن ظهر الدّابة » و « أخذ العِلْمَ عن زيد » لأن المأخوذَ عنه أعلا رُتبةً من الآخذ .

وتكون بمعنى « بَعْد » في قوله « لم تنتطق عن تفضل » . ولها وجوه والأصلُ ماذكرناهُ .

(عَلَى)

تكون للعلوّ ، تقول « هو على السطح » .

وتكون للعزيمة ، كما تقول « أنا على الحجّ العامَ » .

وتكون للثبات على الأمر تقول « أنا على ما عَرَفْتَني به » .

وتكون للخلاف ، مثل « زيدٌ على عمرو » أي : مُخالِفه .

وهي ـ وإن انْشَعبَتْ ـ راجعة إلى أصل واحد .

(عَوْض)

عوض ـ لزمان غير محدود ولا معلوم كُنهُهُ ، كما قلناه في « الحين » و « الدّهر » . قال (الأعشى) :

رضيعَيْ لبانٍ ثدي أُمٍّ تقاسما
بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرق

ويقولون « لا آتيك عوض العائضين » .

(عَسَى)

للقرب والدُّنوّ ، قال الله جل ثناؤه « قلْ عسى أن يكون رَدِفَ لكم » .

والأفصح أن يكون بعدها « أنْ » ورُبّما لم يكن . قال :

عسى فَرَجٌ يأتي به الله إنّهُ
لهُ كلَّ يوم في خَلِيقته أمرُ

قال (الكسائي) : كل ما في القرآن من « عسى » على وجه الخبر فهو

مُوحد : « عسى أنْ يكونوا خيراً منهم » و « عسى أن يكنّ خيراً منهنّ » و « عسى أنْ تكرهوا شيئاً » ووَحّد على « عسى الأمر أن يكون كذا ».

وما كان على الاستفهام فانه يُجْمَع كقوله جل وعز « فهل عَسَيْتُم » قال (أبو عُبيْدة) في قوله جل ثناؤه « هلْ عَسيْتم » : هل عدوتم ذاك ، هل جُزْتموه .

(غيْر)

غَيْر — تكون استثناء ، وتقوم مقامها « إلاّ » ؛ تقول « خرج الناسُ غير زيد » تريد « إلاّ زيداً ».

أو تكون حالاً ، وتقوم مقامها « لا » تقول « فعلت ذلك غير خائف منك » أي « لا خائفاً منك » .

(في)

زعموا أن « في » للتضمّن ، تقول « المال في الكِيس » و « الماء في الجرّة » . ويقولون : إنها تكون بمعنى « على » في قوله جلّ ثناؤه « ولا صلِّبَنّكُمْ في جُذُوع النّخْل » .

وانها تكون بمعنى « مع » في قوله جل ثناؤه « في تِسعْ آيات » .

وكان بعضهم يقول : انما قال « ولأصلبنكم في جذوع النخل » لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور فلذلك جاز أن يقال فيه هذا . وأنشدوا :

هُمُ صلبوا العَبْديّ في جِذْع نخلة
فلا عَطستْ شيبانُ إلاّ بأجْدَعا

(قَدْ)

قَدْ – جواب لمتوقَّع ، وهي نقيضُ «ما» التي تنفي ، وليس من الوجه الابتداء بها إلا أن تكون جواباً لمتوقع ، وقوله جل وعزّ « قد أفلح المؤمنون » على هذا المعنى . لأن القوم توقعوا علم حالهم عندَ الله تبارك اسمه فقيل لهم « قد أفلح المؤمنون » والحقيقة ما ذكرناه .

(كَمْ)

موضوعة للكثير في مقابلة «رُبَّ» تقول « كم رجل لقيت» .

وتكون استفهاماً ، تقول « كم مالُكَ ؟ » .

وقال (الفرّاء) : نُرى أن قول العرب « كم مالُك ؟ » أنها « ما » وُصِلتْ من أولها بكاف ، ثم ان الكلام كثر بـ« كم »حتى حُذِفَت الألف من آخرها وسكّنت ميمها ، كما قالوا « لِمْ قلتَ ذاك ؟ » ومعناهُ « لِمَ » و « لِمَا قلت » قال :

فأنا الأسْوَدُ لِمْ أسْلَمْتَني
لِهُمُوم طارِقَات وَذِكَرْ ؟

وقيل لبعض العرب « مذ كم قعد فلان ؟ » فقال « كَمُذْ أخذتَ في حديثك » فزيادةُ الكاف في « مُذْ » دليل على أن الكاف في « كم » زائدة.

وعابَ (الزّجّاجُ) على (الفرّاء) قوله في « كم » ، وقال :لوكانت في الأصل « كما » وأسقطت الف الاستفهام لتُرِكتْ على فتحها ، كما تقول« بِمَ » و « عَمَّ » و « فِيمَ أنت » .

والجوابُ عمّا قاله ما ذكره (أبو زكريّاء) وهو كثرة الاستعمال .

وحجته ما ذكره في « لِمْ ».

(كَيْفَ)

سؤال عن حال، تقول « كَيْفَ أنتَ ؟ » أي : بأيّ حال أنتَ ؟ وقال بعض أهل اللغة : لها ثلاثة أوجه :

أحدها ـ سؤال محض عن حال . تقول « كَيْفَ زيدُ ؟ » .

والوجه الآخر ـ حالٌ لاسؤال معه ، كقولك « لأُكْرِمَنَّكَ كيفَ كنتَ » أي : على أيّ حال كنت .

والوجه الثالث ـ « كيف » بمعنى التعجيب . وعلى هذين الوجهين يُفَسَّر قوله « فقُتِل كيف قَدَّر » قالوا : معناها « على أيّ حال قَدَّر » وتعجيب أيضاً . ومن التعجيب قوله جل ثناؤه « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ! »

وقد يكون « كيف » بمعنى النفي . قال :

كيف يَرْجُونَ سِقَاطِي بعدما
لاحَ في الرَّأس مَشيبٌ وَصَلَعْ(١)

ومنه قوله جل ثناؤه « كيف يكون للمشركين عهدٌ عند الله » و« كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » .

وتكون توبيخاً ، كقوله جلّ ثناؤه « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله » .

---

(١) من قصيدة أنشدها (سويد بن أبي كاهل اليشكري) واختارها (المفضل الضبي) وأولها :

بسطت رابعة الحبل لنا   فوصلنا الحبل منها ما اتسع
حرة تجلو شتيتا واضحا   كشعاع الشمس في الغيم سطع
صقلته بقضيب ناضر   من أراك طيب حتى نصع

فأمّا قوله « فكيف اذا جيئنا من كلّ أمة بشهيد » فهو توكيدٌ لِمَا تقدّم من خبر وتحقيق لِما بعده ، على تأويل : ان الله لا يظلم مثقالَ ذَرَّة في الدنيا فكيف في الآخرة .

(كاد)

قال (أبو عبيدة) : « كاد » للمقاربة في قوله جل ثناؤه « لمْ يكَدْ يراها » أي : لمْ يرَ . ولَمْ يُقارب . ومن المقاربة قول (جرير) :

حيُّوا المقام وحيّوا ساكن الدارِ
ما كدت تعرف إلا بعد إنكارِ

ويقولون « كاد النَّعامُ يَطير » .

فهذه المقاربة للشبه ولا يكون . وبيت (جرير) يكون .

(كانَ)

يدلُّ على المُضيّ ، تقول « كان له مالٌ » .

وتكون بمعنى القُدْرة ، كقوله جلّ ثناؤه « ما كان لكم أن تُنبتوا شجرها » أي : ما قدرتم .

وتكون بمعنى « صار » كقولك « إن كنتَ ابي فَصِلْني » أي : إذا صِرتَ ابي . وأنشد :

أجزت إليه حُرَّة أرْحَبِيَّة
وقد كانَ لونُ الليل مثلَ الأرندج

أي : صار .

وتكون بمعنى الرهون ، كقوله جل ثناؤه « قلْ سبحان ربِّي هل كنتُ

إلا بشراً ؟ » أي : هل أنا إلا بشر .

وتكون بمعنى « ينبغي » قال الله جل ثناؤه « قلتم ما يكون لنا » أي : ما ينبغي لنا .

و « كان » تكون زائدةً ، كقوله :

وجيرانٍ لنا ـ كانوا ـ كرام[1]

وفي كتاب الله جل ثناؤه « قال وما علمي بما ـ كانوا ـ يعملون » أي : بما يعملون ، لأنه قد كان عالماً بما عملوه وهو إعانهم به .

(كَأَيِّن)

كَأَيِّنْ ـ يكون بمعنى « كَمْ » قال الله جل ثناؤه « وكَأَيِّنْ من قرية عَتَتْ عن أمرِ ربّها ».

وفيها لغتان : « كَأَيِّنْ » بالهمز والتشديد . و « كَأيِنْ » . وقد قُرِيء بهما ، قال الشاعر :

وكأينْ أرينا الموت من ذي تحيَّةٍ
اذا ما ازدرانا أو أصرَّ لِمأثم

وسمعت بعض أهل العربية يقول : ما أعلم كلمةً يثبتُ فيها التنوين خطّاً غير هذه .

(كأنَّ)

كلمة تشبيه ، قال قوم : هي «إنَّ» دخلت عليها كافُ التشبيه ففتحت ، وقد تخفف قال الله جل ذكره « كأنْ لم يدعُنا إلى ضُرٍّ مسَّهُ » إلا أنّها إذا ثقّلت

(١) عجز بيت من قصيدة أنشدها (الفرزدق) . وصدره :
فكيف اذا مررت بدار قوم

في مثل هذا الموضع قُرِنَتْ بها الهاء فقيل «كأنّه لم يَدْعُنا». وقالت (الخنساء) في التخفيف:

كَأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتّقى
إذ الناسُ إذ ذاكَ من عزّ بزّا[1]

أرادت: كأنّهم لم يكونوا.

(كلّا)

تكون ردّاً وردْعاً ونفياً لدعوى مُدَّعٍ إذا قال «لقيتُ زيداً» قلتَ «كلّا».

وربّما كانت صِلةً ليمين، كقوله جل ثناؤه «كلّا والقمر». وهي - وإن كانت صِلةً ليمين - راجعةٌ إلى ما ذكرناهُ. قال الله جل ثناؤه «كلّا لا تُطِعْهُ» فهي رَدْعٌ عن طاعةِ مَن نهاهُ عن عبادة الله جل ثناؤه. ونكتة بابها النفي والنهي.

وزعم ناس أن أصل «كلّا»: «كَلا» و«لا». قال:

أصابَ خَصَاصةً فَبَدا كليلا
كَلَا وانْغَلَّ سائرُه انغلالا[2]

---

(١) من مراثيها المشهورة، ومطلعها:
تعرقني الدهر نهشا ووخزا وأوجعني الدهر قرعا وغمزا

(٢) من قصيدة أنشدها (ذوالرمة) في مدح (بلال بن أبي بردة) وفي رواية «وانفل جانبه» ومنها قبله:
أمية أحسن الثقلين جيدا وسالفة وأحسنه قذالا
تريك بياض لبتها ووجهاً كقرن الشمس أفتق حين زالا
ثم يأتي البيت الذي ذكره (ابن فارس) ومنها البيت المشهور وفيه ذكر الممدوح:
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وهذا ليس بشيء . و « كَلّا » كلمة موضوعة لما ذكرناه على صورتها في التثقيل ، وقد ذكرنا وجوهَ « كلّا » في كتاب أفردناه .

فأما نقيض « كَلّا » فقال بعض أهل العلم : إن « ذلك » و« هـذا » نقيضان لـ «لا» . و«أن» كذلك نقيض لـ « كَلّا » . قال : وقوله جل ثناؤه « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم» على معنى : ذلك كما قلنا وكما فعلنا . ومثله «هذا وإن للطّاغِينَ لَشرّ مآب» بمعنى : هذا كما قلنا وإن الطاغين لشرّ مآب .

قال : ويدل على هذا المعنى دخول «الواو» بعد قوله «ذلك» و«هذا» لأن ما بعد الواو يكون منسوقاً على ما قبله بها وإن كان مضمَراً . وقال جل ثناؤه « وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدة ـ ثم قال ـ كذلك » أي كذلك فعلناه ونفعله من التنزيل ومثله في القرآن كثير .

(لوْ) و (لوْلا)

لَوْ ـ تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، تقول «لو حَضَر زيدٌ لحضرت» فامتنع هذا لامتناع هذا .

وكان (الفراء) يقول : « لو » يقوم مقام « إنْ » ، قال جل ذكره « ولو كَرِهَ الكافرون » بمعنى : وان كره ، ولولا أنها بمعنى « ان » لاقتضت جواباً لأنّ « لو » لابدّ لها من جواب ظاهر أو مُضْمَر كقوله جل ثناؤه « ولو نَزَّلْنا عليكَ كتاباً في قِرطاسٍ فلمسوهُ بايديهم لقَالَ ـ » وانما وُضِعت مقامَ « انْ » لانّ في كل واحد منهما معنى الشرط ، كما يقال في الكلام « لَاكْرِمَنَّكَ وانْ جفوْتَني ـ و ـ لوجفوتني » و « لَاعْطِيَنَّكَ وانْ مَنَعْتَني ـ و ـ لو منعتني » .

وأمّا «لَولا» ـ فانها تدل على امتناع الشيء لوجود غيره . تقول «لولا زيدٌ لضربتك» فانما امتنعت من ضربه لأجل زيد .

وقد يكون «لولا» بمعنى «هلاَّ» كقوله جل ثناؤه «فلولا اذْ جاءهم بأسنا تضرّعوا» أي «فهلاَّ» . قال الشاعر :

تَعدُّونَ عقرَ النيب أفضل مجدكم
بَنِي ضَوْطَرَى لولا الـكَميَّ المقنّعا(١)

أي «هَلاَّ» .

وكذلك «لَوْمَا» ، كقوله جل ثناؤه «لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ» أي «هلاَّ تأتينا» .

وأما «لولا» الاولى فكقوله جل ثناؤه «فلولا أنّه كان مِنَ الْمُسَبِّحين لَلَبِثَ في بطنه» وقوله جل وعز «فلولا كانت قريةٌ آمَنَتْ» فلها وجهان: أحدهما أن يكون بمعنى «هَلاَّ» والوجه الآخر أن يكون بمعنى «لَمْ» يقول: فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها إلاّ قومَ يُونُسَ . ومثله «فلولا كان من القرون من قبلكم أُولو بقيّةٍ يَنهَوْن عن الفساد في الأرض» بمعنى لم يكن.

(لمْ) و (لما)

لَمْ ـ تنفي الفعلَ المستقبل وتنقلُ معناهُ الى الماضي . نحو «لم يقم زيد» تريد : ما قام زيد . فان دخل عليها حرفُ جزاء لم تنقل معنى الاستقبال ، تقول «إنْ لَمْ تَقُمْ» ولا يحسُن السكوت عليها إلا اذا كانت جواباً لمثبَت كأنَّ قائلاً قال «قد خرج زيد» فتقولُ «لَمَّا» .

(١) البيت من شعر (جرير) .

و« لمّا » ـ لاتدخل إلاّ على مستقبل ، تقول« جئت ولما يجيء زيدٌ بعدُ » فيكون بمعنى « لمْ » كقوله جل ثناؤه « بل لما يذوقوا عذاب » .

فأمّا « لمّا » التي للزمان فتكون للماضي ، تقول « قصدتُك لمّا ورَدَ فلان » .

(لَنْ)

لَنْ — تكون جواباً للمثبِت أمراً في الاستقبال ، يقول « سيقوم زيد » فتقول أنت « لن يقومَ » .

وحِكي عن (الخليل) أنّ معناها « لا أنْ » بمعنى « ما هذا وقت أن يكون كذا » .

(لا)

لا ـ حرف نسَقٍ ينفي الفعلَ المستقبل ، نحو « لا يخرجُ زيدٌ » . ويُنهى به نحو « لا تفعلْ » . ويكون بمعنى « لمْ » إذا دخلتْ على ماض كقوله جل ثناؤه « فلا صدّقَ ولا صلّى » أي : لم يُصدّقْ ولم يُصلِّ . وقال الشاعر :

وأي خميس لاأفأنا نهابه
وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

وأنشدني أبي :

ان تَغفِرِ اللهمَّ تغفرْ جَمّاً
وأيُّ عبدٍ لَكَ لا ألَمّا (١)

---

(١) كان عرب الجاهلية يقولون عند مايطوفون بالبيت :

لاهم هذا رابع ان تما أتمه الله وقد أتما
ان تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما

والبيتان من نظم (أبي خراش خويلد بن مرة القرددي) نسبة الى (قردد) وهو (عمرو بن

أي : أيُّ عبد لك لم يُلِمَّ بالذنب .

وكان (قُطرُب) يقول : إن العرب تُدخل « لا » توكيدا في الكلام كما يُدخلون « ما » في مثل قوله جلّ ثناؤه « فقليلاً ما يؤمنون » و « فيما نقضهم » وكذلك « ما منعك ألاَّ تسجُد » أي : ما منعك أن تسجد . وكذلك « لا أُقسِم بيوم القيامة » المعنى : أُقسم . وقد يجوز في « لا اقسم » أن يكون نَفَى بها كلاماً تقدَّم منهم ، كأنه قال : ليس الأمرُ كذا ؛ ثم قال : أُقسم . وقال (زُهَير) في « لا » :

مُوَرَّثُ المجْد لا يَغْتالُ هِمَّتَهُ
عن الرِّياسة لا عجزٌ ولا سأمُ (١)

أي : لا يغتالها عجز . وقال :

بيوم جَدودا لافَضحتُم أباكُمُ
وسالمتُمُ والخيلُ تَدْمى نُحورُها

يريد: فضحتم أباكم . وحكى (قطرب): « ضربتُ لا زيداً » . وقال آخر:

وقد حداهن بلا غيرِ خُرُقْ

وقال (الهُذلي) :

أفمنك لا برق كأنّ وميضه
غاب تسنّمه ضرام مُثقب

معاوية بن سعيد بن هذيل) . قال (السكري) في (أشعار هذيل) قال (الاصمعي) أخبرنا (ابن أبي طرفة الهذلي) أن (أبا خراش) أنشد هذين البيتين وهو يسعى بين (الصفا) و (المروة) وثم شجر يومئذ .

(١) من قصيدته التي يمدح بها (هرم بن سنان) ومطلعها :

قف بالديار التي لم يعفها القدم   بلى وغيرها الارواح والديم

ومن الباب قوله جل ثناؤه « لئلاّ يعلم أهل الكتاب » .

قال (أبو عبيدة) في قوله جل ثناؤه «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: «لا» من حروف الزوائد لتتميم الكلام ، والمعنى الغاؤها . قال (العجاج):

في بئر ـ لا ـ حُورٍ سرى وما شعرْ

أي : بئر حُور ، أي هالكة . وقال (أبو النجم) :

فما ألوم البِيضَ أن ـلا ـتَسْخَرا

يقول : فما ألومهنّ أن يَسْخَرْنَ . وقال (الشمّاخ) :

أعائشَ مالأهلكِ (١) ـ لا ـ أراهمُ
يُضيعون الهِجانَ مع المُضيعِ ؟

يريد : أراهم يضيعون السَّوام ، و « لا » انما هي لغو . وقال :

ويلحينني في اللهو أن ـلا ـ أُحبَّه
ولِلَّهو داعٍ دائبٌ غير غافلِ

المعنى : يلحينني في اللهو أن أحبه . وفي القرآن « ما منعك أن ـ لا ـ تسجد » أي : أن تسجد .

قال (احمد بن فارس) : أما قوله إن « لا » في « ولا الضّالين » زائدة فقد قيل فيه : إن « لا » إنما دخلت هاهنا مُزِيلةً لتوهّم متوهم أن الضالين هم المغضوب عليهم ، والعرب تنعت بالواو ، يقولون « مررت بالظريف والعاقل » فدخلت « لا » مُزِيلةً لهذا التوهم ومُعلمةً أن الضالين هم غير المغضوب عليهم . وأما قوله في شعر (الشماخ) : إن «لا» زائدة في قوله « مالأهلك

(١) ورد في ديوانه الذي شرحه العالم اللغوي الاديب الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي « مالقومك » .

لا أراهم » فغلطٌ من (أبي عبيدة) لأنه ظنّ أنه أنكر عليهم فساد المال، وليسَ الأمر كما ظنَّ، وذلك أن « الشماخ » احتجّ على امرأته بصنيع أهلها أنهم لا يُضيعون المالَ. وذلك أن امرأة الشماخ وهي (عائشة) قالت للشماخ: لِمَ تشدّد على نفسك في العيش حتى تلزَم الابل وتعزبَ فيها؟ فهوِّن عليك. فردّ على امرأته فقال: مالي أَرى أهلك يتعهدون أموالهم ولا يضيعونها، بل يصلحونها، وأنت تأمرينني باضاعة المال؟ فقال:

أعايشَ مالأهلكِ لا أراهم
يُضيعون الهجانَ مع المُضيعِ؟
وكيف يُضيع صاحبُ مُدْفَآت
على اثباجهنّ من الصقيع؟
لَمالُ المرءِ يُصلحه فيُغْني
مَفَاقِرَهُ أعفُّ من القُنوع

و « لا » تنفي الاسمَ المنكور، نحو « لا رجلٌ عندكَ ».

(لات)

اختلف الناسُ فيها: فمنهم من زعم أن « التاء » متصلة بـ « لا » وأنها بمنزلة « ليس » على تأويل « وليس حينَ مناصٍ » نصَب « حين » بخبر « ليس » وقال (الأفوه) [1] وجعل « لاتَ » بمعنى « حِين »:

---

(١) هو (صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن صعب ابن سعد العشيرة) ولقب بالافوه لانه كان غليظ الشفتين ظاهر الاسنان . كان سيد قومه ومن قدماء شعراء الجاهلية وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وهو القائل:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا
تهدا الامور بأهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد

والبيت الذي استشهد به ابن فارس من قصيدة لهذا الشاعر العربي وهي من جيد شعر العرب وقد

تركَ الناسُ لنا اكتافَهم
وتولوا لاتَ لم يغنِ الفرار

(لَدُنْ)

لدُنْ - بمعنى « عِنْدَ » . قال الله جل ثناؤه « قد بلغتَ من لدُنّي عذرا » وقال « لاتخذناهُ من لدُنّا » أي : من عندنا .

وقد تحذف النون من « لدن » قال الشاعر :

من لدُ لَحيَيْهِ إلى منحورِهِ

و : (لَدَى)

بمعنى « لدن » قال الله جل ثناؤه « وألْفَيا سيدَها لدَى الباب » .

(ليْسَ)

ليس - نفيٌ لفعل مستقبَل تقول « ليس يقوم » .

وزعم ناس أنها من حروف النَّسَق نحو « ضربتُ عبدَ الله ليس زيداً » و « قام عبد الله ليس زيدٌ » و« مررت بعبد الله ليس بزيد » لايجوز حذف الباء لأنك لاتضمر المرور والباء. ولو قلتَ «ظننت زيداً ليس عمراً قائماً » جاز. قال (لبيد) :

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن انشادها لما فيها من ذكر اسماعيل عليه السلام في قوله :

وبنت جرهم نبلا فرمى جرهما منهن فوق وغرار

وأول القصيدة قوله :

ان تري رأسي فيه نزع وشواتي خلة فيها دوار

ومنها :

انما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار
حتم الدهر علينا أنه ظلف ما نال منا أو جبار
وترى الطير على آثارنا رأي عين ثقة أن ستمار

وإذا جوزيت فرضاً فاجزه :

إنما يجزي الفتى ليس الجمل .

والبصريون يقولون : لا يجوز العطف بـ « ليس » . وهي لا تشبه من حروف العطف شيئاً . ألا ترى أنه يبتدأ بها ويضمر فيها ، وروى (سيبويه) هذا البيت :

إنما يجزي الفتى غيرَ الجمل

قالوا : وخطأ « رأيت زيدا ليس عمرا » لأنه لا يكون على تقديرهم فعل بلا فاعل ، وكان (الكسائي) يقول : أجريتْ « ليس » في النسق مجرى « لا » .

(لَعَلّ)

لَعَلَّ - تكون استفهاماً وشكًّا . وتكون بمعنى « خليق » .

وحُكي عن (الكسائي) أن « لعلّما » تأتي بمعنى « كأنما » وأنما . وأنكر (الفراء) هذا ، قال : لأن « أنما » معبرة عن « أنّ » ولا يجوز أن تُسقط « ما » منها أبدا .

وأهل البصرة يقولون : « لعل » ترجٍّ . وبعضهم يقول : توقُّع .

وتكون « لعلّ » بمعنى « عسى » . وتكون بمعنى « كي » . قال الله جلّ ثناؤه « وأنهارا وسبلاً لعلّكم تهتدون » يريد : لكي تهتدوا .

(لَكِن)

قال قوم : هي كلمة استدراك تتضمن ثلاثة معانٍ : منها « لا » وهي نفي و « الكاف » بعدها مخاطبة و « النون » بعد الكاف بمنزلة « إن » الخفيفة أو الثقيلة ، إلا أن الهمزة حذفت منها استثقالا لاجتماع ثلاثة معان

في كلمة واحدة ، فلا تنفي خبرا متقدما وإن تثبت خبرا متأخرا ،ولذلك لا تكاد تجيء الا بعد نفي وجحد، مثل قوله جل ثناؤه « وما رميتَ إذ رميت ولـكنّ اللهَ رمى » . ومما يدلّ على أن النون في « لـكن » بمنزلة « إن » خفيفة أو ثقيلة أنك إذا ثقّلتَ النون نصبتَ بها وإذا خففتها رفعتَ بها .

(مذْ) و (منذُ)

هما ابتداءُ غايةٍ في زمان . نحو « مذُ اليومِ » و « منذُ الساعةِ » .

(ما)

أصلُ « مَا » أنها تكون لغير الناس تقول « ما مرَّ بك من الأ بل؟» .

فأمّا قوله جل ثناؤه « وما خلقَ الذكرَ والانثى » فقال (أبو عبيدة) : معناها « ومَن خَلقَ الذكر والأنثى » . وكذلك « والسماء وما بناها » أي « ومن بناها » وكذلك « ونفس وما سوّاها » . قال : وأهل مكّة يقولون إذا سمعوا صوتَ الرعد « سبُحانَ ما سبّحتَ له » وبعضهم يقرأ « وما خلَقَ الذكرِ والأنثى » أي : وخالقِ الذكرَ والانثى .

و « ما » تكون صِلةً ، كقوله جل ثناؤه « قليلاً مّا تذكّرون » المعنى: قليلاً تذكّرون . ولو كانت اسماً لارتفع فقلت « قليلٌ ما تذكرون » أي : قليلٌ تذكركم .

و «ما» تكون للتفخيم ، كقوله جلّ ثناؤه « الحاقّةُ ما الحاقّة ». ومنه:

بَانتْ لتحزُنَنا عَمَارَهْ
يا جارتا ما أنتِ جارَهْ

وذكر بعضهم أن « ما » هـذه هي التي تذكر في التعجب اذا قلنـا

« ما أحسنَ زيدا » .

وقد تكون « ما » مُضمَرة ، كقوله جل ثناؤه « وإذا رأيت ثَمَّ » أراد : ما ثَمّ . وكما قال « هذا فِراقُ بيني وبينك » أي : ما بيني . و « لقد تقطَّعَ بينَكم » أي : ما بينَكم . فاذا قلت « بينُكم » فمعناه : وصلُكم .

وتكون للنفي ، نحو « مافعلتُ » .

وتكون للاستفهام ، نحو « ماعندك ؟ » . وزعم ناس في قولهم « قَبْلَ عَيْرٍ وما جرى » أن « ما » للنفي . وأنشدوا قول (الشمّاخ) :

أعَدْوَ القِمِصَّى قَبْلَ عَيْرٍ وما جَرَى
ولم تدْرِ ماخُبرِي ، ولم أدرِ مالَها (١)

يقول : نفرتْ هذه المرأة منيّ مثل ما نفرت أتان من عَيْر من قبل أن يبلوَها ويعدوَ إليها . وما جرى ، أي : لم يجرِ إليها .

(مِنْ)

يُسميها أهل العربية « ابتداء غاية » . وتكون للجنس ، نحو « خاتمٌ من حديد » .

وتكون للتبعيض ، نحو « أكلت من الرَّغيف » .

وتكون رفعاً للجنس نحو « ماجاءني من رجل » .

وتكون صِلةً ، نحو قوله جل ثناؤه « مِن خيرٍ مِن ربكم » و « نكفِّر

(١) كان الشماخ قد تزوج امرأة من (سليم) فادعت انه ضربها وكسر يدها . فشكاه قومها الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فأنكر ماادعوا عليه، فأمر عثمان كثير بن الصلت أن يستحلفه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل . فقال الشماخ في ذلك القصيدة التي منها هذا البيت ، ويروي « القبصى » بالباء و « القبضى » بها وبالضاد و « مابالي » بدل « ماخبري » . ومطلعها:
ألا أصبحت عرسي من البيت جامحا على غير شيء ، أي أمر بدالها ؟

عنكم مِن سيئاتكم » .

وتكون تعجبًا ، نحو « ماأنت من رجل » و « حَسْبُكَ من رجل » .

وتكون بمعنى « على » ، قال الله جلّ ذكره « ونصرناه من القوم » .

وكان (أبو عبيدة) يقول في قوله جلّ وعز « مَن يعمل مِنَ الصالحات » : ان « مِن » صلة . قال (أبو ذُؤَيب) :

جزَيتُكَ ضِعفَ الوُدّ لمّا أردته
وما إن جزاكَ الضِّعفَ من أحد قبلي

وقال غيره : لا تزاد من أمرٍ واجب . يقال « ماعندي من شيء » و « ما عنده من خير » و « هل عندك من طعام ؟ » . فاذا كان واجباً لم يحسُن شيء من هذا : لاتقول « عندك من خير » .

(مَنْ)

اسم لمن يعقل . تقول « لقيتُ من لقيتَ » و « مَن مرّ بك ؟ » في الاستفهام . وهو يكون في الواحد والاثنين والجميع . ويخرج الفعل منه على لفظ الواحد والمعنى تثنية أو جمع . قال :

تعال ، فإن عاهدتني لاتخونني
نكن مثلَ مَن ياذِيبُ يَصطحبانِ (١)

وكذلك يَكون في المؤنث قال اللهجل ذكره « ومَن يقنُتْ مِنكنّ » .

---

(١) البيت من قصيدة خاطب (الفرزدق) بها ذئبا وقد أبصره ينهش شاة له مسلوخة ، فقطع الفرزدق رجل الشاة ورمى بها اليه فأخذها وتنحى ، ثم عاد ، فقطع الفرزدق اليد ورمى بها اليه . ويروى الشطر الاول من هذا البيت « تعش ، فان واثقتني لاتخونني » . أما أول القصيدة فقوله :

وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت بناري موهناً فأتاني
فلما دنا قلت : ادن دونك انني وإياك في زادي لمشتركان
فبت أسوي الزاد بيني وبينه على ضوء نار مرة ودخان

و « مَن » تُضمَر . قال الله جـل ثناؤه « وإن مِن أهل الـكتاب إلا ليؤمِنَنَّ به » المعنى : إلاَّ مَنْ . ومثله « وما مِنّا إلا له مقامٌ » أي : إلا مَنْ .

(مه) و (مهما)

مَهْ ـ زجرٌ وإسكات وأمرٌ بالتوقف عما يريده المريد ، كأنّ قائلا يريد الكلامَ بشيء أو فاعلاً يريد فعلاً فيقال لهما « مهْ » أي : قِف ولا تفعل وهذا مشهور في كلام العرب . قال :

مهْ مالي َ لليلة . مهْ ماليهْ
ياراعي ذودِي وأجماليهْ

ويكون هذا على أنّ أمراً تقدّم ، فردّ عليه القائل فقال « مهْ » ثم مرّ في كلام نفسه . و « مهْما » ـ بمنزلة « ما » في الشرط . قال الله جل ثناؤه « وقالوا: مهما تأتنا بهِ مِن آية » ويقال : إنها « ما » أدخلت عليها « ما » قالوا : تكون أحداهما كالصلة كقوله جل ثناؤه « أيَّاماً تدعو » فغيّر اللفظ .

(متى)

متى ـ سؤالٌ عن وقت . تقول « متى يخرجُ زيد ؟ » .

و « متى » يكون شرطاً يقتضى التكرار . تقول « متى كامتُ زيداً فعلى كذا » سمعت علياً يقول : سمعت ثعلبا يقول ذلك .

فأما « متى » التي في لغة (هُذَيْل) فليست من هذا ، لأنهم يقولون « وضعتُه متى كُمِّي » يريدون : الوسَط وينشدون :

شَرِبْنَ بماء البحر ثُم تصعّدت
متى لجُجٍ خضرٍ لهن نئيجُ

قالوا: معناه من اجج. وقالوا: بمعنى وسط.

(نَعَمْ) و (نِعْمَ)

« نَعَمْ » .. عِدَة تصديق. و « نِعْمَ » ـ كلمة تنبيء عن المحاسن كلّها.

(هَلُمَّ)

قالوا: معناها « تعالَ ». وكان (الفرّاء) يقول: أصلها « هل » ضُمّ إليها « امَّ » وتأويل ذلك أن يقال «هَلْ لكَ في كذا ، أُمَّ » أي: اقصُدوتَعالَ. وكان (الفراء) يقول: معنى « اللهم » ياالله أُمَّنا بخير. فكثرت في الكلام واختلطت وتُركت الهمزة.

(ها)

قالوا: معناها « خذْ. تناولْ » تقول « ها يارجلْ ». ويؤمر بها ولا يُنهى بها. وفي كتاب الله جل ثناؤه « هاؤمُ اقرؤا كتابيَهْ ».

(هاتِ)

بمعنى «أعْطِ» على لفظ « رامِ » و « عاطِ ». قال الله جل ثناؤه «قل هاتوا بُرهانَكم » قال (الفراء): ولم يُسمع في الاثنين، إنّما يقال للواحد والجميع. ويقولون: أنا أُهاتيك، وليس من كلامهم هاتَيْتُ، ولا يُنهى بها. وبلغني أن رجلاً قال لآخر: هات. فقال: لا أُهاتيكَ ولا أُواتيك.

(وَيْكأَنَّ)

اختلف أهل العلم فيها. فقال (أبوزيد): معنى «ويكأنّه» ألَمْ تَرَ. وأنشد:

ألا وَيْكَ المسرّةُ لاتدومُ
ولا يبقى على الدّهرِ النعيمُ

وأنشد (أبو عبيدة):

سَأَلتاني الطَّلاقَ أن رأتاني قَلَّ مالي . قد جئتماني بنُكر
وَيْكأنْ مَن يكُن له نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ ومَنْ يفتقِر يعِشْ عيشَ ضُرِّ

وحدثني علي بن ابراهيم عن محمد بن فرج عن سلمة عن (الفراء)قال : هو في كلام العرب تقرير كما يقول القائل « أما ترى إلى صنع الله » .

وحكى (الفراء) عن شيخ من البصريين قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين ابنُك ؟ فقال زوجها : ويكأنَّه وراء الباب . معناه : أما تَرَيْنَه وراء الباب ؟

قال (الفراء) ويذهب بها بعض النحويين الى أنهما كلمتان ، يريد « وَيْكَ » إنما أراد « ويلكَ » فحذف اللام ويجعل « انّ » مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال : ويلك اعلم أن .وقال : إنما حذفوا اللام من«وَيْلَكَ» حتى صارت « وَيْكَ » ، فقد تقول العرب ذلك لكثرتها في الكلام واستعمال العرب إياها . قال (عنترة) :

واقدْ شفى نفسي وأبرأ سقمَها
قِيلُ الفوارس وَيكَ عنترَ أقْدِمِ

وقال آخرون : ويكَ « وَيْ » منفصلة من « كأنّ » كقولك للرجل : أما ترى بين يديك . فقال « وَيْ » ثم استأنف « كأنَّ الله » و « كأن » في معنى الظن والعلم . وفيها معنى تعجب . قال : وهذا وجه مستقيم ، ولم تكتبها العرب منفصلة . ويجوز أنّ يكون كثر بها الكلام فُوصلت بما ليس منه ، كما اجتمعت العربُ على كتاب« يابْنؤُمَّ » فوصلوها لكثرتها .

(أوْلَى)

سمعت (أبا القاسم عليّ بن أبي خالد) يقول سمعت (ثعلبا) يقول « أولى له » أي : داناه الهلاك . وأصحابنا يقولون « اوْلَى » تَهدُّدٌ ووعيدٌ . وهو قريب من ذلك . وأنشدوا :

أُلْفيتَا عيناكَ عند القَفَا

أوْلَى فأوْلَى لك ذا واقِيهْ

وقال قوم — وأنا أبرأ مِن عهدته — : إن « أوْلَى » مأخوذ من « الوَيْل » . وكان للويل فِعْل وتصريف دَرَجَ ولم يبق منه إلاَّ « الويل » قطُّ . قال (جرير) :

يَعْمَلْنَ بالأكبادِ وَيْلاً وآئلا

فقوله « أوْلَى » : « أفْعَلُ » من الويل ، إلاّ أن فيه القلبَ .

وقال قوم « أوْلَى » : داناهُ الهلاكُ فليَحْذَرْ . قال :

أولى لكم ثم أولى أن تصيبكُمُ

مِنّي نواقِرُ لا تبقي ولا تَذَرْ

(يا)

تكون للنداء ، نحو : « يا زيدُ » . وللدعاء ، نحو « يالله » . وتكون للتعجّب ، كقوله « يالَهُ فارساً » . وفي التعجب من المذموم : « ياله جاهلاً » قال في المدح أنشد فيه (القطّان) عن (ثعلب) :

يافارساً ما أبو أوْفَى إذا شُغِلَتْ

كِلتا اليدين كَروراً غيرَ فرّارِ

وفي الذمّ قول الآخر :

أبو حازم جارٌ لها وابنُ بُرْثُن
فيالكَ جارَيْ ذلَّة وصغار

و « يا » للتلهّف والتأسف نحو قوله جل ثناؤه « ياحَسْرَةً على العباد » .
ويكون تنبيها كقوله :

ياشاعراً لا شاعرَ اليوم مثلُه
جرير ولكنْ في كُلَيب تواضعُ

وعلى هذا يتأوّل قوله جلّ ثناؤه « ألا يسجدوا » وقد ذكرناهُ .
و « يا » تكون للتلذّذ نحو قوله :

يا بَرْدَها على الفؤاد لو يَقِفْ

باب معاني الكلام

وهي عند بعض أهل العلم عشرة : خبرٌ . واستخبار . وامر . ونهي . ودُعاء . وطَلَب . وعَرْض . وتحْضيض . وتمنّ . وتعجّبٌ .

فهذا : (بابُ الخبَر)

أما أهل اللغـة فلا يقولون في الخبر أكثرَ مِن أنّه إعلامٌ . تقول : « أخبرتُه . أخبِرُه » والخبر هو العلم .

وأهل النظر يقولون : الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبـه . وهو إفادة المخاطَب أمراً في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم . نحو « قام زيد » و « يقوم زيد » و « قائم زيد » . ثم يكون واجبا وجائزا وممتنعا . فالواجب قولنا « النار مُحرقة » . والجائز قولنا « لقي زيد عمراً » . والممتنع قولنا « حملت الجبلَ » .

والمعاني التي يحتملها لفظ « الخبر » كثيرة : فمنها (التعجب) نحو « ما أحسنَ زيداً » . و (التمني) نحو « ودِدتُك عندنا » . (والانكار) : « ماله عليّ حق » . و (النفي) : « لا بأسَ عليك » . و (الأمر) نحو قوله جلّ ثناؤه « والمطلّقات يتربّصْنَ » . و(النهي) نحوقوله « لا يَمسّهُ إلاّالمطهَّرون» . و (التعظيم) نحو « سبحانَ اللهِ » . و (الدُّعاء) نحو « عفا الله عنـه » . و (الوعد) نحو قوله جلّ وعز « سنريهم آياتنا في الآفاق » . و (الوعيد) نحو قوله « وسيَعلم الذين ظلموا » . (والانكار والتبكيت) نحو قوله جلّ ثناؤه « ذُقْ إنّكَ أنتَ العزيز الـكريم » .

وربّما كان اللفظُ خبراً والمعنى شرطٌ وجزاء ، نحو قوله « إنّا كاشفو

العذاب قليلا إنكم عائدون » فظاهره خبر ، والمعنى : إنّا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا . ومثله « الطلاق مرتان » المعنى : مَن طلّق امرأته مرتين فليُمْسِكها بعدهما بمعروف أو يسرّحها بإحسان .

والذي ذكرناه في قوله جل ثناؤه « ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم » فهو تبكيت وقد جاء في الشعر مثله . قال شاعر يهجو جريراً :

أبلغْ جريراً وأبلغ مَن يبلّغه
أني الأغرُّ وأني زهرةُ اليَمَن

فقال (جريرٌ) مبكّتاً له :

ألم تكن في وُسوم قد وَسَمْتَ بها
من حانَ موعظةٌ يا زهرةَ اليَمَنِ ؟

ويكون اللفظ خبَراً ، والمعنى دعاء وطلب وقد مرّ في الجملة . ونحوه « إيّاكَ نعبُد وإياكَ نستعين » معناه : فأعِنّا على عبادتك . ويقول القائل « استغفر اللهَ » والمعنى : اغفِرْ . قال الله جلّ ثناؤه « لا تثريبَ عليكم اليومَ يغفِرُ الله لكم » ويقول الشاعر :

استغفرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ
ربَّ العبادِ إليه الوَجهُ والعملُ

(باب الاستخبار)

الاستخبارُ ـ طلب خُبْر ماليس عند المستخبِر ، وهو الاستفهام ،

وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق . قالوا : وذلك أن أُولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجابُ بشيء ، فربّما فهمته وربّما

لم تفهمه ، فاذا سألت ثانية فأنت مستفهم تقول : أفهمني ماقلته لي . قالوا : والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخُبْر ولا يوصف بالفهم .

وجملة باب الاستخبار أن يكون ظاهره موافقاً لباطنه كسؤالك عمّا لا تعلمه ، فتقول « ما عندك ؟ » و « مَن رأيت ؟ » .

ويكونُ استخباراً ، في اللفظ ، والمعنى تعجب . نحو « ما أصحاب المَيْمَنَة » . وقد يسمى هذا تفخيماً . ومنه قوله « ماذا يَستعجل منه المجرمون » تفخيم للعذاب الذي يستعجلونه .

ويكون استخباراً والمعنى توبيخ . نحو « أذهبتم طيباتكم » . ومنه قوله:

أغررتني وزعمت أنـــك لابنٌ بالصيف تامرْ ؟

ويكون اللفظ استخباراً ، والمعنى تفجّع . نحو « ما لهـذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة » .

ويكون استخباراً ، والمعنى تبكيت نحو « أأنت قلت للناس » تبكيتٌ للنصارى فيما ادعوه .

ويكون استخباراً ، والمعنى تقرير . نحو قوله جل ثناؤه «ألست بربكم».

ويكون استخبارا ، والمعنى تسوية . نحو « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » .

ويكون استخبارا ، والمعنى استرشاد . نحو « أتجعل فيهامن يُفسدفيها».

ويكون استخبارا ، والمعنى انكار نحو «أتقولون على الله مالا تعلمون ». ومنه قول القائل :

وتقولُ عزَّةُ قد ملَلتَ . فقل لها :

أيملُّ شيءٌ نفسَه فأملَّها ؟ ..

ويكون اللفظ استخبارا، والمعنى عرْض. كقولك «ألا تنزل».

ويكون استخبارا، والمعنى تحضيض. نحو قولك «هلّا خيرا من ذلك». و:

بني ضَوْطرَى لولا الكميَّ المقنّعا

ويكون استخبارا والمراد به الافهام. نحو قوله جل ثناؤه «وما تلك بيمينك» قد علم الله أن لها أمرا قد خفي على موسى عليه السلام، فأعلمه من حالها مالم يعلمه.

ويكون استخبارا، والمعنى تكثير. نحو قوله جل ثناؤه «وكم من قرية أهلكناها» و«كأيّنْ من قرية». ومثله:

كَم مِنْ دَنيٍّ لها قد صِرتُ أتْبَعُه
ولو صحا القلب عنها كان لي تبعا

وقال آخر:

وكم مِن غائط من دونِ سلْمى
قليلِ الأُنس ليس به كَتيعُ

ويكون استخبارا، والمعنى نفي قال الله جل ثناؤه «فمن يهدي من أضلَّ اللهُ» فظاهره استخبار والمعنى: لا هاديَ لمن أضلَّ اللهُ. والدليل على ذلك قوله في العطف عليه «ومالهم من ناصرين». ومما جاء في الشعر منه قولُ (الفرزدق):

أينَ الذين بهم تُسامِي دارِماً:
أمْ مَنْ إلى سَلفَيْ طِهيّة تَجْعَلُ؟

ومنه قوله جل ثناؤه «أفأنت تُنْقِذُ مَن في النار» أي لست مَنقذهم.

وقد يكونُ اللفظ استخبارا، والمعنى إخبار وتحقيق. نحو قوله جل

ثناؤه « هل أتى على الانسان حينٌ من الدّهر » قالوا معناه : قد أتى .

ويكون بلفظ الاستخبار . والمعنى تعجب . كقوله جل ثناؤه « عمَّ يَتَساءلُون » و « لِأيّ يوم أجِلتْ » ومن دقيق باب الاستفهام أن يوضع في الشرط وهو في الحقيقة للجزاء . وذلك كقول القائل « إن أكرمتك تُكرِمني » المعنى : أتكرمني إن أكرمتُك ؟ قال الله جل ثناؤه « أفإنْ مِتَّ فهم الخالدون ؟ » تأويل الكلام : أفهم الخالدون إن متّ ؟ ومثله « أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ » تأويله : أفتنقلبون على أعقابكم إن مات ؟

وربّما حذفت العربُ ألف الاستفهام . من ذلك قول الهُذَليّ :

رَفَوْني وقالوا : ياخويلدُ لم ترَعْ
فقلت ـ وأنكرتُ الوجوهَ ـ همُ همُ ؟

أراد : أهم ؟ وقال آخر :

لَعمركَ ما أدري وإن كنتُ دارياً
شُعيْثُ بنَ سَهْم ، أم شُعيثَ بنَ مِنْقَرِ ؟

وقال آخر :

لعمركَ ما أدري وان كنتُ دارياً
بسبع رَمين الجمر ، أم بثمانِ ؟

وعلى هذا حمل بعض المفسرين قوله جل ثناؤه في قصة ابراهيم عليه السلام « هذا ربي » : أي : أهذا ربي ؟

(باب الأمر)

الأمر عند العرب ـ ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصياً . ويكون

بلفظ « افعلْ » و « ليفعلْ » نحو « أقيموا الصلاة » ونحو قوله « وَليحكمْ أهلُ الانجيل » .

فأما المعاني التي يحتملها لفظ الأمر فأن يكون أمراً ، والمعنى مسألة . نحو قولك « اللهم اغفر لي » . قال :

ما مسَّها من نقبٍ ولا دبرْ
اغفرْ له اللهمَّ ان كان فجرَ (١)

ويكون أمرا ، والمعنى وعيد . نحو قوله جل ثناؤه «فتمتعوا فسوف تعلمون » . ومثله قوله جل ثناؤه « اعمَلُوا ماشئتم » . ومنه قول (عَبيد) :

حتّى سقيناهم بكأسٍ مرَّةٍ
فيها المُثمَّلُ ناقعاً فليشرَبوا

ومن الوعيد قوله :

ارْوُوا(٢) عليَّ وأرضُوا بي رحالَكمُ
واستَسمِعوا يابني مَيْثاءَ إنشادي
ما ظنُّكم ببني مَيْثاءَ إن رَقدوا
ليلاً وشدَّ عليهم حيَّةُ الوادي ؟

وقد جاء في الحديث « إذا لم تَسْتَحْي فاصنَعْ ما شئت » أي : إن الله جل ثناؤه مجازيك قال الشاعر :

(١) فجر : مال عن الصدق . وحكاية الشعر أن أعرابيا أتى عمر بن الخطاب فشكا اليه نقب ابله ودبرها واستحمله ، فلم يحمله عمر وأقسم له أنه ليس فيها مايزعم الاعرابي ، وأول قول الراجز:
أقسم بالله أبو حفص عمر

(٢) من « الرواية » .

إذا لم تَخْشَ عاقبةَ الليالي
ولم تستَحيِ فاصنع ما تشاءُ

ويكون اللفظ أمراً ، والمعنى تسليم . نحو قوله جل ثناؤه « فاقضِ ما أنتَ قاض » .

ويكون أمراً ، والمعنى تكوين . نحو قوله جل ثناؤه « كونوا قِرَدَةً خاسِئِين » . وهذا لا يجوز أن يكون إلا مِن الله جل ثناؤه .

ويَكون أمرا . وهو نَدْب . نحوقوله ثناؤه « فانْتَشِرُوا في الأَرض » . ومثله :

فقلتُ لراعيها انْتَشِرْ و تَبَقَّلِ

ويكون أمرا ، وهو تعجيز . نحوقوله جل ثناؤه «فانْفُذوا ، لا تنفُذون إلا بسلطان » . ومثله :

خَلِّ الطريقَ لمن يَبْني المَنارَ بها
وابرُزْ ببَرْزَةَ حيثُ اضْطَرَّكَ القَدَرُ

ويكون أمرا ، وهو تعجب . نحوقوله جل ثناؤه « أسْمِعْ بهم » . قال:

أحْسِنْ بها خُلَّةً لو أنها صدقتْ
موعودَها ، ولو انَّ النُّصحَ مقبولُ(١)

ويكون أمرا ، وهو تمنٍّ . تقول لِشخص تراه « كُنْ فلاناً ».

ويكون أمرا ، وهو واجب . في أمر الله جل ثناؤه « أقيموا الصلاةَ » .

ويكون اللفظ أمرا ، والمعنى تلهفٌ وتحسير . كقول القائل « مت

---

(١) البيت لكعب بن أبي زهير رضي الله عنه . من قصيدته المشهورة التي يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ويروى « اكرم بها » مكان « أحسن بها » واول القصيدة قوله :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول

بِغَيْظِكَ » و « مُتْ بِدائك » وفي كتاب الله جل ثناؤه « قل موتوا بغيظكم » ثم قال (جرير) :

موتوا من الغَيْظ غمًّا في جزيرتكم
لَنْ تقطعوا بطنَ وادٍ دونَهُ مُضَرُ

ويكون أمرا ، والمعنى خَبَر . كقوله جل ثناؤه « فليضحكوا قليلا ، وليبكوا كثيرا » المعنى : انهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيرا .

فان قال قائل : فما حال الامر في وجوبه وغير وجوبه ؟ قيل له : أمّا العرب فليس يُحفظُ عنهم في ذلك شيء ، غير أن العادة جارية بأنّ من أمر خادمه بسقيه ماء فلم يفعل ، أنّ خادمه عاصٍ . وأن الآمر معصِيّ . وكذلك اذا نهى خادمَه عن الكلام فتكلم ، لا فرق عندهم في ذلك بين الأمر والنهي .

فأما « النهي » — فقولُك « لا تَفعلْ » . ومنه قوله :

لا تَنكِحي — إن فَرّق الدهر بيننا —
أغمّ القفا والوَجهِ ليس بأنْزعا(١)

وأمّا « الدعاء ، والطَّلب » — فيكون لمن فوقَ الداعي والطالب . نحو « اللهمّ اغفرْ » . ويقال للخليفة « انظرْ في أمري » . قال الشاعر :

إليكَ أشكو ، فتقبَّلْ مَلَقي
واغفرْ خطاياي وثمِّرْ وَرَقي

و « العَرْض . والتحضيض » — متقاربان . إلا أن العَرْضَ أرفقُ . والتحضيض أعزَمُ . وذلك قولك في العَرض « ألا تنزل . ألا تأكلُ » .

(١) من قصيدة (هدبة بن خشرم) ومطلعها :

أقلي علي اللوم يا أم بوزعا   ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا

والاغراء والحث قولك «ألَمْ يأنِ لك أن تطيعني» . وفي كتاب الله جلّ ثناؤه « ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذِكر الله » . والحثّ والتحضيض كالأمر ومنه قوله عزوجل « أنِ ائْتِ القومَ الظالمين ، قومَ فِرعَون ، ألاَ يتقون » فهذا من الحث والتحضيض ، معناه : ائْتِهم ومُرْهُم بالاتّقاء .

و « لولا » يكون لهذا المعنى ، وقد مضى ذكرها . وربما كان تأويلها النفي ، كقوله جل ثناؤه « لولا يأتُونَ عليهم بسلْطان بيّن » المعنى : اتخذوا من دونه آلهة لا يأتونَ عليهم بسلطان بيّن .

و « التمنّي » ـ قولك « وَدِدتكَ عندنا » وقوله :

وَددتُ ـ وما تُغني الوَدَادةُ ـ أنني
بما في ضمير الحاجبيّة عالِمُ .

قال قوم : هو من الاخبار ، لأن معناه «ليس » اذا قال القائل « لَيْتَ لي مالاً » فمعناه : ليس لي مال . وآخرون يقولون : لو كان خبرا لجاز تصديق قائله أو تكذيبه ، وأهل العربية مختلفون فيه على هذين الوجهين .

أمّا « التعجب » ـ فتفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف . كقولك « ما أحسنَ زيدا » . وفي كتاب الله جل ثناؤه قُتِلَ الانسانُ ما أكفره » وكذلك قوله جل ثناؤه « فما أصبَرَهم على النار » وقد قيل : انّ معنى هذا « ما الذي صبّرهم » . وآخرون يقولون « ما أصبرَهم : ما أجرأهم » . قال : وسمعت أعرابيًّا يقول لآخر : ما أصبرك على الله ، أي ما أجرأك عليه .

باب الخطاب

يأتي بلفظ المذكّر، أو لجماعة الذُّكران

اذا جاء الخطاب بلفظ مذكّر ولم يُنصَّ فيه على ذِكر الرجال فانّ ذلك الخطاب شامل للذُكران والاناث . كقوله جلّ ثناؤه « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزَّكاة » . كذا تَعرف العرب هذا . فاذا قال القائل « هذا لقوم من بني فلان » فقد ذهب أكثرُ أهل اللغة الى أن « القومَ » للرجال دون النساء ، فسمت عليَّ بن ابراهيم يقول ، سمعت ثعلباً يقول : يقال « امرؤٌ . وأمرآن. وقوم » و « امرأة .وامرأتان .ونِسوَة». وسمت علياً يقول ،سمعت المفسر يقول ، سمعت عبدَ الله بن مُسْلِم يقول : « القوم » للرجال دون النساء ، ثم يُخالطهم النساء فيقال « هؤلاء القومُ قومُ فلان » ولا يجوز للنساء ليس فيهن رجل : هؤلاء قوم فلان ، ولكن يقال : هؤلاء من قوم فلان ، لأن قومه رجال والنساء منهم . قال : وانّما سمي الرجال دون النساء قوماً لأنهم يقومون في الأمور وعند الشدائد يقال : قائم وقَوْم ، كما يقال : زائر وزَوْر . وصائم وصَوْم . ونائم ونَوْم . ومثله « النَفَر » لأنهم ينفِرُون مع الرجل اذا استنفرَهم . قال (امرؤ القيس) :

فهو لاتَنمِي رَمِيَّتُهُ ماله لاعُدَّ من نَفَرِه(١)

ومما يدلّ على أن القوم للرجال قول (زهير) :

---

(١) يقول : اذا رمى هذا الرامي الرمية لم تجز موضعها حتى تموت . ثم دعا عليه بالموت ، ولكن على سبيل التعجب لا على سبيل الحقيقة . أما مطلع القصيدة فقوله :

رب رام من بني ثعل مُتلج كفيه في قتره

وما أدري ، وسوف إخال أدري ،
أقوم آل حصن أم نساء (١)

باب أقلّ العدد الجمع

الرُّتَبُ في الأعداد ثلاثٌ : رتبـة الواحد . ورتبـة الاثنين . ورتبة الجماعة ، فهي للتوحيد والتثنية والجمع ، لا يزاحم في الحقيقة بعضها بعضا . فإن عُبِّر عن واحد بلفظ جماعة وعن اثنين بلفظ جماعة فذلك كله مجاز والتحقيق ما ذكرناه . فإذا قال القائل « عندي دراهمُ . أو أفراسٌ . أو رجال » فذلك كله عبارة عن أكثر من اثنين . وإلى ذلك ذهب (عبد الله بن عباس) — ومكانُه من العلم باللغة مكانُه — في قوله جل ثناؤه « فإن كان له إخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُس » إلى أن الحَجْبَ في هـذا الموضع عن الثلث إلى السدس لا يكون إلا بأكثر من اثنين ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « الاثنان فما فوقهما جماعة » فإنما أراد أنهما إذا صلَّيا فقد حازا فضلَ الجماعة ، لا أنّ النبي صلى الله تعالى عليـه وسلم سمَّى الشخصين جماعة . وقول القائل : إن أقلّ ذلك أن يُجْمع واحد إلى واحد فهذا مجاز ، وإنما الحقيقة أن يُقال : كان واحد فثُنّي ثم جُمع . ولو كان الأمر على ما قالوه لما كان للتثنية ولا للاثنـين معنًى بوجه ، ونحن نقول « خرجا . ويخرجان » فلو كان الاثنان جمعاً لَمَا كان لقولنا « يخرجان » معنى ، وهذا لا يقوله أحد .

---

(١) من قصيدته التي مطلعها :
عفا من آل فاطمة الجواء   فيمن فالنوادم فالحساء

باب الخطاب

الذي يقع به الإفهام من القائل ، والفهم من السامع

يقع ذلك بين المتخاطبَيْن من وجهين : أحدهما الإعراب ، والآخر التصريف . هذا فيمن يعرف الوجهين ، فأمّا من لا يعرفهما فقد يمكن القائل إفهامُ السامع بوجوه يطول ذِكرها من اشارة وغير ذلك . وإنمّا المعوَّل على ما يقع في كتاب الله جل ثناؤه من الخطاب أو في سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيرهما من الكلام المشترك في اللفظ .

فأمّا الاعراب ـ فبه تُميَّز المعاني ويُوقَف على أغراض المتكلمين. وذلك أنّ قائلا لو قال « ما أحسنْ زيدْ » غيرَ معرب » أو « ضربَ عمرْ زيدْ » غير معرب لم يوقَف على مراده . فاذا قال « ما أحسنَ زيداً » أو « ماأحسنُ زيدٍ » أو « ما أحسنَ زيدٌ » أبانَ بالاعراب عن المعنى الذي أراده .

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها : فهم يفرُقون بالحركات وغيرها بين المعاني . يقولون « مِفتَح » للآلة التي يُفتح بها . و « مَفتَح » لموضع الفتح و « مِقَصّ » لآلة القص . « ومَقَصّ » للموضع الذي يكون فيه القص و « مِحْلَب » للقدَح يُحلب فيه و « مَحْلَب » للمكان يُحتلب فيه ذواتُ اللبن ويقولون « امرأة طاهر » من الحيض لأن الرجل لا يشرَكها في الحيض . و « طاهرة » من العيوب لأن الرجل يَشرَكها في هذه الطّهارة . وكذلك « قاعد » من الحَبَل و « قاعدة » من القعود . ثم يقولون « هذا غلاماً أحسن منه رجلا » يريدون الحالَ في شخص واحد . ويقولون « هذا غلام أحسنُ منه رجل » فهما اذاً شخصان . وتقول « كم رجلاً رأيتَ ؟ » في الاستخبار .

و « كم رجلٍ رأيتَ » في الخبر يراد به التكثير . و « هنَّ حوَاجُّ بيتِ الله » اذا كنّ قد حججنَ . و « حواجُّ بيتَ الله » اذا أردْن الحجَّ . ومن ذلك « جاء الشتاء والحَطَبَ » لم يرِدْ أنَّ الحطب جاء ، انما أراد الحاجة اليه . فان أراد مجيئهما قال « والحطبُ » . وهذا دليل يدل على ما وراءه .

وأما التصريف — فاز من فاته علمه فاته المعظم ، لأنا نقول « وَجَدَ » وهي كلمة مبهمة فاذا صرفنا أفصحتْ فقلنا في المال « وُجْداً » وفي الضالة « وِجْداناً » وفي الغضب « مَوْجِدَةً » وفي الحزن « وَجْداً » . وقال الله جل ثناءه « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطَبًا » وقال « وأقسِطوا ان إلله يحب المقسطين » كيف تحول المعنى بالتصريف من العدل الى الجَوْر . ويكون ذلك في الاسماء والأفعال فيقولون للطريقة في الرمل « خِبَّة » وللأرض المخصبة والمجدبة « خُبَّة » . وتقول في الأرض السهلة الخوّارة « خارَت ، تخورُ ، خَوْراً ، وخؤُراً » وفي الانسان اذا ضعُف « خارَ ، خَوَرا » وفي الثور « خار ، خُواراً » . ويقولون للمرأة الضخمة « ضِنَاك » وللزُّكمة « ضُناك » ويقولون للابل التي ذهبت ألبانها « شَوْل » وهي جمع « شائلة » . والتي شالت أذنابها لِلَّقح « شُوَّل » وهي جمع « شائل » . ويقولون لبقية الماء في الحوض « شَوْل » ويقولون للعاشق « عميد » وللبعير المتأكل السَّنام « عمِد » الى غير ذلك من الكلام الذي لا يُحصى .

باب معاني ألفاظ العبارات

التي يعبّر بها عن الاشياء

ومرجعها الى ثلاثة وهي : المعنى ، والتفسير ، والتأويل . وهي وان

اختلفت فان المقاصد بها متقاربة .

فاما المعنى — فهو القصد والمراد . يقال « عَنَيْتُ بالكلام كذا » أي : قَصَدْتُ وعَمَدْتُ . أنشدني القطان عن ثعلب عن (ابن الأعرابي) :

مثلُ البرام غدا في أصْدَةٍ خَلَقٍ
لم يستعن وحوامي الموتِ تَغشاهُ
فَرَّجْتُ عنه بصِرْعَيْنا لأرملة
وبائس جاء معناه كمعناهُ

يقول في رجل قُدِّم ليُقتل ، وأنه فرج عنه بصِرْعين ، أي فِرْقين من غنم : قد كنتُ أعددتُها لأرملة تأتيني تسألني أو لبائس مثل هـذا المقدَّم ليقتل معناه كمعناه ، أي إن مقصدهما في السؤال والبؤس مقصد واحد ويجوز أن يكون المعنى « الحال » أي حالهما واحدة .

وقال قوم اشتقاق « المعنى » من « الاظهار » يقال « عنتِ القِرْبة » اذا لم تحفظ الماء بل أظهرته ، و « عُنوان الكتاب » من هذا . وقال آخرون : « المعنى » مشتق من قول العرب « عنَتِ الأرض بنبات حسن » إذا أنبتت نباتاً حسناً. قال الفراء «لم تَعْنُ بلادنا بشيء» إذا لم تُنبت وحكى (ابن السِّكِّيت) « لم تَعنِ » من « عنَتْ . تعني » فان كان هذا فانَّ المراد بالمعنى الشيء الذي يفيده اللفظ كما يقال «لم تَعْنِ هذه الأرض» أي : لم تُفِدْ .

وأما « التفسير » — فانه « التفصيل » كذا قال (ابن عباس) في قوله جل ثناؤه « وأحْسَنَ تفسيرا » أي : تفصيلا .

وأما اشتقاقه فمن « الفَسْر » . أخبرني القطّان عن المَعْدانيّ عن أبيه عن

معروف عن الليث عن (الخليـل) قال : الفسر البيان ، واشتقاقه من فَسرِ الطبيب الماء إذا نظر إليه ، ويقال لذلك « التَّفْسِرَة » أيضاً .

وأما « التأويل » ـ فآخِرُ الأمر وعاقبته . يقال « إلى أي شيء مآل هذا الأمر ؟ » أي مَصيرُه وآخِره وعقباه . وكذا قالوا في قوله جلّ ثناؤه « وما يَعلم تأويلَه إلاَّ الله » أي : لا يعلم الآجال والمُدَدَ إلاّ الله جل ثناؤه ، لأن القوم قالوا في مدّة هذه الملة ما قالوه ، فأُعلموا أن مآل الأمر وعقباه لا يعلمه الا الله جل ثناؤه .

واشتقاق الـكلمة من « المآل » وهو العاقبة والمصير ، قال (عَبْدَةَ بن الطبيب) :

وللأَحِبة أيام تَذكَّرُها
ولِلنّوى قبل يوم البين تأويلُ

وقال (الأعشى) :

على أنَّها كانَتْ تَأَوُّلُ حبِّها
تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقاب فأَصْحبَا

يقول : إن حبّها كان صغيراً في قلبه فآلَ الى العِظَم ولم يزل يَنْبُت حتى أصْحَبَ ، فصار كالسَّقب الذي لم يزل يَشِبُّ حتى أصحب ، يعني أنه إذا استصحبته أمّه صَحِبها .

باب الخطاب المطلق والمقيد

أمّا الإطلاق ـ فأن يُذكَر الشيء باسمه لا يُقرَن به صفة ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك .

والتقييد - أن يذكر بقرينٍ من بعض ما ذكرناه ، فيكون ذلك القرين زائداً في المعنى . من ذلك أن يقول القائل « زيدٌ ليثٌ » ، فهذا إنما شبهه بليث في شجاعته ، فإذا قال « هو كالليثِ الحَرِبِ » فقد زاد « الحَرِبَ » وهو الغضبان الذي حُرِبَ فريسته ، إي : سُلِبَها . فاذا كان كذا كان أدهى له . ومن المطلق قوله :

ترائبُها مصقولة كالسَّجنجل (١)

فشبَّه صدرها بالمرآة ، لم يزد على هذا . وذكر (ذو الرّمة) أُخرى فزاد في المعنى حتى قيّد فقال :

ووجهٌ كمرآة الغريبة أسجحُ

فذكر المرآة كما ذكر (امرؤ القيس) السَّجنجل ، وزاد الثاني ذِكْرَ الغريبة فزاد في المعنى ، وذلك أن الغريبة ليس لها من يُعْلِمها محاسنها من مساويها فهي تحتاج أن تكون مرآتها أصفى وأنقى لتُرِيَها ماتحتاج إلى رؤيته من سُنَنِ وجهها . ومنه قول (الأعشى) :

تَرُوحُ على آل المُحلَّق جفنةٌ
كجابية الشيخ العِراقيِّ تفهَقُ

فشبَّه الجفنة بالجابية ، وهي الحوض ، وقيدها بذكر الشيخ العراقي لأن العراقي اذا كان بالبدو لم يعرف مواضعَ الماء ومواقع الغيث ، فهو على جمع الماء الكثير أحرص من البدوي العارف بالمناقع والأحساء . ومن هذا الباب قول (حُمَيد بن ثَوْر) يصف بعيراً :

---

(١) عجز بيت من معلقة (امريء القيس) وصدره :
مهفهفة بيضاء غير مفاضة

مُحَـلًى بأطواقٍ عِتاقٍ يُبِينُها
على الضُّرِّ راعي الثَّلَّةِ المُتَعَيِّفُ

فقال « راعي ثَلّة » ولم يطلق اسم الراعي ، وذلك انهم يقولون : إنّ راعيَ الغنم أجهلُ الرُّعاة ، فيقول : إنّ هذا البعيرَ محلًى باطواق عتاق ، أي كريمة ، يُبِينُها راعي الثلة على جهله فكيف بغيره ممن يعرف .

باب الشيء يكون ذا وصفين

فيعلّق بحُكم من الأحكام على أحد وصفيه

أمّا الفقهاء فمختلفون في هذا .

فأمّا مذهب العرب فانّ العربي قد يذكر الشيء باحدى صفتيه فيؤثِّر ذلك ، وقد يذكره فلا يؤثّر بل يكون الأمر في ذلك وفي غيره سواءً . ألا ترى القائل يقول :

مِنْ أُناسٍ ليسَ من أخلاقِهم
عاجِلُ الفُحْش ولا سوءُ الطَّمَعْ

فلو كان الأمر على ما يذهب اليه مَن يُخالِف مذهبَ العرب لاستُجِيزَ عاجلُ الفُحْش إذ كان الشاعرُ إنما ذكر العاجل ، وقد قال الله جلّ ثناؤه « ولا تكونوا أوّلَ كافرٍ به » والكفر لايجوز في حال من الأحوال . وحكى ناس عن (أبي عُبيد) أنّه كان يقول بالمذهب الأوّل ويقول في قول النبيّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « لَيُّ الواجدِ يُحِلُّ عقوبتَه وعِرْضه » فدلّ أن غيرَ الواجد مخالف للواجد . والذي نقوله في هذا الباب أنّ (أبا عبيْد) إنما سلك فيما قاله من هذا مَسْلك التأوُّل ذاهباً الى مذهب من يقول بهذه المقالة ،

ولم يَحْكِ ماقاله عن العرب ، ولو حكاه عنهم للزم القولُ به ، لأنّ (أبا عبيد) ثِقة أمين فيما يحكيه عن العرب ، فأما في الذي تأوّله فانّا نحن نُخالفه فيه كما نخالفه في مسئلة مُتعة الحج وفي ذوي الأرحام وغير ذلك من المسائل المختلف فيها

باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز

نقول في معنى الحقيقة والمجاز :

إن « الحقيقة » — من قولنا «حَقّ الشيء» إذا وجب . واشتقاقه من الشيء المحقَّق وهو المُحْكَم . تقول « ثوب محقّق النَّسْج » أي مُحْكَمُه. قال الشاعر :

تَسرْبلْ جِلدَ وجهِ أبيك إنّا
كَفيناكَ المحققةَ الرّقاقا

وهذا جنس من الكلام يُصدّق بعضُه بعضاً من قولنا «حقٌّ وحقيقة ونصُّ الحِقاق » . فالحقيقة : الكلام الموضوع موضِعَه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير ، كقول القائل « أحمدُ اللهَ على نِعَمه وإحسانه » وهذا أكثر الكلام . قال الله جل ثناؤه « والذين يؤمنونَ بما أُنزل إليكَ وما أُنزلِ من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » وأكثر ما يأتي من الآي على هذا . ومثله في شعر العرب :

لَمالُ المرء يُصْلحهُ فيغْني
مفاقِرَهُ أعفُّ من القُنوعِ (١)

وقول الآخر :

(١) سبق منا أن البيت من شعر الشماخ .

وفي الشرِّ نجاةٌ حـ ـين لا ينجيك إحسانُ

وأمّا «المجاز» — فمأخوذ من «جاز . يجُوزُ» إذا استنَّ ماضياً تقول «جاز بنا فلان . وجازَ علينا فارس» هذا هو الأصل . ثم تقول «يجوز أن تفعلَ كذا» أي: يَنفُذ ولا يُرَدُّ ولا يُمنَع . وتقول «عندنا دراهم وَضَح وازنة وأخرى تجوزُ جواز الوازنة» أي: إن هذه وإن لم تكن وازنة فهي تجوز مجازَها وجوازَها لقربها منها . فهذا تأويل قولنا «مجاز» أي: إن الكلام الحقيقيّ يمْضي لِسَنَنه لا يُعتَرض عليه ، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه ، إلاّ أنّ فيه من تشبيهٍ واستعارة وكفّ ماليس في الأول ، وذلك كقولك «عطاء فلان مُزْنٌ واكفٌ» فهذا تشبيه وقد جاز مجاز قوله «عطاؤه كثير وافٍ» ومن هذا في كتاب الله جل ثناؤه «سَنَسِمُهُ على الخُرطوم» فهذا استعارة . وقال «وله الجواري المُنْشآتُ في البحر كالأعلام» فهذا تشبيه . ومنه قول الشاعر:

أَلمْ ترَ أنّ الله أعطاكَ سورَةً
ترَى كلَّ مَلك دُونها يتذبذبُ
بأنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ
إذا طلَعتْ لم يَبْدُ منهن كوكبُ

فالمجاز هنا عند ذِكر «السُّورَة» وإنما هي من البناء . ثم قال «يتذبذب» والتذبذب يكون لِذَباذب الثوب وهو ما يتدلّى منه فيضطرب ثم شبهه بالشمس وشبههم بالكواكب .

وجاء هذان البابان في نُظوم كتاب الله جلّ ثناؤه ، وكذلك ما يجيء بعدهما ما نذكره من سُنَن العرب لتكون حجَّة الله جل اسمه عليهم آكدَ ،

ولِئَلاَّ يقولوا : إنما عجزنا عن الاتيان بمثله لانه بغير لغتنا وبغير السُّنن التي نَستنُّها . لا ، بل أنزله جل ثناؤه بالحروف التي يعرفونها وبالسُّنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الاتيان بمثله أظهرَ وأشهر . ثم جعله تبارك اسمه أحد دلائل نُبوّة نبينّا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . ثم أعلمهم ألاَّ سبيل لهم الى معارَضته ، وقطَع العذر بقوله جل ثناؤه « قل لَئن اجتمعتِ الانسُ والجِنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

فمِن سنن العرب مخالفةُ ظاهرِ اللفظ معناه ، كقولهم عند المدح «قاتله الله ما أشعره » فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه . ومن قول (امريء القيس) يصف رامياً :

فهو لاتنْمي رَميَّـه مالهُ لاعُـدَّ من نفَرِه

يقول : إذا عُـدَّ نفرُه لم يعدَّ معهم ، كأنه قال : قتله الله ، أماته الله ، حتى لا يعدَّ . ومنه قولهم « هَوَتْ أمُّه . وهَبِلَتْهُ . وثكلته » قال (كعب ابن سعد) يرثي أخاه :

هَوَتْ أمُّهُ ما يبْعَثُ الصبحُ غاديًا
وماذا يؤدّي الليلُ حينَ يؤُوبُ

وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرجُل في رميْه أو في فعل يفعله . وكان (عبد الله بن مسلم بن قتيبة) يقول في هذا الباب : من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوعُ كقول الله جل ثناؤه « قُتِـل الخرّاصُون . وقُتِـل الانسانُ ما أكفرَه . وقاتلهم الله أنى يؤفكون » وأشباهُ ذلك .

قال أحمد بن فارس : وهذا وان أشبه ما تقدم ذكره فانه لا يجوز لأحد

أن يُطاق فيما ذكره الله جل ثناؤه أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد ، لأنهم قتلوا واهلكوا وقوتلوا ولعنوا ، وما كان لله جل ثناؤه ليدعوَ على أحد فتحيد الدعوة عنه . قال الله جل ثناؤه « تَبَّتْ يدا أبي لَهَب فدعا عليه ثم قال - وتَبَّ » أيّ وقد تبّ وحاق به التباب . و (ابن قتيبة) يُطلق إطلاقات منكرةً ويروي أشياء شنعة ، كالذي رواه عن (الشَّعْبِيّ) أنَّ أبا بكر وعمر وعليّاً توفوا ولم يجمعوا القرآن . قال : وروى شَريك عن اسماعيل بن أبي خالد قال سمعت الشّعبي يقول ويحلف بالله : لقد دخل (عليٌّ) حُفرته وما حفظ القرآن . وهذا كلام شنع جدّاً فيمن يقول « سلُوني قبل أن تفقدوني ، سلوني فما من آية إلاَّ أعلم أبليلٍ نزلت أم بنهار ، أم في سهْل أم في جبل » وروى السُّدّي عن عبدِ خيرٍ عن عليّ رضي الله تعالى عنه أنه رأى من الناس طَيْرَةً عند وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأقسَمَ ألاَّ يضع على ظهره رداءً حتى يجمع القرآن قال : فجلس في بيته حتىّ جمع القرآن ، فهو أول مصحف جُمع فيه القرآن ، جَمعه من قلبه ، وكان عند (آل جعفر) . وحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز قال قال أبو عبيد حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي أنه قال : مارأيتُ أحداً أقرأ من (عليّ) صلوات الله عليه : صلّينا خلفه فأسْوأ بَرْزَخاً ثم رَجع فقرأه ثم عاد الى مكانه قال (أبو عبيد) البرزخ : مابينَ كل شيئين ، ومنه قيل للميت : هو في البرزخ ، لأنه بين الدنيا والآخرة ، فاراد أبو عبد الرحمن بالبرزخ مابين الموضع الذي أسقط علي صلوات الله عليه منه ذلك الحرفَ الى الموضع الذي كان انتهى اليه .

باب اجناس الكلام

في الاتفاق والافتراق

يكون ذلك على وجوه : فمنه اختلاف اللفظ والمعنى ، وهو الاكثر الاشهر ، مثل « رجل . وفرس » و « سيف . ورمح » ومنه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى ، كقولنا « سيف وعضب » و « ليث . وأسد » على مذهبنا في أن كل واحد منها فيه ماليس في الآخر من معنى وفائدة .

ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، كقولنا عين الماء وعين المال وعين الركبة وعين الميزان [1] ومنه في كتاب الله جل ثناؤه « قضى » بمعنى : حتَم كقوله جل ثناؤه « قضى عليها الموتَ » وقضى بمعنى : أمَر كقوله جل ثناؤه « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » أي أمر . ويكون قضى بمعنى : أعلَمَ كقوله جل ثناؤه « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب » أي أعلمناهم . وقضى بمعنى : صنَع كقوله جل ثناؤه « فاقْضِ ما أنتَ قاضٍ » وكقوله جل ثناؤه « ثُمَّ اقْضوا اليَّ » أي اعملوا ما أنتم عاملون . وقضى : فرَغ . ويقال للميت : قَضَى أي فرغ . وهذه وان اختلفت الفاظها فالاصل واحد .

ومنه اتفاق اللفظ وتضادُّ المعنى كـ « الظنّ » وقد مضى الكلام عليه .

ومنه تقارب اللفظين والمعنيين كـ « الحزْم » و « الحزْن » . فالحزْمُ من الارض أرفع من الحزن . وكـ « الخضْم » وهو بالفم كله . و « القضْم » وهو بأطراف الاسنان .

---

(١) راجع قصيدة (ابن فارس) في معاني العين . صفحة (يه) من ترجمته التي صدرنا بها هذا الكتاب .

ومنه اختلاف اللفظين وتقارب المعنيين كقولهم « مدحه » اذا كان حياً و « أبنه » اذا كان ميتا .

ومنه تقارب اللفظين واختلاف المعنيين وذلك قولنا « حرج » اذا وقع في الحَرج و « تحرَّجَ » اذا تباعد عن الحرج . وكذلك « أثِمَ . وتأثَّمَ » . و « فزِعَ » اذا أتاه الفزَع و « فُزِّعَ عن قلبه » اذا نحّي عنه الفزع قال الله جل ثناؤه « حتىّ اذا فُزِّعَ عن قلوبهم » أرادوالله أعلم : أُخرِج منها الفزعُ .

باب القلب

ومن سنن العرب القلبُ . وذلك يكون في الكلمة ، ويكون في القصة:

فأمّا الكلمة — فقولهم « جذبَ وجبذَ » و « بكلَ . ولبكَ »وهو كثير وقد صنّفه علماء اللغة ؛ وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله جل ثناؤه شيءٌ .

وأما الذي في غير الكلمات ـ فقولهم :

كما عُصِبَ العلباءُ بالعودِ

و : كما كان الزّناءُ فريضةَ الرَّجْمِ

و : كأنّ لونَ أرضه سماؤُهُ

و : كأنّ الصفا أوْرا كُها

إنما أراد : كان أوراكها الصفا، ويقولون «أدخلتُ الخاتَمَ في إصبعي»و:

تشقى الرّماحُ بالضيَّا طِرةِ الحمُرِ .

و : كما بَطنْتَ بالفدَنِ السيَّاعا

و : حَسَرَتْ كَفِّي عن السِّرْبالِ

وإنما حسرَ السِّربالَ عن كفه . ومثله في كتاب الله جل ثناؤه « خُلِقَ الانسانُ مِن عَجَل » ومنه قوله جلَّ ثناؤه « وحرَّمْنا عليه المراضِعَ من قبلُ » ومعلوم أن التحريم لايقع الا على من يلزمُه الامر والنَّهي ، وإذا كان كذا فالمعنى : وحرَّمنا على المراضع أن يرضِعْنَه . ووجه تحريم ارضاعه عليهن أن لايقبَل ارضاعهن حتى يُرَد الى أمِّه . قال بعض علمائنا : ومنه قوله جل وعز « فانهم عدوٌّ لي الا ربَّ العالمين » والاصنام لاتعادي أحداً ، فكأنَّهُ قال : فاني عدوٌّ لهم . وعداوته لها بغضه اياها وبراءته منها .

باب الابدال

ومن سنن العرب إبدالُ الحروف واقامة بعضها مقامَ بعض ، ويقولون « مَدَحَه . ومَدَهه » و « فَرَسٌ رِفلٌ . ورِفنٌ » وهو كثير مشهور قدألَّف فيه العلماء . فأمّا ماجاء في كتابِ الله جل ثناؤه فقوله جل ثناؤه « فانفلقَ فكان كلُّ فرْق» فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب « فلقُ الصبح . وفرَقه » . وذُكر عن (الخليل) ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله جل ثناؤه « فجاسوا » : انما أراد « فحاسوا » فقامت الجيم مقام الحاء ، وما أحسب الخليلَ قال هذا ولاأحُقُّه عنه .

باب الاستعارة

ومن سنن العرب الاستعارة . وهو أن يضعوا الكلمة للشيء مستْعارة من موضع آخر فيقولون « انشقّت عصاهم » اذا تفرقوا . وذلك يكون للعصا ولا يكون للقوم . ويقولون « كشَفَتْ عن ساقها الحربُ » .

وفي كتاب الله جل ثناؤه « كأنهم حمرٌ مستنفرة » يقولون للرجل المذموم: إنما هو حمار . وقال الشاعر :

دُفعتُ الى شيخ بجنب فِنائهِ
هو العيرُ إلا أنّه يتكلّمُ

ومنه قوله جل ثناؤه « التفّتِ السّاقُ بالسّاق » و « انّا لمردُودونَ في الحافرة » أي في الخلق الجديد . و « بَلْ رانَ على قلوبهم » وتقول العرب « رانَ به النُّعاس » أي غلب عليه . و « لقد خلقنا الانسان في كَبد » أي ضِيق وشدّة . و « لنَسْفَعاً بالنّاصيَة » . و « امرأتُه حمّالة الحطب » وقوله جل ثناؤه « فما بكَتْ عليهم السماء والأرض » وتقول العرب « ناقة تاجرَة » يريدون أنها تُنفّقُ نفسَها بحُسنها . وقوله جل ثناؤه « ويتَخطّفُ الناسُ من حولهم » و « ألمْ ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون » و « ألا إنما طائرهم عندَ الله » ويُراد حظُّهم وما يحصل لهم . والعرب تقول :

فاني لستُ منكَ ولستَ مني
إذا ما طارَ من مالي الثمينُ

أي حصل . ومنه قوله جل ثناؤه « أقِمِ الصلاة » أي ائتِ بها كما أُمرتَ به و « إنّ ربّك أحاطَ بالناس » أي عصَمكَ منهم . رواه شعْبة عن أبي رجاء عن (الحسَن) ومن الاستعارة قولهم « زالَتْ رِحالةُ سابح » كناية عن المرأة تستعصي على زوجها . قال (الشماخ) :

وكنتُ إذا زالت رِحالَةُ سابحٍ
شمِتُّ به حتىَّ لقيتُ مِثالَها

وكانت امرأته نشزت عليه ، وذلك قوله :

ألا أصبحت عِرْسي من البيت جامحاً
بغير بلاء سيّ ء ما بدا لها

باب الحذف والاختصار

ومن سُنن العرب الحذف والاختصار ، يقولون « والله أفعلُ ذاك » يريد لا أفعل . و « أتانا عند مغيب الشمس . أو حين أراد . أو حين كادت تغرب » قال (ذو الرّمة) :

فلمّا لبسْنَ الليلَ أو حين نَصَّبتْ
له مِن خذا آذانها وهو جانحُ

ومنه في كتاب الله جل ثناؤه « واسئل القرية » أراد أهلها . و « الحجُّ أشهرٌ معلومات » . و « بنو فلان يطؤهم الطريق » أى أهله . و « نحن نطأ السماء » أي مطرها . و « على خوف من فرعون وملائهم » أي من آل فرعون . و « إذاً لأذقنا كم ضِعفَ الحياة » أي ضعف عذابها . و « الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنُدخلنّهم في الصالحين » . ومثله « أن اضربْ بعصاك البحرَ فانفلق » أي فضرب فانفلق . ومنه « إنيّ آمنتُ بربّكم فاسمعُوني . قيل ادخلِ الجنةَ » أي : فلما قُتل قيل ادخلِ الجنة . ومنه « وتركنا عليه في الآخرين » أراد الثناء الحسن . ومنه « فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله » معناه : فاذا عزم الأمر كذّبوه .

باب الزيادة

قال بعض أهل العلم : إنّ العربَ تزيد في كلامها أسماءً وأفعالاً .

أما الأسماء — فالاسم والوَجْه والمِثْل. قالوا: فالاسم في قولنا «بسم الله» إنما أردنا «بالله» لكنه لما أشبه القَسم زِيدَ فيه الاسمُ. وأمّا الوجه فقول القائل «وَجْهِي إليك» وفي كتاب الله جلّ ثناؤه «ويبقى وجهُ ربّكِ» ثم قال الشاعر:

أستغفر اللهَ ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ
ربَّ العباد إليه الوجهُ والعملُ

وأما المِثْل ففي قوله جل ثناؤه «فأْتوا بسورة من مِثْله» ويقول قائلهم «مثلي لا يَخضع لمثلك» أي: أنا لا أخضعُ لك. قال الشاعر:

ياعاذِلي دعْنيَ مِن عذلكا
مِثليَ لا يَقبَل من مثلكا

وقوله جلّ ثناؤه «وشَهِد شاهد من بني اسرائيل على مثله» أي عليه.

وأما الأفعال — فقولهم «كاد» في قول الشاعر:

حتىّ تناول كَلْباً في ديارِهمِ
وكادَ يسمو إلى الجُرفَيْن فارتفعا

أراد «وسما»، ألا ترى أنه قال «فارتفعَ». وما يُزاد أيضاً من الافعال قول القائل «لا أعلم في ذلك اختلافاً» وفي كتاب الله جل ثناؤه «أمْ تنبّئونَه بما لا يعلم في الأرض» أراد والله أعلم: بما ليس في الأرض.

وقد تُزاد حروف من حروف المعاني — كزيادة «لا» و«مِن» وغير ذلك. وقد مضى ذكره بشواهده.

باب التكرار

ومن سنن العرب التكرير والاعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال (الحارث بن عُبَاد) :

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامةِ مِنّي
لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيالِ

فكرَّر قوله « قَرِّبا مربط النَّعامة مني » في رؤس أبيات كثيرة عناية بالامر وأراد الابلاغ في التنبيه والتحذير . وكذلك قول (الأشعر) :

وَكَتيبةٍ لبَّستها بكتيبة
حتى يقول نساؤهم:هذا فتى (١)

فكرر هذه الكلمة في رؤس أبيات على ذلك المذهب . وكتكرير مَن كرَّر :

مَهْلاً بني عَمِّنا ، مهلاً موالينا

وكقول الآخر

كم نعمة كانت له كَمْ كَمْ وكَمْ

فكرّر لفظ « كم » لفرط العناية بقصد تكثير العدد . قال علماؤنا : فعلى هذه السنّة جاء ماجاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله « فَبِاي آلاء ربِّكُما تُكَذِبان » .

فأمّا تكرير الانباء والقصص في كتاب الله جل ثناؤه — فقد قيلت فيه وجوه . وأصح ما يقال فيه أن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن وعجْزَ

(١) ويروى « هذا الفتى » ـ الأصل

القوم عن الاتيان بمثله آيةً لصحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما أنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبّر. فهذا أولى ماقيل في هذا الباب.

باب العموم والخصوص

العامُّ — الذي يأتي على الجملة لايغادر منها شيئاً. وذلك كقوله جل ثناؤه « خلق كل دابة من ماء » وقال « خالق كل شيء ».

والخاصُّ — الذي يتخلل فيقع على شيء دون أشياء. وذلك كقوله جل ثناؤه « وامرأةً مؤمنة إن وهبتْ نفسها للنبي » وكذلك قوله « واتّقون يا أولي الألباب » فخاطب أهل العقل.

وقد يكون الكلامان متصلين، ويكون أحدهما خاصاً والآخر عامًّا. وذلك قولك لمن أعطى زيداً درهماً « أعْطِ عمراً، فإن لم تفعلْ فما أعطيتَ » تريد: إن لم تُعطِ عمراً فأنت لم تعطِ زيداً أيضاً، وذلك غير محسوب لك. ومثله في كتاب الله جل ثناؤه « ياأيها الرسولُ بلّغ ماأُنزِلَ اليكَ مِن ربّك » فهذا خاص، يريد: هذا الأمر المجدَّد بلّغْه؛ فإن لم تفعل ولم تبلغ هذا فما بلغت رسالته. يريد: جميع ما أرسلتَ به.

وأمّا العامّ الذي يراد به الخاصّ — فكقوله جل ثناؤه حكاية عن موسى عليه السلام « وأنا أولُ المؤمنين » ولم يرد كلَّ المؤمنين لان الانبياء قبله قد كانوا مؤمنين. ومثله كثير. ومنه « قالت الأعرابُ آمنّا » وإنّما قاله فريق منهم. و « الذين قال لهم الناس » إنما قاله (نُعيم بن مسعود)

إن الناس (أبو سفيان) و (عُيَيْنة بن حِصْن). ومنه قوله جل ثناؤه «وما منعنا أن نُرسل بالآيات إلا أنْ كذَّب بها الأولون» أراد: الآيات التي اذا كُذّب بها نزل العذاب على المكذبين وكذلك قوله «ويستغفرون لمن في الأرض» أراد به من المؤمنين قوله «ويستغفرون للذين آمنوا».

وأما الخاصُّ الذي يُرادُ به العامّ — فكقوله جل وعزّ «يا أيّها النبي اتقِ الله ولا تُطع الكافرين والمنافقين» الخطاب له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والمراد الناسُ جميعاً.

باب اضافة الفعل الى ما ليس بفاعل في الحقيقة

ومن سُنن العرب اضافة الفعل الى ما ليس فاعلاً في الحقيقة يقولون «أراد الحائطُ أن يقعَ» وفي كتاب الله جل ثناؤه «جداراً يُريد أن ينْقَضَّ» وهو في شعر العرب كثير. قال (الشماخ):

أقامتْ على رَبعيهما جارتا صفاً
كُميتا الأعالي جونَتا مُصطلاهُما(١)

فجعل الأثافيّ مقيمة. وقال:

وأشعثَ ورّادِ الثّمادِ كأنهُ
إذا انشقّ في جوز الفلاة فَليقُ(٢)

يصف طريقاً يَرِدُ ماء وهو لا وِرْدَ له. ومنه قوله:

(١) هو البيت الثاني من قصيدته التي يمدح بها (يزيد بن مربع الانصاري) ومطلعها:
أمن دمنتين عرج الركب فيهما بحقل الرخامى قد أنى لبلاهما

(٢) ورواه الاستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي في شرح ديوان الشماخ:
وأغبر ورّاد الثمار كأنه اذا انشق في جوز الفلاة فليق
وورد في لسان العرب مثل هذا وفي مكان لفظ «انشق» لفظ «احتاز».

كأني كَسَوْتُ الرَّحْلَ أحقبَ سَهْوقاً
أطاعَ لهُ من (١) رامتَيْن حَديقُ

فجعل الحديقَ مطيعاً لهذا الحمار لِمَا تمكّن من رعيه ، والحديق لا طاعة ولا معصية له .

باب الواحد يرادُ به الجمع

ومن سُنن العرب ذكر الواحد والمراد الجميع ، كقوله للجماعة « ضَيفٌ » و « عَدُوّ » . قال الله جل ثناؤه « هؤلاء ضيفي » وقال « ثم يُخرِجكم طفلا » وقال « لا نفرّق بين أحد منهم » والتفريق لا يكون إلا بين اثنين . ويقولون « قد كَثُرَ الدّرهم والدّينار » ويقولون :

فقلنا أسلِموا إنّا أخُوكُم

ويقولون : كُلُوا في نِصف بطنكمُ تعيشوا

و « يا أيُّها الإنسانُ انّكَ كادح » و « يا أيُّها الانسانُ ما غرّك بربّك الكريم » .

باب الجمع يراد به واحدٌ واثنان

ومن سُنن العرب الاتيان بلفظ الجميع والمراد واحد واثنان كقوله جل ثناؤه « ولَيَشهَدْ عذابَهما طائفة » يُراد به واحد واثنان وما فوق . وقال (قَتادةُ) في قوله جل ثناؤه « إن يُعْفَ عن طائفة منكم تُعَذَّبْ طائفة » : كان رجلاً من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويَسير مُجانِباً لهم فسمّاهُ الله جل ثناؤه طائفة وهو واحد . ومنه « إن

(١) في شرح الشيخ أحمد الشنقيطي لشعر الشماخ « في رامتين » مكان « من رامتين » .

الذين ينادونك من وراء الحُجُرات» كان رجلاً نادى «يا محمّد! إنّ مدحي زَيْنٌ وإنّ شتمي شَيْن» فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «ويلك. ذاك الله جل ثناؤه». وقال «فقد صغَتْ قلوبكما» وهما قلبان وقال «بِمَ يَرجِعُ المرسلون» وهو واحد يدلّ عليه قوله جل ثناؤه «إرجِعْ إليهم».

باب آخر

العرب تصف الجميع بصفة الواحد كقوله جل ثناؤه «وإن كُنتم جُنُباً» فقال جنباً وهم جماعة. وكذلك قوله جل ثناؤه «والملائكة بعد ذلك ظهير». ويقولون «قوم عَدْل ورِضى» قال (زُهَيْر):

وان يَشْتَجِرْ قوم يَقُلْ سَرَواتُهم
هُمُ بيننا، فَهُمْ رِضى وهم عَدْلُ (١)

وربما وصفوا الواحدَ بلفظ الجميع فيقولون «بُرْمةٌ أعشارٌ» و«ثوبٌ أهْدامٌ» و«حبْلٌ أحْذاقٌ» قال:

جاء الشتاء وقميصي أخْلاقْ
شَرَاذِمٌ يضحك منه التَّوّاقْ

فأخبرني علي بن ابراهيم عن محمد بن فرح عن سَلَمة عن (الفراء) قال: التَّوّاق ابنه. ومن الباب «ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله» إنما أراد المسجد الحرام. ويقولون «أرض سَباسِب» يسمون كل بقعة منها

---

(١) من قصيدته التي يمدح بها (سنان بن أبي حارثة المري) ويروى البيت «متى يشتجر قوم تقل» ومطلعها:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق والثقل

« سَبْسَبا » لاتساعها .

ومن الجمع الذي يُراد به الاثنان قولهم « امرأة ذات أوْراك ومآكِم » .

باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع

ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع . فيقال للرجل العظيم « انظروا في أمري » . وكان بعض أصحابنا يقول : إنما يقال هذا لأنّ الرّجل العظيم يقول « نحن فعلنا » فعلى هذا الابتداء خُوطبوا في الجواب. قال الله جل ثناؤه « قالَ ربِّ ارْجِعُون » .

باب آخر

العرب تذكر جماعة وجماعة ، أو جماعة وواحداً ، ثم تخبر عنهما بلفظ الاثنين . يقول (الأسْوَدُ) :

إن المنيّةَ والحُتوفَ كلاهما
يوفي المَخارِمَ يَرْقُبانِ سوادي

وقال آخر :

ألم يَحْزُنْكَ أنّ حبالَ قيْسٍ
وتَغْلِبَ قد تَبايَنتا انقطاعا

وقد جاء مثله في القرآن : قال الله تبارك اسمه « ان السماواتِ والأرضَ كانتا رَتْقاً فَفَتَقْناهما » .

باب مخاطبة الواحد خطاب الجمع

إذا أُريد بالخطاب هو ومن معه

قال الله جلّ ثناؤه « يا أيّها النبيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النساءَ فطلِّقوهن لِعِدَّتِهن »

فخوطب صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بلفظ الجمع لأنه أريد هو وأمته.
وكان (ابن مسعود) يقرأ «ارجعوا إليهم» أراد الرسول ومن معه. ومن
قال «ارجعْ إليهم» خاطب مدبرهم.

باب تحويل الخطاب من الشاهد الى الغائب

العربُ تخاطب الشاهدَ، ثم تحوّل الخطابَ الى الغائب. وذلك
كقول (النّابغة):

يادارَ ميّةَ بالعلياء فالسّندِ
أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ

فخاطب ثم قالَ «أقوتْ». وفي كتاب الله جل ثناؤه «حتى إذا
كنتم في الفلك وجرينَ بهم» وقال «وما آتيتُم من زكاة تريدون وجهَ
الله فأولئك هم المضعفون». وقال «ولكن الله حببَ اليكم الايمان —
وقال في آخر الآية — فأولئك هم الراشدون». ومنه قوله:

أسيئي بنا أوْ أحسني لاملُومةٌ
لدينا ولا مقليّةٌ إنْ تقلّتِ

باب تحويل الخطاب من الغائب الى الشاهد

وقد يجعلون خطاب الغائب للشاهد، قال (الهُذليّ):

يا ويحَ نفسي كان جدّةُ خالد
وبياضُ وجهك للتراب الأعفَرِ

فخبرَ عن خالد ثم واجَهه فقال «وبياض وجهك». ومنه:

شَطَّتْ مزارُ العاشقينَ فأصبحتْ
عسِراً عليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

باب مخاطبة المخاطب ثم يجعل الخطاب لغيره

أو يُخْبَرُ عن شيء ثم يُجعل الخبر المتصل به لغيره

قال الله جلّ ثناؤه «فإن لم يستجيبوا لكم – الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، ثم قال للكفار – فاعلموا أنما أُنزِلَ بعلم الله» يدلّ على ذلك قوله جلّ ثناؤه «فهل أنتم مسلمون». وقال «فمَن ربُّكما يا موسى». وقال «فلا يُخرِجنّكما من الجنة فتشقى» وقريب من هذا الباب أن يبتدأ الشيء ثم يخبر عن غيره كقول (شدّاد بن معاوية):

مَن يكُ سائلاً عنّي فإنّي
وجِروَةَ لا تَرُودُ ولا تُعارُ

و «جروة» فرسه ، فالمسئلة عنه والخبر عن غيره. وقال (الأعشى):

وإنّ امرأً أسرى إليكِ ودونَه
من الأرضِ مَوْماةٌ ويَهْماءُ سَمْلَقُ
لَمَحقوقةٌ أن تَستجيبي لصوتِه
وأنْ تعلمي أنّ المُعانَ مُوفَّقُ

وقد جاء في كتاب الله جل ثناؤه ما يشبه هذا وهو قوله جلّ ثناؤه «إنّ الذينَ آمنوا والذين هادوا والصابئينَ والنّصارى والمجوسَ والذين أشركوا – فبدأ بهم ثم قال – إنّ الله يفصِلُ بينهم» بدأ بهم ثم حوّل الخطاب. ومنه قول القائل :

لَعَلّي إنْ مالَتْ بي الرّيحُ مَيلةً
على (ابنِ أبي ذِبّان) أن يتندَّما

فذكر نفسه وترك وأقبل على غيره ، كأنه أراد : لعل (ابنَ أبي ذِبّانَ) أن يتندم إن مالَتْ بيَ الريحُ عليه . ومثله في كتاب الله جل ثناؤه « والذين يُتَوَفَّوْنَ منكم ويَذَرُونَ أزواجاً يتَربَّصْنَ » فخبَّر عن الأزواج وترك الذين . ومثله :

بَني أسَدٍ إنّ ابنَ قيْسٍ وقتْلَه
بغيرِ دَمٍ دارُ المذلّة حُلّت

فترك (ابن قيس) وخبَّر عن القتل ، كأنه قال : قتلُ ابن قيس ذُلّ .

باب الشيئين ينسب الفعل اليهما وهو لاحدهما

وينسبون الفعل الى اثنين وهو لاحدهما . وفي كتاب الله جل ثناؤه « فلمّا بلغا مجمعَ بينهما نَسِيا حوتَهما وقد بلغا » وكان النسيان من أحدهما لأنه قال « اني نسيتُ الحوتَ » . وقال « مَرَجَ البحرين يلتقيانِ — ثم قال — يُخرَجُ منهما اللؤلؤ والمرجان » وإنما يُخرَجان من الملحِ لا العذب

وينسبون الفعل الى الجماعة وهو لواحد منهم . قال الله جل ثناؤه « واذا قتلتم نفساً » وانما كان القاتل واحداً .

باب نسبة الفعل الى أحد اثنين وهو لهما

قال الله جل ثناؤه « واذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضُّوا اليها » وانما انفضوا اليهما . وقال الله جل ثناؤه « والله ورسولُه أحقُّ أن يُرضوه » . وقال « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها » . ثم قال الشاعر :

ازْدَرْخَ الشباب والشَّعْر الأسـ ـودَ مالم يُعاصَ كان جنونا

وقال آخر :

نحنُ بما عندَنا وأنت بما عنـ ـدكَ راضٍ والرأيُ مختلِفُ

باب أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين

تقول العربُ « افعلا ذاكَ » ويكون المخاطب واحداً . أنشد(الفراء):

فقلتُ لِصاحِبي : لاتحبِسانا
بنزعِ أصوله واجدزَّ شيحا

وقال :

فإنْ تزجُراني يا ابن عَفَّانَ أنزجِرْ
وإنْ تدَعاني أحمِ عِرْضاً مُمَنَّعا

وقال الله جلَّ ثناؤه « أَلقيا في جهنم » وهو خطاب لخزنة النار والزَّبانية . قال : ونُرى أن أصل ذلك أنَّ الرُّفقة أدنى ما يكون ثلاثةُ نفرَ فجرى كلام الواحد على صاحبيْه ، ألا ترى أن الشعراء أكثر الناس قولا « ياصاحبيَّ » و « ياخليليَّ » .

باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهنٌ أو مستقبل

وبلفظ المستقبل وهو ماضٍ

قال الله جلّ ثناؤه « كنتم خيرَ أمة » أي : أنتم . وقال جلّ ثناؤه « أتى أمرُ الله » أي : يأتي . ويجيء بلفظ المستقبل وهو في المعنى ماضٍ .
قال الشاعر:

ولقد أمرُّ على اللئيم يَسبُّني
فمَضيتُ عنه وقلتُ: لا يعنيني

فقال « أمرُّ » ثم قال « مضيت » . وقال :

وما أضحي ولا أمسَيتُ إلاّ
رأوني منهمُ في كَرْفانِ

وفي كتاب الله جل ثناؤه « فلِمَ تقتلون أنبياءَ الله من قبل » وقال « واتَّبَعوا ما تتلو الشياطين » أي ما تلَتْ . وقال آخر :

ونَدمانٍ يَزيدُ الكأسَ طيباً
سقيتُ إذا تغوَّرَتِ النجومُ

ومثله « وقالت اليهودُ والنصارى : نحنُ أبناءُ اللهِ وأحباؤه ، قل : فلِمَ يعذّبكم ؟ » المعنى : فلِمَ عذَّب آباءكم بالمسخ والقتل ؟ لأن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يؤمَر بأن يحتجّ عليهم بشيء لم يكن ، لأن الجاحد يقول : إني لا أعذّب . لكن احتج عليهم بما قد كان .

باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل

تقول « سرٌّ كاتم » أي مكتوم . وفي كتاب الله جل ثناؤه « لا عاصمَ اليومَ من أمر الله » أي لا معصوم و « من ماءٍ دافِق » و « عيشةٍ راضية » أي مرضيٍّ بها . و « جعلنا حرماً آمِناً » أي مأموناً فيه . ويقول الشاعر :

إنَّ البَغيضَ لَمَنْ تَمَلُّ حديثَه
فانقعْ فؤادَكَ من حديثِ الوامقِ

أي المَزْورق ومنه :

أنا ثمرَ لازالتْ يمينكَ آشرة

أي : مأشورة .

وزعم ناس أنّ الفاعل يأتي بلفظ المفعول به . ويذكرون قوله جلّ ثناؤه « انه كان وعدُه مأتيًا » أي : آتيا . قال (ابنُ السكّيت) : ومنه « عيشٌ مغبون » بريد أنه غابِن غيرَ صاحبه .

باب آخر

من سنُن العرب وصفُ الشيء بما يقع فيه أو يكون منه كقولهم « يومٌ عاصِف » المعنى : عاصفُ الرّيح . قال الله جلّ ثناؤه « في يوم عاصف » فقيل : عاصف لأنَّ عصُوفَ ريحه يكون فيه . ومثله « ليلٌ نائم » و « ليلٌ ساهِر » لانه ينام فيه ويُسهَرُ قال (أوس) :

خُذِلتُ على ليلةٍ ساهِرَهْ
بصحراء شرْجٍ الى ناظِرَهْ

وقال (ابنُ برّاق) :

تقول سُلَيمى : لاتَعَرَّضْ لتَلَفةٍ
وليلُكَ مِن ليل الصعاليك نائمُ

ومثله :

لقد لُمْتِنا يا أمّ غيلانَ في السُّرى ونِمتِ وماليلُ المَطِيّ بنائمِ

ويقولون « لا يَرْقُد وِسادُه » وإنما يريدون متوسِّد الوِساد .

باب معاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر

أولُ ذلك (فعَّلتُ) يكون بمعنى التكثير. نحو «غلَّقت الأبوابَ». وبمعنى «أفْعلتُ» نحو «خبَّرْتُ. وأخبرْتُ». ويكون مضاداً لأفْعلتُ نحو «أفْرَطتُ»: جزْتُ الحدَّ و«فرَّطتُ»: قصَّرتُ. ويكون بنْيةً لا لمعنى نحو «كلَّمت». ويكون فعَّلتُ: نسبتُ كقولك «شجَّعْته. وظلَّمْته»: نسبتهُ إلى الشجاعة والظلم.

وأما (أفْعل) فيكون بمعنى «فعَلتُ» تقول «أسقَيْته وسقَيْته»: قلت له «سقْياً لك». ويكون بمعنى «فعلتُ» نحو «محَضْته الودَّ. وأمْحَضْته». وقد يختلفان نحو «أجْبرته على الشيء» و«جبرْتُ العظمَ». وقد يتضادَّان نحو «نَشطْتُ العقدة»: عقدتها. و«أنْشطتُها» إذا حللتها.

و (فاعَلَ) يكون من اثنين. نحو «ضاربَ». ويكون فاعَلَ بمعنى «فعَل» نحو «قاتلهم الله» و«سافر». ويكون بمعنى «فعَّلَ» نحو «ضاعفَ. وضعَّفَ».

و (تفاعل) يكون من اثنين، نحو «تخاصما». ويكون من واحد، نحو «تراءى له» ويكون إظهاراً لغير ما هو عليه، نحو «تغافَلَ»: أظهرَ غفلةً وليس بغافل.

و (تفعَّلَ) يكون لتكلُّف الشيء وليس به، نحو «تشجَّعَ. وتحلَّمَ». ويكون بمعنى «تفاعلَ» نحو «تعطى. وتعاطا». ويكون لأخذ الشيء نحو «تقبَّلَ وتسلَّم». ويكون بنيةً نحو «تكلَّم». ويكون «تفعَّلْ» بمعنى «افعلْ» نحو تعلَّمْ بمعنى اعلمْ. قال:

تعلم أنّ بعد الشرّ خيراً
وأنّ لهذه الغمر انقشاعا

وأما (استفعل) فيكون بمعنى التكلف ، نحو « تعظّم . واستعظَم » و « تكبّرَ . واستكبر » ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو « استوهبَ » ويكون بمعنى « فعلَ » : « قرّ . واستقرّ » .

وأما (افتعلَ) فيكون بمعنى فعلَ ، نحو « شوَى . واشتوى » ويكون بمعنى حدوث صفة فيه نحو « افتقرَ » .

وأما (انفعلَ) فهو فعل المطاوعة . نحو « كسرتُه . فانكسر » . و « شويتُ اللحمَ . فانشوى » . قال

قد انشوَى شواؤنا المرعبَلُ
فاقتربوا من الغداء فكلوا

باب الفعل اللازم والمتعدى بلفظ واحد

تقول « كسب زيدٌ المالَ . وكسبه غيرُه » . و « هبَط . وهبطَ غيره » . و « جبرَتِ اليدُ . وجبرتُها » . ويكون فعلَ بمعنيين متضادّين نحو « بعتُ الشيء » و « بعتُه » : اشتريته . و « رتَرْتُ الشيء » أرخيته وشددته . و « شعبتُ الشيء » جمعته وفرّقته .

باب البناء الدال على الكثرة

البناء الدالّ على الكثرة « فعُول . وفعّال » نحو « ضرُوب . وضرّاب » وكذلك « مِفعال » إذا كان عادةً نحو « مِعطار » و « امرأةٌ مِذْكار »

إذا كانت تلدُ الذّكور وكذلك « مِيناث » في الاناث .

باب الأبنية الدالة في الاغلب الأكثر على معان وقد تختلف

يقولون: ما كان على (فَعَلان) دلّ على الحركة والاضطراب نحو «النَّزَوان. والغَلَيان» . و(فعلان) يجيء في صفات تقع من جُوع وعَطش نحو «عَطْشان. وغَرْثان» أو مايضادّ ذلك نحو « رَيّان . وسكران » .

و (فَعِلَ) يكون في الوَجَع نحو « وَجِعَ . وحَبِطَ » أو ما أشبهه من « فزِعٍ » . ويجيء من هذا (فعِيل) نحو « سقِيم » . ويكون من الباب « بَطِرٌ . وفرِحٌ » وهذا على مُضادّة وَجع وسَقِم .

قالوا : والصفات بالالوان تأتي على (أفعَلَ) نحو « أحمَر . وأسوَد » .

والافعال منها على « فَعُلَ » مثل « صَهُبَ » . وعلى « فَعِلَ » نحو « صَدِيءَ » . وعلى « افعالَّ » مثل « احمارَّ » . وكذلك العيوب والادواء تكونَ على « أفعَلَ » نحو « أزرَق . وأعوَر » . وأفعالها على « فَعِلَ » نحو « عوِر . وشتِرَ» . ويكون الأدواء على (فُعال) نحو « القُلاب . والخُمارٌ» . والاصوات أكثرها على هذا نحو « الدُّعاء . والصُّراخ » . وللاصوات باب آخر على (فَعِيل) نحو « الهَدِير . والضَّجيج » . و (فُعالَة) ياتي أكثره على ما يفضُل عن الشيء ويَسقُط منه نحو « النُّحاتة » . و (فِعالَة) في الصناعات كالتِّجارة والنِّجارة . ويكون (الفِعالُ) في الاشياء كالعيوب: كالنِّفار والشِّماس. وفي السِّمات : نحو العِلاط والخِباط ، وفي بلوغ الاشياء نهايتها : نحو الصِّرام والجِزاز. وتكون الصفات اللازمة للنفوس على (فَعِيل) نحو

شريف وخفيف ، وتلي أضدادها : نحو وَضيع وكبير وصغير . هـذا هو الاغلب وقد يختلف في اليسير .

باب الفرق بين ضدين بحرف أو حركة

الفرق بين ضدَّين بحرف — قولهم « يَدْوِي » من الداءو « يداوي » من الدواء . و « يَخفِر » إذا أجار و« يُخفِر » إذا نقض : من خفَر وأخفَر ؛ وهو كثير .

وما كان فرقه بحركة — فقولهم « لُعَنَه » إذا أكثر اللعنَ و « لُعْنَة » إذا كان يُلْعَن و «هُزَأَة.وهُزْأَة » و« سُخَرَة . وسُخْرَة ».

باب التوهم والايهام

ومن سنن العرب التوهم والايهام ، وهو أن يَتوهم أحـدهم شيئاً ثم يجعل ذلك كالحق . منه قولهم « وقفتُ بالربع أسأله » وهو أكمل عقلاً من أن يسأل رسماً يعلم أنه لا يَسمع ولا يَعقل لـكنه تفجـع لما رأى السكن رحلوا وتوهَّم أنه يسأل الربع أين انتَوَوْا . وذلك كثير في أشعارهم ، قال:

وقفتُ على رَبـع لميَّة ناقتي
فمازلتأ بكي عنده وأخاطبهْ
وأسألُ حتى كادَ مما أَبُثُه (١)
تكلّمني أحجاره وملاعبهْ

وتوهّم وأوهمَ أنَ ثَمَّ كلاماً ومكلِّمًا . وبيَّن ذلك (لَبيدٌ) بقوله :

(١) ويروى «أبثه» بضم الاول وكسر الثاني من باب الافعال ، وهو أفصح — الاصل

فوقفتُ أُسألها وكيف سؤالنا

صُماً خوالدَ ما يَبِين كلامُها

ومن الباب قوله :

لا يفزِعُ الارنبَ أهوالُها

إنما أراد : ليس بها أرنب يفزَع . وكذلك :

على لاحِبٍ لا يُهتدى لِمناره

إنما أراد : لا منار به. وأظهرُ ذلك قول (الجعْدي) :

سبقتُ صِياحَ فـراريجها وصوتَ نواقِيسَ لم تُضرَبِ

وقال (أبو ذويب) :

مُتفلِّقٌ أنساؤُها عن قانيءٍ كالقرطِ صاوٍ غُبْرُه لا يُرضَعُ

أوهمَ أنّ ثَمَّ غبْراً ، وإنما أراد : لا غبر به فيرضع .

باب البسط في الاسماء

العرب تبسط الاسمَ والفعل فتزيد في عدد حروفهما ، ولعـل أكثر ذلك لاقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه ، وذلك قول القائل :

وليـلة خامـدَة خمودا طَخياءَ تُغْشي الجَدْيَ والفُرْقودا

فزاد في « الفرْقد » الواوَ وضم الفاء لأنه ليس في كلامهم «فُعْلولاً » ولذلك ضم الفاء . وقال في الزيادة في الفعل :

لو أن عَمْراً هَمَّ أنْ يرْقودا

ومنه : أقولُ إذ خرّتْ على الكلْـكال

أرادَ « الكلْـكل» وفي بعض الشعر « فانْظور(١) » أراد « فانْظرُ » .

---

(١) راجع صفحة ٢١ من (الصاحبي) .

وهذا قريبٌ من الذي ذكرناه في الخزم والزيادة التي لامعنى لها .

باب القبض

ومن سنن العرب القَبْضُ محاذاةً للبسط الذي ذكرناه، وهو النقصان من عدد الحروف كقول القائل :

غَرْثَى الوِشاحَيْن ، صَموتُ الخلْخَل

أراد الخلخالَ . وكذلك قول الآخر « وسُرُحٌ حرْجُج » أراد « حُرجوجاً » وهي الضامِر . ويقولون « دَرَسَ المنا » يريدون «المنازل» و:

كأنما تُذْكي سنا بكُها الحبا

أراد نار الحباحِب . وقال (أبو النجم) : «أمسِكْ فلانُ عن فلِ »(١) أراد عن فلان . و :

ليس شيء على المنون بخالِ

أي : بخالد . ويقولون :

أسعَدَ بن مالِ ألمْ تعجبوا ؟

وإنما أراد مالكاً . وقال آخر :

وكادت فَزارة تشقى بنا   فأولى فَزارَةُ أولى فزارا

وقال (أوس) وهو الذي يسميه النحويون « الترخيم »:

تنكَّرتِ منّا بعد معرفة لَمي

أراد : لَميسَ . وهذا كثير في أشعارهم ، وما أحسب في كتاب الله جل ثناؤه منه ، إلا أنه رُوي عن بعض القرأة أنه قرأ « ونادوْا يامالِ »

(١) «فلان» منادى والجملة من رجز له وتمامه :   في لجة امسك فلان عن فل

أراد « يا مالكُ » والله أعلم بصحة ذلك . وربما وقع الحذف في الأول نحو قوله :

بسمِ الذي في كل سورة سِمهْ

أراد « اسمه » و « لاهِ ابنُ عمك » أراد : لله ابنُ عمك .

باب المحاذاة

معنى المحاذاة — أن يُجعل كلامٌ بحذاء كلام ، فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفَين فيقولون « الغدايا والعشايا » فقالوا « الغديا » لانضمامها إلى « العشايا » . ومثله قولهم « أعوذ بك من السامَّة واللامّة » فالسامّة من قولك « سمَّتْ » إذا خصَّتْ و « اللامَّة » أصلها « ألمَّتْ » لكن لما قُرنت بالسامّةِ جُعلت في وزنها . وذكر بعض أهل العلم أن من هذا الباب كتابةَ المصحف ، كتبوا « والليلِ إذا سجى » بالياء وهو من ذوات الواو لمّا قُرن بغيره مما يكتب بالياء . قال : ومن هذا الباب في كتاب الله جل ثناؤه « ولو شاء اللهُ لسلّطَهُم عليكم » فاللام التي في « لسلّطهم » جواب « لو » ثم قال « فلقاتلوكم » فهذه حُوذِيَت بتلك اللام ، وإلاّ فالمعنى : لسلّطهم عليكم فقاتلوكم . ومثله « لأعذّبنَّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه — فهما لاما قسمٍ ثم قال — أو ليَأْتِينّي » فليس ذا موضعَ قسم لأنه عذْرٌ للهُدهد فلم يكن ليُقسِم على الهدهد أن يأتي بعُذر ، لكنَّه لمّا جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه ، فكذا باب المحاذاة . قال : ومن الباب « وَزَنْتُه فاتزن . وكِلْتُه فاكْتال » أي استوفاه كَيْلاً ووزناً . ومنه قوله جلّ ثناؤه « فما لكم عليهنّ من عِدّة تعتدّونها » تستوفونها لأنها حق للأزواج على النساء .

ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه ، نحو « إنما نحن مستهزؤن. الله يستهزيء بهم » أي يجازيهم جزاء الاستهزاء . و « مَكَرُوا ومَكَرَ الله » و « يَسْخَرُونَ منهم سَخِرَ الله منهم » و « نَسُوا الله فنَسِيَهم » و « جزاء سَيئَةٍ سَيئَةٌ مثلها » . ومثل هذا في شعر العرب قول القائل :

ألا لا يجهلنْ أحـدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

باب الاضمار

من سُنن العرب الاضمار . ويكون على ثلاثة أضرُب : إضمارُ الأسماء، وإضمارُ الأفعال ، وإضمار الحروف .

فمن إضمار الأسماء قولهم « ألا يَسلَمي » يريدون « ألا ياهذه اسلمي » . وفي كتاب الله جل ثناؤه « ألا يَسْجُدوا لله » بمعنى : ألا ياهؤلاء اسجدوا . فلما لم يذكر « هؤلاء » بل أضمرهم اتصلت « يا » بقوله « اسجدوا » فصار كأنه فعل مستقبل . ومثله قول (ذي الرّمّة):

ألا يسلَمِي يادار َميٍّ على البِلَى ولا زال منُهلاً بِجَرْعائك القَطْرُ

وأخبرني علي بن ابراهيم عن محمد بن فَرَح عن سلمة عن (الفراء) سمع بعض العرب يقول « ألا يرْحمْنا » يعني : ألا ياربنا ارحمنا . ويقولون :

ياهل أتاها على ما كان من حَدَثٍ

و : يقولون لي يَحْلفْ ولست بحالفِ

تعني : ياهذا احلفْ .

ويُضمِرُون مِن الأسماء « مَنْ » فيقولون « مافي حيّنا إلا له إبلُ » أي: مَنْ لَهُ إبل . و « كَذَبتم بني شـابَ قَرْناها » أي : مَنْ شاب . وفي

كتاب الله جل ثناؤه « وما منّا إلا له مقام » أي : من له . ويضمرون «هذا » كقول (حميد) :

أنت الهلالي الذي كان مرّةً سمعنا به والأرحبيّ المعلّفُ

أي : وهذا الارحبيّ ، يعني بعيره .

باب اضمار الحروف

ويضمرون الحروفَ فيقول قائلهم (١) :

ألا أي هذا الزّاجري أشهدَ الوغى

بمعنى أن أشهد . ويقولون «والله لكانَ كذا » بمعنى لقد . ويقول (النابغة) :

لكلفتني ذنبَ امريء

وفي كتاب الله جل ثناؤه « الم . غلبت الروم » قالوا : معناها لقد غلبت . إلا أنه لما أضمر « قد » أضمر اللام . وفي كتاب الله جل ثناؤه « سنعيدها سيرتها الأولى » فقالوا : الى سيرتها . و « اختار موسى قومه » أي من قومه . ويقولون « اشتقتك » أي إليك . و « هل يسمعونكم » بمعنى لكم . و « أوجاؤكم حصرت » أي قد حصرت . ويقول قائلهم « حلفتُ بالله لناموا » أي لقد . وفي كتاب الله جل ثناؤه «فان أُحصرتم فما استيسرَ من الهَدْي » أي فعليكم . وقيل في قوله جل ثناؤه « وترغبون أن تَنكِحُوهنّ » معناها عن . وقوم يقولون : في أن تنكحوهن . وفي كتاب الله جل ثناؤه « ومن آياته يُريكم البرق» أي أن يريكم . وكقوله جل ثناؤه « ومن آياته أن خلق » .

(١) هو (طرفة بن العبد) من معلقته . ـ راجع صفحة ١٠٤ من (الصاحبي) .

باب اضمار الافعال

من ذلك « قيل . ويقال » . قال الله جل ثناؤه « فأمّا الذين اسوَدّت وجوههم أكفرْتم » معناه : فيقال لهم ، لان « أمّا » لابدلها في الخبر من فاء ، فلما أضمر القول أضمر الفاء . ومثله :

فلا تدفِنوني إن دَفْني محرّمٌ   عليكم ولكن خامري أمّ عامر

أي اتركوني للتي يقال لها « خامري » . ومنه « ثم يُخرِجكم طِفلاً ثم لتَبلُغوا أشُدّكم » أي : يعمّركم لتبلغوا أشدّكم . ومن باب الاضمار « أثعلباً وتفرّ » أي : أترى ثعلباً . وفي كتاب الله جل ثناؤه « وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم » أي يقولون . و« أسَرَ رجلٌ أسيراً ليلاً فلما أصبح رآه أسوَدَ فقال : أعبداً سائرَ الليلة » كأنه قال : أراني أسرت عبداً . ومن الاضمار « قل لِمَنْ مافي السماوات والارض ، قل لله » فهذا مضمر كأنه لما سألهم عادوا بالسؤال عليه فقيل له : قل لله . ومن الاضمار « فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك ـ معناه : فضربوه فحَيّ . كذلك ـ يحيي اللهُ الموتى » . ومثله في كتاب الله كثير .

باب من الاضمار الآخر

العرب تضمر الفعل فيشتبه المعنى حتى يُعْتَبر فيوقَفَ على المراد . وذلك كقول (الخنساء) :

ياصخرُ ورّادَ ماءٍ قد تَناذَرَهُ   اهلُ المَوارِدِ مافي وِرْدِه عارُ

ظاهر هذا أن معناه : ماعلى من وردَه عار ، وليس في ورد الماء عار فيُنْجَحَ به . ولكن معناه : مافي تركِ وِرْدِهِ مخافةً عارٌ . وإنما عَنَتْ أنه ورد

ماءً مخوفاً يتحاماه الناس فينذر بعضهم بعضاً ، تقول : فهو يرد هذا الماء لجرأته . ومثله قول (النابغة) :

فإني لا ألامُ على دخول ولكن ماوراءكَ ياعصامُ ؟

يقول : لا ألام على ترك الدخول ، لأن النعمان قد كان نذر دمه متى رآه ، فخاطب بهذا الكلام حاجبه . وقال (الأعشى) :

أأزمعتَ من آل ليلى ابتكارا وشطّتْ على ذي هوى أن تُزارا ؟

ظاهرُ هذا : أأزمعتَ أن تبتكر منهم . وإنما المعنى : أأزمعت من أجل آل ليلى وشوقك إليهم أن تبتكر من أهلك ؟ لأنه عزم الرحلة إليها لاعنها ، ألا تراه يقول :

وبانتْ بها غربات النوى وبُدّلتُ شوقاً بها وادّكارا

وفي كتاب الله جل ثناؤه « ألا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا » التأويل : لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يقعدوا عن الجهاد .

باب التعويض

من سنن العرب التعويض - وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة . فيقيمون الفعلَ الماضيَ مقامَ الراهن ، كقوله جل ثناؤه « قلْ سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين » المعنى : أم أنت من الكاذبين . ومنه « وماجعلنا القبلة التي كنتَ عليها » يعني : أنتَ عليها .

ومن ذلك إقامة المصدر مقامَ الأمر ، كقوله جل ثناؤه « فسبحانَ الله حين تُمسون وحين تُصبحون » والسُّبحة : الصلاة . يقولون « سبّح

سبحة الضحى » . فتأويل الآية : سبحوا لله جل ثناؤه ، فصار في معنى الأمر والاغراء ، كقوله جل ثناؤه « فضرب الرقاب » .

ومن ذلك إقامة الفاعل مقام المصدر ، يقولون « قم قائماً » قال :

قم قائماً ، قم قائما لقيتَ عبداً نائما
وعشراء رائما وأمةً مراغما

وفي كتاب الله جل ثناؤه « ليس لوقعتها كاذبة » أي تكذيب .

ومن ذلك إقامة المفعول مقام المصدر ، كقوله جل ثناؤه « بأيكم المفتون » أي الفتنة . تقول العرب « ماله معقول . وحلف محلوفه بالله . وجهد مجهوده » . ويقولون « ماله معقول ولا مجلود » يريدون العقل والجلد . قال (الشماخ) :

من اللواتي إذا لانت عريكتها يبقى لها بعدها آل ومجلودُ

ويقول الآخر :

إن أخا المجلود من صبرا

ومن ذلك إقامة المصدر مقام الفعل ، يقولون « لقيت زيداً وقيله كذا » أي يقول كذا قال (كعب) :

يسعى الوشاةُ حواليْها وقيلهمُ إنكَ يا ابن أبي سلمى لمقتولُ

تاويله : يقولون . ولذلك نصب

ومن ذلك وضعهم « فعيلاً » في موضع « مُفعَل » نحو « أمرٌ حكيم » بمعنى مُحكَم . ووضعهم « فعيلاً » في موضع «مُفعِل» نحو « عذابٌ أليم » بمعنى موئلم وتقول :

أمِنْ رَيحانةَ (١) الداعي السميعُ

بمعنى: مسْمِع.

ومن ذلك وضعهم: «مفعولاً» بمعنى «فاعل» كقوله جل ثناؤه «حِجابا مستورا» أي ساتراً، وقيل: مستوراً عن العيون كأنه أُخْذَة لا يُحِسُّ بها أحد.

ومن ذلك إقامة الفعل مقام الحال كقوله جل ثناؤه «يا أيّها النبيُّ لِمَ تحرِّمُ ما أحلَّ الله لكَ تبتغي مرضاةَ أزواجك؟» أي مبتغياً. وقال:

الرّيحُ تبكي شجْوَهُ والبرقُ يلمعُ في غمامهْ

أراد: لامعاً.

باب من النظم الذي جاء في القرآن

من نظوم كتاب الله جل ثناؤه (الاقتصاص)- وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أُخرى أو في السورة معها. كقوله جل ثناؤه «وآتيناهُ أجْرَه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين» والآخرة دار ثواب لا عمل، وهو مقتَصٌّ عن قوله «ومن يأتِه مؤمنا قد عَمِل الصالحات فأولئك لهم الدرجاتُ العلى». ومنه قوله جل ثناؤه «ولولا نعمةُ ربي لكنتُ من المحضَرين» مأخوذ من قوله جل ثناؤه «فأولئك في العذاب محضَرون» وقوله «ثمّ لنحْضرنّهم حول جهنم». فأما قوله جل ثناؤه «ويومَ يقوم الأَشْهاد» فيقال: إنها مقتصة من أربع آيات لأن «الأشهاد» أربعة: الملائكة في قوله جل ثناؤه «وجاءت كلُّ نفس معها سائقٌ وشهيد» والانبياء صلوات

(١) ريحانة: اسم امرأة. - الاصل.

الله عليهم « فكيف إذا جئنا من كُلِّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » وأمّة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله جل ثناؤه « وكذلك جعلنا كم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » والأعضاء لقوله جل ثناؤه « يومَ تَشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ».

ومن الاقتصاص قوله جل ثناؤه « إني أخاف عليكم يومَ التنّاد » قرأت مخففةً ومشدّدة : فمن شدّد فهو « ندّ » إذا نفر ، وهو مقتصّ من قوله « يوم يفرّ المرء من أخيه » الى آخر القصة ، ومن خفّف فهو تفاعلَ من النِّداء مقتصّ من قوله جل ثناؤه « ونادى أصحابُ الجنة أصحاب النار . ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة . ونادى أصحابُ الأعراف » وما أشبه هذا من الآي التي فيها ذكر النداء .

باب الأمر المحتاج الى بيان وبيانه متصل به

قال الله جل ثناؤه « ويسألونك عن الأنفال — فبيان هذا السؤال متصل به وهو قوله جل ثناؤه — قل الأنفال لله والرسول » ومثله « يسألونك ماذا أُحلّ لهم ، قل أُحلّ لكم الطيبات » و « يسألونك عن الساعة ، قل إنما علمها عند ربي » ومنه « أم يقولون شاعر نتربّصُ به ريبَ المنون ، قل تربّصوا » فهذا وما أشبهه هو الابتداء الذي تمامه متصل به .

باب ما يكون بيانه مضمراً فيه

وذلك مثل قوله جل ثناؤه « حتى إذا جاؤها وفتّحت أبوابها » فهذا محتاج إلى بيان لأن « حتى إذا » لا بد لها من تمام فالبيان هاهنا مُضمَر ، قالوا: تأويله : حتى إذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها . ومثله « ولو أن قرآناً سُيّرت

به الجبالُ » فتمامه مضمر كأنه قال جل ثناؤه : لكان هذا القرآن . وهذا هو الذي يسمى في سنن العرب « بابَ الكَفّ » وقد ذُكر .

باب ما يكون بيانه منفصلا منه

ويجيء في السورة معها أو في غيرها

قال الله جل ثناؤه « وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدِكم » قال أهل العلم : بيانُ هذا العهد قوله جل ثناؤه «لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي» الآية ، فهذا عهده جل ثناؤه ، وعهدُهم تمام الآية في قوله جل ثناؤه « لأكفِّرَنّ عنكم سيئاتِكم » فاذا وفَوا بالعهد الأول أعطوا ماوعدوه. وقال جل ثناؤه « ويقول الذين كفروا ألستَ مرسلاً ؟ » فالردّ على هذا قوله جل ثناؤه « يس والقرآن الحكيم إنّك لَمِنَ المرسلين » وهذا هو الذي يسميه أهل القرآن جواباً . ومن الباب قوله جل ثناؤه في الاخبار عنهم « ربَّنا اكشفْ عنا العذاب إنّا مؤمنون » فقيل لهم « ولو رَحِمْناهم وكشفنا مابهم من ضُرٍّ لَلَجُّوا في طغيانهم » . ومن الباب قوله جل ثناؤه « وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رَجُلٍ من القريتين عظيم » فردّ عليهم حين قيل « وربُّكَ يخلق ما يشاء ويَختارُ ، ما كان لهم الخِيَرةُ » . ومن الباب قوله « وإذا قيلَ لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن » ومنه قوله « الرحمن علّمَ القرآن » . ومنه قوله « قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا » فقيل لهم « لَئِنِ اجتَمعتِ الإِنسُ والجنُّ على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله » . ومنه « وانْطلقَ الْمَلأُ منهم أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم » فقيل لهم في الجواب « فان يصبروا فالنار مَثوىً لهم » . ومنه «أم يقولونَ

نحن جميعٌ مُنتصِر» فقيل لهم « مالَكم لاتَناصَرُونَ » . ومنه قوله جل ثناؤه في قصة من قال « لَوْ أطاعونا ما قُتِلوا » فردَّ عليهم بقوله « لو كنتم في بيوتكم لَبرَزَ الذينَ كُتِبَ عليهم القتلُ الى مضاجعهم » . ومن الباب قوله جل ثناؤه « أمْ يقولونَ تَقوَّلَه » فردّ عليهم « ولو تقوَّلَ علينا بعضَ الأقاويل لأخذْنا منه باليمين » . ومنه قوله جل ثناؤه حكاية عنهم « ما لهذا الرَّسول يأكل الطَّعامَ ويمشي في الأسواق » قيل لهم « وما أرسلنا قبلَك من المُرسلين إلاّ أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق» . ومنه قوله جل ثناؤه « وقال الذين كفروا لولا نُزّلَ عليه القرآن جُملةً واحدة » فقيل في سورة أخرى « وقرآناً فرَقْناه » . ومنه « ولقد أرسلنا الى ثَمُودَ أخاهم صالحاً أنِ اعبدوا اللهَ فاذاهم فَريقان يَختَصِمون » فتفسير هذا الاختصام ما قيل في سورة أخرى « قال الملأُ الذين استَكبَروا من قومه للذينَ استُضعِفوا لِمَن آمن منهم : أتعلمون أنَ صالحاً مرسَل من ربّه » الى آخر القصّة . وقال في قصّة قوم « لهم البشرى في الحياة الدنيا » فالبشرى قوله جل ثناؤه في موضع آخر « تتنزّلُ عليهم الملائكةُ ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشِروا بالجنة » . ومنه حكايةً عن فرعون أنه قال« وما أهديكم إلاسبيل الرَّشاد » فردّ الله عليه في قوله جل ثناؤه « وما أمرُ فرعون برشيد ».ومن الباب قوله جل ثناؤه « يومَ يَبعثهم اللهُ جميعاً فيحلفون له » وذِكْرُ هذا الحلف في قوله جل ثناؤه « والله ربّنا ما كنا مشركين » . ومنه قوله جل وعز في قصة نوح عليه السلام « انّي مغلوبٌ فانتَصِرْ » فقيل في موضع آخر «ونَصرناه مِن القوم الذين كذَّبوا بآياتنا » . ومنه قوله جل ثناؤه « وقالوا قلوبنا غلفٌ » أي أوْعِيةَ للعلم فقيل لهم « وما أوتيتُم من العلم إلا قليلا » .

وهذا في القرآن كثير أفردنا له كتاباً وهو الذي يسمّى (الجوابات) .

باب آخر من نظوم القرآن

وذلك أن تجيء الكلمة الى جنب الكلمة كأنها في الظاهر معها . وهي في الحقيقة غير متصلة بها : قال الله جل ثناؤه « إنّ الملوكَ اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعِزَّةَ أهلها أذلةً . وكذلك يفعلون » فقوله « وكذلك يفعلون » من قولِ الله جل اسمه لاقول المرأة ومنه « الآنَ حَصْحَصَ الحقّ أنا راودتُه عن نفسه وانّه لمن الصادقين — انتهى قول المرأة ثم قال يوسف — ذلك ليعلم المَلِكُ أني لم أخنه بالغيب » . ومنه « ياوَيْلنا مَنْ بعثنا من مَرْقَدِنا — وتمّ الكلام فقالت الملائكة — هذا ماوَعَدَ الرحمن » ومنه قوله جلّ ثناؤه « ان الذين اتَّقَوْا اذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذَكَّروا فاذاهم مبْصِرون — فهذه صفة الاتقياء المؤمنين ثم قال — واخوانُهم يمُدُّونهم في الغَيّ » فهذا رَجْع على كفّار مكة أنّ كفارَ مكة يُمدُّهم اخوانُهم من الشياطين في الغيّ .

باب اضافة الشيء الى من ليس له

لـكن أُضيفَ اليه لاتِّصاله به

وذلك قوله « سَرْجُ الفرَس » و « ثمَرَةُ الشجرة » و« غنَمُ الرّاعي » قال الشاعر :

فَرَوَّحَهنَّ يَحدُوهنَّ قصْرا
كما يَحْدُو قَلا نُصَهُ الأَجيرُ

باب آخر من الاضافة

ومن ذلك اضافةُ الشيء الى نفسه والى نعته .

فالاضافة الاولى قول (النمر) :

تَسقيةٌ بين أنهارٍ ودُورٍ   وزَرْعٍ نابتٍ وكرومِ جَفْنِ

والجَفْن هو الـكَرْم .

فأمّا اضافته الى نعته فقولهم « بارحة الاولى .ويومُ الخميس . ويوم الجمعة» . وفي كتاب الله جل ثناؤه «ولَدار الآخرة» و « حَقّ اليقين » .

باب جمع شيئين في الابتداء بهما

وجمع خبرَيهما . ثم يُرَدَّ الى كل مبتدَء به خبرُه

من ذلك قول القائل « اني واياكَ على عَـدْل أو على جَوْر » فجمع شيئين في الابتداء وجمع الخبَرين ، ومراده : اني على عدلٍ واياكَ على جَوْر. وهذا في كلامهم وأشعارهم كثير . قال (امرؤ القيس) :

كأنّ قلوبَ الطيْر رَطْبًا ويابساً

لَدى وَكْرِها العُنّابُ والحشَفُ البالي

أراد : كأنّ قلوبَ الطير رَطباً العنّاب ويابساً الحشفُ . ومن هذا في القرآن « وانّا وايّاكم لعلى هدىً أو في ضَـلال مبين » معناه : وانّا على هدى وايّاكم في ضلال . ومنه قوله جل ثناؤه « قـل أرأيتم إن كان من عنـد اللهِ وكَفرتم به وشهِدَ شاهـد من بني اسرائيـل على مثـله فآمن واستَكبَرْتم » اذا رُدّ كل شيء الى مايَصلح أن يتصل به كان التأويل :قل أرأيتم ان كان من عند الله وشهد شاهد من بني اسرائيلَ على مثله فآمن

وكفرتم به واستكبرتم » . ومثله « وزُلزلوا حتّى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرُ الله ألا إنّ نَصرَ اللهِ قريب » قالوا : لمّا لم يَصلح أن يقول الرسول متى نصر الله كان التأويل : وزُلزلوا حتى قال المؤمنون متى نصر الله فقال الرسول ألا إنّ نصرَ الله قريب ردَّ كلّ كلام الى من صلح أن يكون له . ومن الباب قول (ذي الرُّمّة) :

ما بالُ عينِكَ منها الماءُ ينسكبُ كأنّه من كُلى مَفرِيّة سَرِبُ
وَفْراءَ غَرْفيّةٍ أثأى خوارِزُها مُشلشِلٌ ضيّعتْه بينها الكُتَبُ

فمعنى البيتين : كأنه من كلى مفريّة وفراء غرفيّة أثأى خرارزُها سَرِبٌ مشلشلٌ ضيّعتْه بينها الكُتب . وفي كتاب الله جل ثناؤه « ومن رحمته جعل لكم الليلَ والنهارَ لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » المعنى : جعَلَ لكم الليلَ لتَسكنوا فيه والنهارَ لتبتَغوا من فضله . ومن قوله عزوجل « ولا تَطْرُدِ الذينَ يدعونَ ربّهم بالغداةِ والعشيّ يريدونَ وجهَه ، ما عليكَ من حِسابِهم من شيء ، وما من حسابكَ عليهم من شيء فتطرُدَهم فتكون من الظالمين » تأويله والله أعلم : ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي فتكون من الظالمين ، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطرُدهم . قال ومن هذا الباب قول (امرئ القيس) :

فلا وأبيكِ ابنةَ العامريّ لا يدّعي القومُ أنّي أفِرّْ
تميمُ بنُ مُرٍّ وأشياعُها وكِندةُ حَوْلي جميعاً صُبُرْ

معناه : لا يدّعي القومُ تميمٌ وأشياعُها أنّي أفِرّْ وكِندةُ حولي .

باب التقديم والتأخير

من سُنن العرب تقديمُ الكلام وهو في المعنى مؤخّر، وتأخيره وهو في المعنى مقدَّم. كقول (ذي الرُّمّة):

مالُ عينِك منها الماءُ ينسكبُ

أراد: ما بالُ عينك ينسكب منها الماء. وقد جاء مثلُ ذلك في القرآن قال الله جل ثناؤه «ولو ترى إذ فزعوا فلا فَوْتَ وأُخِذوا من مكان قريب» تأويله والله أعلم: ولو ترى إذ فزعوا وأُخذوا من مكان قريب فلا فوتَ. لأنّ لافوت يكون بعد الاخذ. ومن ذلك قوله جل ثناؤه «هل أتاك حديثُ الغاشِية - يعني القيامة - وجوهٌ يومئذ خاشعة» وذلك يوم القيامة ثم قال «عاملة ناصِبة» والنَّصَبُ والعملُ يكونان في الدنيا. فكأنه إذاً على التقديم والتأخير معناه: وجوهٌ عاملة ناصبةٌ في الدنيا، يومئذ - أي يومَ القيامة - خاشِعَة. والدليل على هذا قوله جل اسمه «وجوهٌ يومئذ ناعمة». ومنه قوله جل ثناؤه «فلا تُعْجِبْكَ أموالهم ولا أولادُهم. إنما يُريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدُّنيا» المعنى: لا تُعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا. وكذلك قوله جل ثناؤه «فألْقِه اليهم ثم تولَّ عنهم فانْظُرْ ماذا يَرْجعون» معناه: فألقِه اليهم فانظُرْ ماذا يرجعون ثم تولَّ عنهم. ومن ذلك قوله جلّ ثناؤه «إنّ الذين كفروا يُنادَوْن لَمَقْتُ اللهِ أكْبرُ من مقتكم انفسكم إذ تُدعَوْن إلى الإيمان فتكفرون» تأويله: لَمَقْتُ الله إياكم في الدنيا حينَ دُعيتم إلى الايمان فكفرتم، ومقته اياكم اليوم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم اذا دعيتم الى الحساب وعند ندمكم على ما كان منكم. ومنه قوله جلّ ثناؤه «ولولا كلمة

سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمى » فأجلٌ معطوف على كلمة ، التأويل : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجلٌ مسمى - أراد الأجل المضروب لهم وهي الساعة - لكان العذاب لازماً لهم .

باب الاعتراض

ومن سنن العرب أن يعترضَ بين الكلام وتمامه كلامٌ، ولا يكون هذا المعترضُ إلا مفيداً . ومثال ذلك أن يقول القائل « اعملْ - والله ناصري - ما شئتَ » إنما أراد : اعملْ ما شئتَ . واعترض بين الكلامين ما اعترضَ . قال (الشمّاخ) :

لولا ابنُ عفّانَ والسلطانُ مرتقبٌ أوردتُ فجّاً من اللعْباءِ[1] جلْمودي

قوله « والسلطان مرتقب » معترض بين قوله « لولا ابنُ عفانَ » وقوله « أوردتُ » . ومن ذلك في كتاب الله جل ثناؤه « واتلُ عليهم نبأ نُوح إذ قالَ لقومه يا قوم إن كانَ كَبُر عليكم مَقامي وتذكيري بآيات الله - فعلى الله توكلتُ - فأجمِعوا أمرَكم » إنما أراد : إن كانَ كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فأجمعوا أمركم . واعترضَ بينهما قوله : فعلى الله توكلت . ومثله قول (الأعشى) :

فإنْ يُمْسِ عندي الهمُّ والشيبُ والعشا
فقد بِنَّ مِنّي والسِّلامُ تَفلَّقُ
بأشجعَ أخّاذٍ على الدَّهر حكمَهُ
فمنْ أيّ ما تَجْني الحوادثُ أفْرَقُ

(١) اسم موضع - الأصل

أراد : بِنَّ مني بأشجع . والسلام تقلّىٰ اعتراض . ومثل هذا في كتاب الله جل ثناؤه واشعار العرب كثير ، وانما نذكر من الباب رسماً .

باب الايماء

العرب تُشيرُ الى المعنى اشارة وتومي ايماء دون التصريح . فيقول القائل « لو أنَّ لي من يقبل مشورتي لأشرتُ » وانما يحثُّ السامعَ على قبولِ المَشُورَة . وهو في أشعارِهم كثير قال الشاعر :

اذا غرَّدَ المُكَّاء في غيرِ روضة
فويلٌ لأهل الشَّاء والحمرات

أومأَ الى الجدب ، وذلك أن المُكَّاء يألفُ الرياضَ ، فاذا أجدبت الأرض سقط في غير روضة . ومنه قول (الأفوه)

إنّ بني أودِهِمُ ماهمُ للحربِ أوللجدبِ عامَ الشُّموسْ

أومأ بقوله « الشموس » إلى الجدب وقلة المطر والغيم ، أي إن كلَّ أيامهم شموس بلا غيم . ويقولون « هو طويلُ نجادِ السَّيف » إنما يريدون طول الرَّجل . و « غمْرُ الرِّداء » يومؤن الى الجود . و « فداً له ثوبي » و « هو واسع جيبِ الكُمّ » إيماء إلى البَذْل . و « طَرِبُ العنان » يومؤن الى الخفَّة والرَّشاقة . وفي كتاب الله جل ثناؤه « وقُل رَّبِّ أعوذُ بكَ من همزات الشياطين وأعوذُ بكَ ربِّ أن يحضرون » هذا إيماء الى « أن يُصيبوني بسوء » وذلك أن العرب تقول « اللبَنُ محضور » أي : تُصيبه الآفات .

باب اضافة الفعل الى من وقع به ذلك الفعل

ومن سنن العرب اضافة الفعل إلى من يقع به ذلك الفعل. يقولون «ضربتُ زيداً وأعطيته بعدَ — ضَرْبه — كذا» فينسب الضربَ الى زيد وهو واقع به. قال الله جل ثناؤه «الم. غُلِبَت الرومُ — فالغَلَبة واقعة بهم من غيرهم ثم قال — وهم من بعد غلَبِهم سيَغْلِبون» فأضاف الغلبَ اليهم، وإنما كان كذا لأن الغلب وان كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم. ومثله «وآتى المالَ على حُبِّه». و «يُطعِمون الطّعامَ على حُبّه» فالحب في الظاهر مضاف الى الطعام والمال، وهو في الحقيقة لصاحب الطعام وصاحب المال. ومثله «ولِمَنْ خاف مقامَ ربّه» و «ذلك لمن خاف مقامي» أي مقامَه بين يديَّ. ومثله قول (طرفة):

وَبَرْكٍ هجود قد أثارتْ مخافتي

فأضاف المخافة الى نفسه وانما المخافة للبرك.

باب ما يجري من غير ابن آدم مجرى بني آدم. في الاخبار عنه

من سنن العرب أن تُجْرِيَ الموات وما لا يعْقِل في بعض الكلام مجرى بني آدم، فيقولون في جمع أرض «أرضون» وفي جمع كرة «كُرون» وفي جمع إرة «إرون» وفي جمع ظُبَة السيف «ظبِون» وينشدون:

يرى الرّاؤون بالشفَرات منها كنارِ أبي حُباحبَ والظُّبينا

ويقولون «لقيتُ منه الأقْوَرِينَ» و «أصابتْني منه الأمَرُّون» و «مضتْ له سِنون» ويتعدَّون هذا إلى أكثر منه فيقول (الجعدي):

تمززتها والديكُ يدعو صباحهُ إذا ما بنو نعْش دَنَوْا فتصوَّبوا

وقال الله جل ذكره «في فَلكٍ يسبَحون» و«لقد علمتَ ماهؤلاءِ ينطِقون» و «إني رأيت أحدَ عشر كوكباً والشمسَ والقمر رأيتُهم لي ساجدين» و« يا أيُّها النملُ ادخلوا مساكِنكم » و « لو كان هؤلاءِ آلهةً ما وَرَدُوها» ويقولون في جمع بُرَة « بُرِين » . وأكثر من قول (النابغة) قول القائل(١) :

إذ أشرفَ الديكُ يدعو بعضَ أسرَتِهِ إلى الصبَّاح وهم قومٌ مَعازِيلُ

وجعل له أسرة وسماهم قوماً .

باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء
وهم يريدونه كله

من سنن العرب الاقتصارُ على ذكر بعض الشيء وهم يُريدونه كله ، فيقولون « قعد على صَدْر راحلته ومضى » . ويقول قائلهم :

الواردينَ على صُدورِ نعالهم

وذكر بعضُ أهل اللغة في هذا الباب قولَ (لَبِيد) :

أو يرْتَبِطْ بعضَ النفوس حِمامُها

وإنه أراد كلاً وذكروا في هذا الباب قوله جل ثناؤه « قل للمؤمنين يغضُّوا من أبصارهم » وقال آخرون « مِن » هذه للتبعيض لأنهم أُمِروا بالغَضِّ عما يحرُم النظرُ إليه . ومن الباب « يحذِّرُكم اللهُ نفسَه » أي إيّاه . ومنه « تعلَم ما في نفسي » ومنه قوله :

يوماً بأجوَدَ نائلاً منه اذا نفسُ البخيل تجهَّمتْ سؤَّالَها

---

(١) هو (عبدة بن الطبب التميمي) . — الشنقيطي

ومنه « ويبقى وجهُ ربِّكَ » و « تواضعَتْ سورُ المدينة » . و :

رأت مرَّ السنين أخذن منّي

و : طُولُ الليالي أسرعتْ في نقضي

و : صرفُ المنايا بالرّجال تقلّبُ

وقال (الجعْدي) :

جزعتَ وقد نالتْكَ حدُّ رماحنا ... بقوهاءَ يثني ذكرها في المحافلِ

باب الاثنين يعبر عنهما بهما مرة وبأحدهما مرة

قال (أبو زكرياء الفراء) : العرب تقول « رأيته بعيني . وبعينيَّ » و « الدارُ في يدي . وفي يديَّ » . وكل اثنين لا يكاد أحدُهما ينفرد فهو على هذا المثال مثل « اليدين . والرّجلين » قال (الفرزدق) :

فلو بخلَتْ يداي بها وضنَّتْ ... لكان عليَّ للقدَرِ الخيارُ

فقال « ضنَّتْ » بعد قوله « يداي » . وقال :

وكأنّ بالعينَيْن حبَّ قرنْفُلٍ ... أو سنْبلاً كُحلَتْ به فانهلَّتِ

وقال :

اذ ذَكرَتْ عيني الزمانَ الذي مضى ... بصحراء فَلْجٍ ظلّتا تَكِفانِ

باب الحمل

— هذا باب يترك حكم ظاهر لفظه لأنه محمول على معناه . يقولون « ثلاثة أنفُس » والنفس مؤنّثة لأنّهم حملوه على الانسان . ويقولون « ثلاث شخوص » لأنهم يحملون ذلك على أنهنّ نساء . و :

ان كلاباً هذه عشرُ أبطنٍ

يذهبون الى القبائل . وفي كتاب الله جل ثناؤه « السماء منفطرٌ » حمل على السقف . وهذا يتسع جداً . وقد ذكر في هذا الباب ماتقدم ذكره من قوله جل ثناؤه « مستهزؤن ، الله يستهزيء بهم » وهذا في باب المحاذاة أحسن . ومن الحمل قوله « أنا رسولُ ربّ العالمين » قال (أبو عبيدة) أرادَ الرّسالة . ومن الباب قوله جلّ وعزّ « سعيرا ـ والسعير مذ كرّ ثم قال ـ اذا رأتْهم » فحمله على النار وقوله جلّ ثناؤه «فأحيينا به بلدةً ميْتاً» حمله على المكان وهذا نظائرُ كثيرة .

باب من ألفاظ الجمع والواحد والاثنين

من الجمع الذي لا واحد له من لفظه « العالَمُ . والأنامُ . والرهْط . والنفَر . والمعشر . والجنْد . والجيْش . والنّاس . والغنَم . والنَّعم . والإبل ».

وربّما كان للواحد لفظ ولا يجيء الجمع بذلك اللفظ نحو قولنا « امرُؤٌ . وامرآن . وقوم» و «وامرأة . وامرأتان . ونسوة » .

ومن الاثنين اللذيْن لاواحد لهما لفظاً قولهم « كلا . وكلتا . واثنان . والمذْروان . وعقله بثنايين . وجاء يضرب أصْدرَيْه . وأزدريْه ودواليْه» من التّداول و « لبيْك . وسعْديْك وحنانيْك » وقد قيل : ان واحد حنانيك « حنانٌ » وينشد :

فقالت : حنانٌ ما أتى بكَ هاهنا أذونسبٍ أمْ أنت بالحيّ عارف

باب ماجري من كلامهم مجرى التهكم والهزء

يقولون للرجل يُستجهَل «ياعاقل ! » ويقول شاعرهم :

فقلتُ لسيّدنا : ياحليـ ـمُ إنكَ لم تأسُ أسْواً رفيقا

ومن الباب « أتاني فقريته جفاءً وأعطيته حرماناً » ومنه قوله :

وَلم يكونوا كأقوامٍ علمتهم يَقْرُون ضيفهمُ الملويَّةَ الجُدُدا

يعني : السِّياط . ويقول (الفرزدق) :

قَرَيناهمُ المأثورةَ البِيضَ

وقال (عمرو) :

قَرَيْنا كمْ فعجلْنا قِراكُمْ قُبَيْلَ الصُّبحِ مِرْداةً طَحونا

ومن الباب حكايةً عنهم « انّكَ لأنتَ الحليم الرشيد » .

باب الكف

ومن سنن العرب الكفُّ . وهو أن يكَفَّ عن ذِكْرِ الخبرِ اكتفاءً بما يدلّ عليه الكلام . كقول القائل :

وَجَدِّكَ لوشيءٌ أتانا رسوله سواكَ ولكن لم نجدْلكَ مدفعا

المعنى : لو أتانا رسولُ سواكَ لدفعناه . وقال آخر :

اذا قلتُ سيري نحوَ ليلى لعلّها جرى دون ليلى مائلُ القرْنِ أعضبُ

وتركَ خبر « لعلّها » . وقال :

فمَن له في الطَّعْنِ والضِّرابِ يلمع في كفّيَّ كالشِّهاب

أي : مَن له في سيف ومنه قوله جلّ وعزّ في قصة فرعون « أفلا تبصرون أم » أراد : أم تبصرون . ومما يقرب من هذا الباب قوله (١) :

تضيءُ الظلامَ بالعشاء كأنها منارةُ مُمسَى راهبٍ متبتّلِ

أراد : سُرُج منارة .

(١) هو (امرؤ القيس) في معلقته .

باب الاعارة

العرب تُعير الشيءَ ماليس له . فيقولون « مرَّ بينَ سمع الأرض وبَصَرِها » ويقول قائلهم :

كذلك فعلهُ والناسُ طرّاً بكفّ الدهرِ تقتلُهم ضُروباً

فجعل للدهرِ كفاً . ويقولون :

ثأرتُ (المِسْمَعَيْن) وقلت بوآ بقتل أخي فزارةَ والخيار

قال (الأصمعي) : لم يكن واحد منهما مِسمعاً وإنما كانا (عامراً) و (عبدَ الملك) ابني (مالك بن مِسْمع) فأعارهما اسمَ جدّهما . ومثله (الشَّعْثمان) لم يكن اسم أحدهما شعَثْما وإنما أُعيرا اسمَ أبيهما (شعثم) . ومثله (المَهالِبَة) و (الأشعرون) .

باب أفعل في الاوصاف لايراد به التفضيل

يقولون «جرَى له طائرٌ أشأم» ويقول شاعرهم (١) :

هي الهَمُّ لو أنّ النوى أصقَبَتْ بها ولكنَّ كرَّاً في رَكوبَةَ أعسرُ (٢)

وقال (الفرزدق) :

ان الذي سمكَ السماءَ بنى لنا عِزّاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

وقال (أبو ذؤيب) :

مالي أحِنّ إذا جمالُكِ قرِّبَتْ وأصدُّ عنكِ وأنتِ مني أقرب

وقال :

(١) هو (بشر بن أبي خازم) . ــ الاصل

(٢) هذا مثل للعرب تضربه في كل أمر شديد . و (ركوبة) ثنية . ــ الاصل .

بُثَيْنَةُ من آل النساء وإنما يكنّ لأدنى لاوصالَ لغائب

ويقولون : إن من هذا الباب قولَه جل ثناؤه « وهو أهْوَنُ عليه » .

باب نفي الشيء جملة من أجل عدمه كمال صفته

قال الله جل وعز في صفة أهل النار « لا يموت فيها ولا يحيى » فنفى عنه الموتَ لأنه ليس بموت مُريح ونفى عنه الحياةَ لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة . وهذا في كلام العرب كثير ، قال (أبو النَّجْم) :

يُلقِينَ بالخَبارِ والأجارِعِ كلَّ جَهيضٍ لَيِنِ الأكارِعِ

ليسَ بِمحفوظ ولا بِضائعِ

لأنه موجود في ذلك المكان وإن لم يوجد . ومنه قوله :

بالماء لم تُحفَظ ولم تضيَّعِ

وقال :

وقد أجوبُ البلدَ البَراحا المرمَريسَ القفرةَ الصحْصَاحا

بالقوم لامرْضى ولا صِحاحا

ومن هذا الباب أو قريبٌ منه قوله جل ثناؤه « لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ، ولهم أعينٌ لا يُبْصِرون » ومنه « ولقد علموا لَمَن اشتَراهُ ماله في الآخرة من خَلاق — فأثبت علماً ثم قال — ولَبِئْسَ ما شَرَوْا به أنفُسَهُم لو كانوا يعلمون » لما كان علماً لم يعملوا به كانوا كأنهم لا يعلمون . ومن الباب قول (مسكين) :

أعمى إذا ما جارتي خرجَتْ حتى يواري جارتي السِتْرُ

وأصَمُّ عما كان بينهما سمعي وما بالسمع من وَقْرِ(١)

(١) اقواء — الاصل .

جعل نفسه أعمى أصمّ لما لم ينظر ولم يسمع . وقال آخر :

وكلامٌ بسيّئٍ قد وُقِرَتْ   أذني عنه وما بي من صمم

وقريب من هذا الباب قوله جل وعز « وترى الناسَ سُكارى وماهم بسُكارى » أي ماهم بسكارى مشروب ولكن سكارى فزع ووَله . ومن الباب قوله جل ثناؤه « لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون » وهم قد نطقوا بقولهم « ياليتنا نُردُّ » لكنهم نطقوا بما لم ينفع فكأنهم لم ينطقوا .

باب الشرط

الشرط على ضربين : شرطٌ واجبٌ إعماله كقول القائل « إن خرج زيدٌ خرجتُ » . وفي كتاب الله جل ثناؤه « فإن طِبنَ لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

والشرط الآخر مذكور إلا أنه غير معزوم عليه ولا محتوم، مثل قوله « فلا جُناحَ عليهما أن يتراجعا إن ظنّا أن يقيما حدودَ الله » فقوله « إن ظنّا » شرط لا إطلاق المراجعة . فلو كان محتوماً مفروضاً لما جاز لهما أن يتراجعا إلاّ بعد الظن أن يقيما حدود الله . فالشرط هاهنا كالمجاز غير المعزوم . ومثله قوله جل ثناؤه « فذكّرْ إن نفعتِ الذّكرى » لأن الأمر بالتذكير واقع في كلّ وقت . والتذكير واجب نفع أو لم ينفع ، فقد يكون بعض الشروط مجازاً .

باب الكناية

الكناية لها بابان : أحدهما أن يُكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسيناً للفظ أو إكراماً المذكور ، وذلك كقوله جل ثناؤه « وقالوا لجلودهم :

لِمَ شهدتم علينا ؟ » قالوا : إن الجلود في هـذا الموضوع كناية عن آراب الانسان . وكذلك قوله جل ثناؤه « ولـكن لاتواعـدوهن سرًّا » إنه النكاح . وكذلك « أوجاء أحدٌ منكم من الغائط » والغائط : مطمئن من الأرض . كل هذا تحسين اللفظ والله جل ثناؤه كريم يكني كما قال في قصة عيسى وأمه عليهما السلام « ما المسيح بنُ مريمَ الا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسلُ ، وأُمّه صِدّيقة ، كانا يأكلان الطّعام » كناية عما لابدّ لآكل الطعام منه .

والكناية التي للتبجيل قولهم « أبو فلان » صيانة لاسمه عن الابتذال . والكُنى مما كان للعرب خصوصاً . ثم تشبَّه غيرهم بهم في ذلك .

باب الثاني من الكناية

الاسم يكون ظاهراً مثل « زيد . وعمرو » . ويكون مَكْنِيًّا وبعض النحويين يسميه مضمَراً ، وذلك مثل « هو . وهي . وهما . وهنّ » .

وزعم بعضُ أهل العربية أن أول أحوال الاسم الكناية ، ثم يكون ظاهراً . قال : وذلك أن أوّل حال المتكلم أن يخبر عن نفسه ومخاطَبِه فيقول « أنا . وأنت » وهذان لاظاهر لهما . وسائر الاسماء تظهر مرة ويكْنى عنها مرة .

والكناية متصلة ومنفصلة ومستجِنّة . فالمتصلة التاء في « حملتُ . وقمتُ » . والمنفصلة قولنا « إياهُ أردْتُ » . والمستجنّة قولنا « قام زيدٌ » فإذا كَنَيْنا عنه قلنا « قام » فتستَّرَ الاسم في الفعل .

وربما كني عن الشيء لم يجر له ذكر ، في مثل قوله جل ثناؤه « يؤفَك

عنه » أي يؤفك عن الدين أو عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . قال أهل العلم : وانما جاز هذا لأنه قد جرى الذّكر في القرآن . قال (حاتم) :

أماويَّ ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجَتْ يوماً وضاقَ بها الصدرُ

فكنى عن النفس فقال « حشرجت » ويقولون :

إذا اغبرَّ أُفقٌ وهبَّتْ شمالا

أضمر الريح ولم يجرِ لها ذكر .

ويكنى عن الشيئين والثلاثة بكناية الواحد ، فيقولون « هو أنتنُ الناس وأخبثُه » وهذا لايكون الا فيما يقال هو أفعل ، قال الشاعر :

شرُّ يوميها وأشقاهُ لها رَكِبتْ عنزٌ بِحملٍ جملا

ولم يقل « أشقاهما » .

وتكون الكناية متصلةً باسم وهي لغيره ، كقوله جل ثناؤه « ولقد خلقنا الانسان من سُلالة من طين — فهذا آدم عليه السلام ثم قال — جعلناه نُطفة » فهذا لِولَده لأن آدم لم يُخلق من نُطفة . ومن هذا الباب قوله جل ثناؤه « لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبدَلكم تَسؤْكم » قيل : إنها نزلت في (ابن حُذافة) حين قال للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : مَن أبي ؟ فقال : حذافة . وكان يَسبُّ به فساءهُ ذلك ، فنزلت « لاتسألوا عن أشياء إن تُبدَلكم تسؤكُم » . وقيل : نزلت في الحج حين قال القائل : أفي كلّ عام مرةً ؟ ثم قال « وإن تَسألوا عنها » يريد إن تسألوا عن أشياء أُخرَ من أمر دينكم ودنياكم بكم الى علمها حاجة تبدلكم ثم قال « قدسألها » فهذه الهاء من غير الكنايتين لأن معناها : قد طلبها ، والسؤال هاهنا طلب ، وذلك كقوم عيسى عليه السلام حين سألوه المائدةَ ، وكقوم موسى عليه

السلام حين قالوا « أرِنا الله جَهْرَةً » فالسؤال هاهنا طلب والكناية مُبتدأة.

وربما كُني عن الجماعة كناية الواحد كقوله جل ثناؤه « قُلْ أرأيتم إن أخذَ اللهُ سمعكم وأبصاركم وختَم على قلوبكم مَنْ إلٰه غيرُ الله يَأتيكم به ؟ » أراد والله أعلم : بهذا الذي تقدّم ذكره .

باب الشيء يأتي مرة بلفظ المفعول ومرة بلفظ الفاعل

والمعنى واحد

تقول العرب « هو مُدَجَّج . ومدَجَّج » و «عبدٌ مكاتِب . ومكاتَب» و « شأوٌ مُغرِّب ، ومُغرَّب » و « سجن مُخيِّس . ومُخيَّس » و « مكان عامِر . ومعْمور »و « منزل آهل. ومأهول »و « نُفِست المرأة . ونَفِسَت» و « لا يَنبَغي لك ولا يُنبَغى لك » و « عُنيتُ به وعَنيتُ » . قال :

عانٍ بأُخراها طويلُ الشُّغُل

و « رُهِصَت الدّابة . ورَهِصَتْ » و « سُعِدوا . وسَعِدوا » و «زُهِي علينا . وزَهى »

باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة

وقد مضى في الاسماء مثله

العرب تَزيد في حروف الفعل مبالغة ، فيقولون « حلا الشيء » فاذا انتهى قالوا « احلَوْلَى » . ويقولون « اقلَوْلَى على فراشه» وينشدون :

واقلَوْلَيْنَ فوقَ المضاجع

وقرأ (ابنُ عباس) « ألا انهم تَثنَوْني صدورُهم » على هذا الذي قلناه من المبالغة .

باب الخصائص

للعرب كلام بألفاظ تختص به معان لايجوز نقلها إلى غيرها ، يكون في الخير والشرّ والحَسَن وغيره وفي الليل والنهار وغير ذلك .من ذلك قولهم « مَكانَكَ » قال أهلُ العلم : هي كلمة وُضِعتْ على الوعيد ، قال الله جل ثناؤه « مَكانَكم أنتم وشركاؤكم » كأنّه قيل لهم : انتظروا مكانكم حتى يُفْصَل بينكم . ومن ذلك قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ما حملَكم على أن تتايعوا في الكذب كما يَتتايعُ الفَراشُ في النار » قال (أبو عبيد) : هو التهافت ، ولم نسمعه الاّ في الشر . ومن ذلك « أولى له » وقد فسرناه . ومن ذلك « ظَلَّ فلان يفعل كذا » اذا فعله نهاراً . و « بات يفعل كذا » اذا فعله ليلاً . ومن ذلك ما أخبرني به (أبو الحسن علي بن ابراهيم) قال سمعت (أبا العباس المبرّد) يقول : « التأويب » سيرُ النهار لاتعريج فيه و « الإسآد » سيرُ الليل لاتعريس فيه . ومن الباب « جُعلوا أحاديث » أي : مُثِلَ بهم ، ولا يقال في الخير . ومنه « لاعدوانَ الا على الظالمين » .

ومن الخصائص في الأفعال قولهم « ظننتني . وحسِبتُني . وخلتُني » لايقال الافيما فيه أدنى شك ، ولا يقال « ضَرَبتني » .

ولايكون « التأبين » الامدحَ الرجل ميتا . ويقال « غضبتُ به » اذا كان ميتاً . و « المساعاة » الزّنا بالاماء خاصة . و « الراكب » راكب البعير خاصة . و « ألحَّ الجملُ » و « خلأت الناقة » و « حرَنَ الفرس » و « نَفَشَتِ الغنم » ليلاً و « همَلتْ » نهاراً . قال (الخليل) : « اليعملة »

من الابل اسم اشتق من «العَمَل» ولا يقال الا للاناث . قال : و«النعتُ» وصف الشيء بما فيه من حسن إلاّ أن يتكلف متكلف فيقول «هذا نعتُ سوء» فأما العرب العاربة فانها تقول «للشيء نعت» يريدون به التتمة . قال (أبو حاتم) : «ليلةٌ ذات أزيز» أي : قُرٌّ شديد . ولا يقال يومٌ ذو أزيز. قال (ابنُ دُرَيد) : «أشَّ القومُ . وتأشَّشوا» إذا قام بعضهم إلى بعض للشر لا للخير . ومن ذلك «جزَزْتُ الشاةَ» و«حلَقْتُ العنزَ» لا يكون الحَلق في الضأن ولا الجزُّ في المعزَى . و«خفضتِ الجاريةُ» ولا يقال في الغلام . و«حقب البعيرُ» إذا لم يستقم بوله لقصد ، ولا يَحقَب إلا الجمل. قال (أبو زيد) : «أبلمتِ البَكْرة» إذا ورِم حياؤها لا يكون إلاّ للبكرة. و«عدَنتِ الابل في الحمض» لا تعدُن الا فيه ويقال «غطَّ البعيرُ» هدَر ولا يقال في الناقة . ويقال «ما أطيب قداوة هذا الطعام» أي : ريحَهُ ولا يقال ذلك إلا في الطبيخ والشِّواء . و«لقَعَه ببعْرة» ولا يقال بغيرها . و«فعلتُ ذاك قبل عيرٍ وما جرَى» لا يُتكلَّم به الا في الواجب ، لا يقال: سأفعله قبل عَير وما جرى . ومن الباب ما لا يقال الا في النفي كقولهم «ما بها أرِمٌ» أي ما بها أحد . وهذا كثير فيه أبواب قد صنفها العلماء .

باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم

يقولون «عاد فلانٌ شيخاً» وهو لم يكن شيخاً قط . و«عادَ الماءُ آجناً» وهو لم يكن آجناً فيعود . ويقول (الهُذَلي) :

قد عادَ رَهباً رَذِيًّا طائشَ القدَمِ

قال :

قطعتُ الدَّهرَ في الشَّهَواتِ حتّى   أعادتني عَسِيفاً عبدَ عبدِ

ومن هذا في كتاب الله جل ثناؤه « يُخرِجونهم من النّور الى الظلمات »
وهم لم يكونوا في نور قط . ومثله « يُردّ الى أرذَل العُمُر » وهو لم يكن في
ذلك قط . وقال الله جل ثناؤه « حتىّ عادَ كالعرجُونِ القديم » فقال «عاد»
ولم يكن عرجوناً قبلُ .

باب اخراجهم الشيء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك

يقولون « فلانٌ كريم غير أنه شريف » و« كريم غير أن له حسباً »
وهو شيء تنفردُ فيه العرب . قال (١) :

ولاعيبَ فيهم غيرَ أنّ سيُوفَهم   بهنَّ فُلُول من قِراع الكتائِبِ

وقال (٢):

فتىً كَمُلَتْ أخلاقُه غير أنّه   جوادٌ فما يُبقي من المال باقِيا

وهو كثير .

باب الافراط

العرب تُفرِط في صفة الشيء مُجاوزَةً للقَدْر اقتداراً على الكلام كقوله:

بخَيْلٍ (٣) تَضِلّ البُلْقُ في حَجَراته   ترى الأُكْمَ فيه سُجَّداً لِلْحوافِرِ

ويقولون :

لما أتى خبر الزُّبيْر تواضعَتْ   سور المدينة وخشعت الجبال (٤)

و :   بكى حارثُ الجولان من هُلْك ربّه (٥)

و :

(١) هو (النابغة الذبياني) . ــ الاصل (٢) هو (النابغة الجعدي) . ــ الاصل
(٣) وفي رواية « بجيش » . ــ الشنقيطي (٤) الرواية « والجبال الخشع » . ــ الشنقيطي
(٥) « حارث » اسم جبل . و « الجولان » موضع . ــ الاصل

لو انّك تُلْقِي حَنْظَلاً فوق بَيْضِنا تَحَدْرَجَ . . . .

ويقولون :

ضَرَبتُه في المُلتقى ضَرْبَةً فزال عن مَنكبِه الكاهلُ
فصارما بينهما رَهْوَةً يمشي بها الرّامحُ والنّابلُ

باب نفي ضمنه اثبات

تقول العرب «ليس بحلو ولا حامض» يريدون انه جَمَعَ من ذا وذا. وفي كتاب الله جل ثناؤه «لاشرقيَّة ولا غَرْبيّة» قال (أبو عبيدة): لاشرقيـة تَضحى للشرق ولا غربية لاتضحى للشرق لـكنها شرقية غربية يصيبها ذا وذا : الشرق والغرب .

باب الاشتراك

معنى الاشتراك : أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر ، كقوله جل ثناؤه « فاقْذفيه في اليمّ ، فَلْيُلْقِهِ اليمُّ بالساحل » فقوله « فلْيُلْقِه» مشترك بين الخبر وبين الأمر ، كأنه قال : فاقذفيـه في اليم يُلْقِه اليم . ويحتمل أن يكون اليمُّ أُمِرَ بإلقائه.ومنه قولهم . «أرأيت» فهو مرّةً للاستفتاء والسؤال كقولك « أرأيتَ ان صلى الامامُ قاعداً كيف يُصلّي مَن خلفه ؟ ». ويكون مرّةً للتنبيه ولا يقتضي مفعولاً ، قال الله جل ثناؤه « أرأيتَ إن كذّب وتولى ، ألم يعلم بأنّ اللهَ يرى » . ومن البـاب قوله « ذَرْني ومَنْ خلقتُ وحيدا » فهذا مشترك محتمل أن يكون لله جل ثناؤه لأنه انفردَ بخلْقه ، ومحتمل أن يكون : خلقتُه وحيداً فريداً من ماله وولده .

باب يسميه بعض المحدثين : الاستطراد

وذلك أن تشبه شيء بشيء ثم يمرّ المتكلم في وصف المشبه، كقول الشاعر حين شبه ناقته فقال :

كأني ورَحلي إذ رُعتُها على جمزى جازيءٍ بالرّمالِ

فشبّه ناقته بثور ومضى في وصف الثور ، ثم نقل الشبه الى الحمار فقال :

أو أصحمَ حامٍ جرَاميزَه حزابيةٍ حيدى بالدّحالِ

ومر في صفه العَيْر الى آخر كلمته . وقد قيل : في كتاب الله جل ثناؤه من هذا النظم قوله « إنّ الذين كفروا بالذّكر لما جاءهم » ولم يجر للذّكر خبر ، ثم قال « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وجواب « ان الذين كفروا » قوله جل ثناؤه « أولئك يُنادَوْنَ من مكان بعيد » .

باب الاتباع

للعرب الاتباع — وهو أن تُتْبَعَ الكلمةَ الكلمةُ على وزنها أو رويّها اشباعاً وتأكيدا . ورُوي أن بعض العرب سُئِل عن ذلك فقال : هو شيءٌ نَتِدُ به كلامنا وذلك قولهم « ساغِبٌ لاغب » و « هو خَبٌّ ضَبٌّ » و « خَرابٌ يَباب » . وقد شاركَت العجمُ العربَ في هذا الباب .

باب الاوصاف التي لم يسمع لها بافعال

والأفعالِ التي لم يُوصَفْ بها

قال (الخليل) : « ظَبيٌ عَبَانٌ » أي نشيط ، قال : ولم نسمع للعنبان

فعلا ، قال «يَشُدُّ شدَّ العنبان البارح» قال : و «الخَضيعَةُ» صوت يخرج من قُنب الدّابّة ولا فعل لها . ويقولون في التحقير «هو دُونٌ» ولا فعل له . قال (أبو زيد) : يقال للجبان «إنه لَمَفْؤُدٌ» ولا فعل له . قال : و «الخَبِطةُ» مثل الرَّفض من اللبن والماء ولا فعل لها . وقال : «أَمجَدْتُ الإبلَ إمجاداً» إذا أنت أشبعتها ولا فعل لها في هذا . و «المَزِيَّةُ» الفضل ولا فعل لها . قال (أبو زيد) : يقال «ماساهُ وناءهُ» تأكيدٌ للأول ولم يعرفوا من «ناءه» فعلاً ، لا يقولون «يَنُوءه» كما يقال «يَسُوءُهُ» .

ومن الأفعال التي لم يُوصَف بها قولنا «ذَرأ الله الخَلْق» قال الله عز وجل «يذرؤُكم فيه» ولم يُسمع في صفاته جل ثناؤه «الذّارِيء» .

باب النحت

— العرب تَنْحَتُ من كلمتين كلمةً واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك «رجل عَبْشَميّ» منسوب إلى اسمين ، وأنشد (الخليل):

أقول لها ودمعُ العين جارٍ … ألَمْ تَحْزُنْك حَيْعَلَةُ المنادي

من قوله «حيَّ على» . وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت ، مثل قول العرب للرجل الشديد «ضِبَطْرٌ» من «ضَبَطَ» و «ضَبَرَ» . وفي قولهم «صَهْصَلِق» إنه من «صَهَل» و «صَلَقَ» وفي «الصِّلْدِم» إنه من «الصلْد» و «الصدْم» . وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب (مقاييس اللغة) .

باب الإشباع والتأكيد

تقول العرب «عَشَرةٌ وعَشَرة فتلك عشرون» وذلك زيادة في التأكيد.

ومنه قوله جل ثناؤه « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ، تلك عَشَرة كاملة » وإنما قال هذا لنفي الاحتمال أن يكون أحدهما واجباً إما ثلاثة واما سبعة فأُكّد وأزيل التوهّم بأن جُمِعَ بينهما . ومن الباب قوله جل ثناؤه « ولا طائرٍ يَطيرُ بجَناحيْه » انما ذكر الجَناحين لأن العرب قد تُسمي الاسراعَ طيراناً ؛ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « كلَّما سَمِعَ هَيْعَة طار إليها أخرى » . وكذلك قوله « يقولون بألسِنَتِهم» فذكر الألسنة لأن الناس يقولون « قال في نفسه كذا » قال الله جل ثناؤه « ويقولون في أنفسهم لولا يعذّبُنا الله بما نقول » فأعلم أن ذلك باللسان دون كلام النفس .

باب الفصل بين الفعل والنعت

النعت يؤخذ عن الفعل نحو « قامَ فهو قائم » وهذا الذي يُسميه بعض النحويين (الدائمَ) وبعض يسميه (اسمَ الفاعل) . وتكون له رتبة زائدة على الفاعل . قال الله جل ثناؤه « ولا تجعَلْ يدَكَ مَغلولة الى عُنُقك » ولم يقل : لا تغلَّ يدَكَ ، وذلك أن النعت ألزَمُ ، ألا ترى أنا نقول « وعصى آدم ربَّه فغوى » ولا نقول : آدمُ عاصٍ غاوٍ ، لأن النعوت لازمة وآدم وان كان عصى في شيء فإنه لم يكن شأنه العصيان فيُسمى به ، فقوله جل ثناؤه « لا تجعلْ يدكَ مغلولة » أي لا تكونَنّ عادتُكَ المنعَ فتكون يدك مغلولةً . ومنه قوله جل ثناؤه « وقال الرسول : يارَبِّ إن قومي اتخَذوا هذا القرآنَ مهجورا » ولم يقل هَجَرُوا لأن شأنَ القوم كان هجرانَ القرآن وشأنُ القرآن عندهم أن يُهجَر أبداً فلذلك قال والله أعلم « اتَّخَذوا هذا القرآن مهجورا » وهذا قياسُ الباب كله .

باب الشعر

الشِّعْر – كلام موزونٌ مُقفًّى دالٌّ على معنى . ويكون أكثرَ من بيت.

وإنما قلنا هذا لأنّ جائزاً اتفاقُ سطرٍ واحد بوزنٍ يشبه وزنَ الشّعر عن غير قصد . فقد قيل : إن بعض الناس كتب في عنوان كتاب « للأمير (المُسَيَّب بن زهير) – مِن عِقال بن شَبَّة بن عِقالٍ » فاستوى هذا في الوزن الذي يُسمّى «الخفيف» . ولعلّ الكاتب لم يقصد به شِعْراً .

وقد ذكر ناس في هذا كلمات من كتاب الله جل ثناؤه كَرِهنا ذِكرَها ، وقد نزّه الله جل ثناؤه كتابه عن شَبَه الشّعر كما نزّه نبيّه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن قوله . فان قال قائل : فما الحِكمةُ في تنزيه الله جل ثناؤه نبيَّه عن الشعر ؟ قيل له : أوّل ما في ذلك حكم الله جل ثناؤه بأنّ « الشعراء يتّبعهم الغاوون ، وأنهم في كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ثم قال « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ورسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وان كان أفضل المؤمنين إيماناً وأكثر الصالحين عملاً للصالحات فلم يكن ينبغي له الشعر بحال ، لأن للشعر شرائط لا يُسمى الانسان بغيرها شاعراً ، وذلك أن انساناً لو عَمِلَ كلاماً مستقيماً موزوناً يتحرّى فيه الصدق من غير أن يُفْرِط أو يتعدّى أو يَمِينَ أو يأتي فيه بأشياء لا يمكن كونها بتّةَ لما سماه الناسُ شاعراً ولكانَ ما يقوله مخْسولاً ساقطاً . وقد قال بعض العقلاء وسُئِلَ عن الشعر فقال « ان هَزَلَ أضحكَ ، وإن جدَّ كَذَبَ » فالشاعر بين كَذِبٍ وإضحاك ، فاذ كان كذا فقد نزّه الله جل ثناؤه نبيَّه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن هاتين الخصلتين وعن كل أمرٍ دنيء .

وبعد فانّا لا نكاد نرى شاعراً الا مادِحاً ضارعاً أو هاجياً ذا قذع. وهذه أوصاف لا تصلُح لنبي. فان قال: فقد يكون من الشّعر الحِكْمُ كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «ان من البيانِ لسحْراً، وان من الشّعرِ لحِكمة» أو قال «حُكماً» — قيل له: انما نزّه الله جل ثناؤه نبيه عن قِيلِ الشعر لما ذكرناه، فأمّا الحِكمة فقد آتاه الله جل ثناؤه من ذلك القِسْمَ الأجزلَ والنّصيبَ الأوفى الأزكى: قال الله جل ثناؤه في صفة نبيّه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «ويُزَكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحِكمة» وقال «واذكُرنَ ما يُتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة» فآيات الله القرآن، والحكمةُ سنّته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. ومعنىً آخر في تنزيه الله جل ثناؤه نبيَّه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن قيل الشعر أن أهل العَروض مُجْمِعون على أنّه لا فَرْقَ بين صِناعة العروض وصناعة الايقاع. الا أن صناعة الايقاع تَقسِم الزمانَ بالنَّغَمِ، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة. فلما كان الشعر ذا مِيزان يناسِبُ الايقاعَ، والايقاعُ ضربٌ من الملاهي لم يصلُح ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «ما أنا من دَدٍ ولا دَدٌ مني».

والشِّعر ديوانُ العرب، وبه حُفِظت الأنساب، وعُرِفت المآثر، ومنه تُعلّمت اللغة. وهو حُجّةٌ فيما أشْكَلَ من غريب كتابَ الله جل ثناؤه وغريب حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحديث صحابته والتابعين.

وقد يكون شاعرٌ أشعَرَ، وشعرٌ أحلى وأظرف. فأمّا أن يتفاوتَ الأشعار القديمة حتى يتباعد ما بينها في الجودة فلا. وبكلٍّ يُحتَجّ وإلى كلٍّ

يُحتاج . فأما الاختيار الذي يراه الناسُ للناس فشَهوات، كلٌّ مستحسِنٌ شيئاً.

— والشعراء أمراء الكلام، يقصرون الممدود، ولا يمدُّون المقصور، ويقدمون ويؤخرون، ويومئون ويشيرون، ويختلسون ويُعيرون ويستعيرون. فأما لحنٌ في إعراب أو إزالةُ كلمة عن نهج صواب فليس لهم ذلك. ولا معنى لقول من يقول: إن للشاعر عند الضرورة أن يأتيَ في شعره بما لا يجوز. ولا معنى لقول من قال:

ألم يأتيكَ والأنباء تَنمي

وهذا وإن صحّ وما أشبهه من قوله:

لما جَفا اخوانه مصعَباً

وقوله: قِفا عند مِمّا تعرِفان رُبُوعُ

فكلُّه غلط وخطأ. وما جعل الله الشعراء معصومين يُوَقَّوْن الخطأ والغلط، فما صحَّ من شعرهم فمقبول، وما أبَتْهُ العربية وأصولها فَمَرْدُود. بَلَى للشاعر اذا لم يَطَّرِدْ له الذي يُريده في وزن شعره أن يأتي بما يقوم مقامه بَسْطاً واختِصاراً وابدالاً بعد أن لا يكون فيما يأتيه مُخْطئاً أو لاحناً، فله أن يقول:

كالنَّحْلِ في ماء رُضابِ العَذْبِ

وهو يُريد العسَل، وله أن يقول:

مثل الفَنِيق هَنَأتَهُ بِعَصيم

و «العصيم» أثر الهِناء. وانما أراد هنأتَه بهناء. وله أن يبسُط فيقول كما قال (الأعشى):

ان تَرْكَبوا فركوب الخيل عادَتُنا أو تَنزِلونَ فإنَّا معشَرٌ نُزُل

معناه : ان تركبوا ركبنا وان تنزلوا نزلنا ، لكن لم يستقم له الا بالبسط وكذلك قوله :

وان تسكُني نجداً فيا حَبَّذا نجدُ

أراد : ان تسكني نجداً سكنّاه ، فبسط لما أراد اقامة الشّعر ، أنشدنيها أبي (فارس بن زكريّاء) قال أنشدني (أبو عبد الله محمد بن سعدان النحوي الهمذاني) قال أنشدني (أبو نَصْر) صاحب الأصمعي :

قَضَيْت الغواني ، غير أنّ مودّةً لِذَلْفَاء ما قضيت آخِرَها بعدْ
فيا ربْوَةَ الرَّبْعَيْن حيِّيتِ ربوةً على النأي مني، واستهَلَّ بك الرَّعْدُ
فان تَدَعي نَجْداً ندعهُ ومن به وان تَسكُني نجداً فياحبَّذا نجدُ (١)

وما سوى هذا مما ذكرتِ الرُّواةُ أن الشُّعراء غلطوا فيه فقد ذكرناه في (كتاب خُضارة) وهو (كتاب نعت الشّعر) .

وهذا (تمام الكتاب الصاحبي) أتمَّ الله على (الصاحب) الجليل النِّعَم، وأسْبغَ له المواهبَ ، وسَنَّى له المَزِيدَ من فضله ، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه . وصلى الله تعالى على نبيه محمد وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* *

وكتب (نوح بن أحمد اللوباساني) في شعبان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . كذا بأصله المقروء على المؤلف وعليه خطه .

---

(١) الابيات من نظم (شمر بن عمرو) وأولها :

بحيث التقى الدارات والجرع لمن دمنتان ليس لي بهما عهد

فهــــرس

الصَّاحِبِيّ

في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

﴿ تنبيه ﴾

وقع في أثناء الطبع بعض غلطات مطبعية لم ينتبه النظر اليها أثناء التصحيح ، فأحببنا أن نأتي هنا على تصحيحها رجاء أن يعود القارىء فيصححها ، كيلا تكون نسخة (الصاحبي) بعد الطبع دونها قبله ، وهذا ما كنا نؤمله عند الشروع في طبعه والى القارىء تصحيح تلك الكلمات :

(صفحة ب : سطر ١) الخصيب. (ب : ٢٣) فلقيت. (ج : ١٥) الدولة . (هـ : ١٢) الانكار . (ز : ١٢) وقيتَ . (يب : ٩) فؤاده (ك ١٥) وباعلاني . (٤ : هامش) لانك . (٥ : ٨) خُصَيْف. (١٤ : ٤) انشائي . (١٦ : ٩) الايماء اللطيف والاشارة . (١٨ : ٥) ادّعى . (٢١ : ٣) الاعراب . (٢٥ : ٣) كَمَل . (٢٧ : ٦) فان . (٤٦ : ١٤) الصيام أصله . (٧٤ : ٣) قَشعتُهُ . أترفتْ (٧٤ : ٩) يقع . (٨٠ : ٣) بني السِّعْلات . (٩٩ : ٥) عمرو . (١٠٤ : هامش) ألاأيها اللاحيَّ (١٠٧ : ٢٠) ولا كثيره . (١٢١ : ٦) فناديت. (١٣٩ : هامش) ننقاد . (١٤٠ : هامش) رَيَّشتَ . (١٤٢ : ٨) الابل . (١٧٤ : ٥) السَّاقُ . (١٧٨ : ١٧) العامُّ .الخاصُّ .